فهـــرس

صفحة

(ا) النـــثر :

صفحة

صفحة

صفحة

الأندلس

صفحة

النثر :

(ب) النثر العلمى :

الشعر :

صفحة

المغرب وممالك البربر

صفحة

النثر :

(ا) النـثر

أوّلا ــ النـــثر الفـــنى

(١) تَعْزِيَةٌ لابنِ المُقَفَّع[1] :

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أمرَ الآخرةِ والدُّنيا بيد الله، هو يُدبِّرهُما ويقضى فيهما ما يَشاءُ، لَا رَادَّ لقضائِهِ ولَا مُعقِّبَ لحُكْمِهِ[2] ؛ فإنَّ الله خَلَقَ الخَلْقَ بقدرته، ثُمَّ كَتَبَ عَلَيْهِم المَوْتَ بَعْدَ الحياةِ لِئَلَّا يَطْمعَ أحَدٌ من خَلْقِهِ فِي خُلْدِ الدُّنْيا، ووَقَّتَ لكل شَىْءٍ ميقاتَ أجَلٍ، لَا يستأخرون عَنْهُ ساعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ؛ فَلَيْسَ أحَدٌ من خَلْقِهِ إلَّا وَهُوَ مُسْتَيْقِنٌ بالمَوْتِ، لا يَرْجُو أنْ يُخَلِّصَهُ من ذلك أحَدٌ، نسأل الله خَيْرَ المُنْقَلَب[3] وبلَغَنِي وَفَاةُ فُلَانٍ فكانت وَفَاتُهُ من المصائِبِ العِظَامِ الَّتى يُحْتَسَبُ[4] ثوابُها من رَبِّنا الذى إليه مُنْقَلَبُنَا ومَعادُنَا، وعليه ثَوَابُنَا. فعليك بتقوى اللهِ والصَّبْرِ وَحُسْنِ الظَّنِّ باللهِ؛ فإنَّهُ جَعَلَ لِأَهْلِ الصَّبرِ صَلَوَاتٍ[5] مِنْهُ وَرَحْمَةً وَجعلَهم من المُهْتَدِين.

---

(١) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشئوا بين العرب ولد سنة ١٠٦ هـ. ونشأ بالبصرة. وكان أبوه مجوسيا يجمع خراج بلاد فارس للحجاج بن يوسف الثقفى. وبقى ابن المقفع أكثر أيامه على دين المجوسية ثم أسلم فى آخر عمره وتعلم صناعة الكتابة و برع فى ذلك وكتب لكثير من الأمراء. وكان غاية فى الذكاء واشتهر ابن المقفع ببلاغته و رشاقة عبارته وأسلوبه السهل الممتنع وكان فوق ذلك من كبار المترجمين والمؤلفين وقد اشتهر بكتابه (كليلة ودمنة) ومات مقتولا سنة ١٤٢ هـ.

(٢) عقب الحاكم على حكم سلفه حكم بعده بغير حكمه. يريد هنا أن حكم الله لا ينقض.

(٣) المنقلب: المرجع، يقال: كل امرئ يصير الى منقلبه.

(٤) احتسب أجره عند الله: قدمه.

(٥) المراد بالصلاة هنا الرحمة. يشير الى قوله تعالى: « وبشر الصابرين » الآية.

وَلَهُ مِن الأدب الصَّغير :

مِن أشَدِّ عُيُوب الإنسان خَفَاءُ عيوبِهِ عَلَيْه . فإن من خَفِيَ عَلَيْه عَيْبُهُ خَفِيَت عليه مَحَاسِنُ غَيْرِه ، فَلَنْ يُقْلِعَ[1] عَنْ عَيْبِه الذى لا يَعْرِفُه ولَنْ يَنَالَ مَحَاسِنَ غَيْرِه ... .

«لا يُؤمِنَنَّكَ شَرَّ الجاهِلِ قَرابَةٌ ولا جِوارٌ ولا إلْفٌ[2] ؛ فإن أخْوَفَ ما يَكُونُ الإنسان لِحَريق النَّارِ أقربُ ما يَكُونُ مِنْها[3] . وكذلك الجَاهِلُ إن جَاوَرَكَ أنْصَبَكَ[4] ، وإن نَاسَبَكَ جَنَى عَلَيْكَ ، وإن ألِفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مالا تُطِيقُ ، وإن عَاشَرَكَ آذاكَ وأخافَكَ . مع أنَّهُ عِنْدَ الجُوعِ سَبُعٌ ضارٍ[5] ، وعِنْدَ الشِّبَعِ مَلِكٌ فَظٌّ ، وعِنْد المُوَافَقَةِ فى الدِّينِ قَائِدٌ إلى جَهَنَّم ؛ فأنت بالهَرَب منه أحَقُّ منك بالهَرب من سُمِّ الأساوِدِ[6] والحَريقِ المَخُوفِ والدَّيْنِ الفَادِحِ[7] والدَّاءِ العَيَاءِ[8] ... »

---

(١) أقلع عن عيبه : كف عنه وتركه .

(٢) الإلف بكسر الهمزة وسكون اللام . والألفة : بضم الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء الصداقة .

(٣) أى يشتد خوف الإنسان من النار حين يشتد قربه منها فكذلك الجاهل تخافه اذا كان ذا صلة وثيقة بك . وهذا تمثيل .

(٤) أنصبه : أتعبه وأعياه .

(٥) الضارى من الحيوانات كالأسد والنمر : ما تعود أكل الصيد وأولع به .

(٦) الأساود : مفرده أسود ، وهو الحية العظيمة السوداء .

(٧) فدحه الحمل أو الدين : أثقله وبهظه . والفادح : الصعب المثقل . يقال نزل به أمر فادح ، وركبه دين فادح .

(٨) داء عياء بفتح العين : لا يبرأ منه المريض .

(٢) أحمد بن يوسف [١]

كتب يهنئ بمولود :

أما بعدُ، فليس من أمرٍ يجعلُ اللهُ لك فيه سرورا إلا كنتُ به بهجًا أعتدّ [٢] فيه بالنعمةِ من اللهِ الذى أوجب علىّ من حقّك، وعرّفنى من جميلِ رأيك . فزادك اللهُ خيرًا، وأدام إحسانَه إليك . وقد بلغنى أنّ الله وهب لك غلامًا سريًّا [٣] أجملَ صورتَه، وأتمّ خلقَه، وأحسنَ فيه البلاءَ [٤] عندك فاشتدّ سرورى بذلك . وأكثرتُ حمدَ اللهِ عليه . فبارك اللهُ فيه وجعله بارًّا [٥] تقيًّا يشدُّ عضدَك [٦]، ويكثرُ عددَك، ويقرُّ عينَك [٧] .

وكتب أيضا تهنئة بظفر :

بلغنى — فتح اللهُ عليك — خروجُ ابنِ السَّرىّ إليك، فالحمدُ لله النّاصرِ لدينِه، المعزِّ لوليِّه وخليفتِه على عبادِه، المذلِّ لمن صدّ عن [٨] حقِّه ورغب عن [٩] طاعته ؛

(١) هو أحمد بن يوسف كاتب دولة بنى العباس و يقولون : إن أصل آبائه من قبط مصر وكانوا كتابا لبنى العباس فنشأ أحمد بن يوسف فى بيت علم وأدب وشب على الكتابة . وكان من أبلغ الكتاب والشعراء واشتهر فى زمن المأمون فله كتب بليغة وكثير من الرسائل الديوانية والإخوانية . وكانت طريقته فى الكتابة تميل الى التوسع فى المعانى والأساليب والعبارات وجزالة الألفاظ وتطويل الرسائل السلطانية . وكان يتولى ديوان الرسائل للمأمون حتى عصب عليه غضبة مات منها سنة ٢١٣ هـ .

(٢) أى أعدّ ذلك نعمة من الله . (٣) السرى : الظريف .

(٤) البلاء هنا : الاختبار .

(٥) بارا : صالحا مطيعا .

(٦) العضد : بفتح العين وضم الضاد ما بين المرفق الى الكتف يريد بذلك أن يكون قوة له .

(٧) قرت عينه : بردت سرورا . وجف دمعها : يريد بذلك أن يكون من وسائل السعادة والسرور له .

(٨) صده عن كذا : صرفه ومنعه . يريد أن الله يذل من وقف فى سبيل الحق .

(٩) رغب عنه : أعرض عنه وتركه .

ونسأل الله أن يُظاهِر النِّعَمَ[1]، ويَفْتح بُلْدانَ الشِّرْك[2] بك، والحمد لله على ما والاك[3] مُنْذ ظَعَنْتَ لِوَجْهِك[4]، وإنا نتذاكر سيرتك فى حَرْبِك وسِلْمِك، ونُكثِر التعجب لما وُفِّقْتَ له مِنْ وَضْع الشِّدة واللِّيان[5] بموضِعهما، ولا نعلم سائر[6] جُنْد ولا رَعِيَّة عدل بينهم عدلك ولا مَنْ عفا بعد القُدْرة عمَّن آسَفَه[7] وأضْغَنَه[8] عفوك .

وكتب فى الذم :

أما بعد، فلا أعلم لِلمَعْروف[9] طريقا أحْزَن[10] ولا أوْعَر من طريقه إليك، ولا مُسْتودَعا[11] أقل زكاء[12]، ولا أبعد ثمرة خير من مكانه عندك؛ لأنه يحصل منك فى حَسَب دَنِيّ[13]، ولِسان بَذِيّ[14]، ونَسَب قَصِيّ[15]، وجَهْل[16] قد مَلَك طباعك؛ فالمعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور، وإنما غايتك فى المعروف أن تحرزه، وفى وليّه ان تَكْفُر[17] به .

---

(١) ظاهره مظاهرة : عاون . يسأل الله أن يكثر من النعم على يديه .

(٢) يريد بلدان الأعداء .

(٣) والى الشىء : تابعه يريد على ما أعطاه من النصر المتتابع المتوالى .

(٤) الظعن : الرحيل . ويريد بقوله لوجهك لغرضك .

(٥) الليان : بفتح اللام المشدّدة مصدر لان يلين وهو ضد الشدّة . واللِّيان : بالكسر الاسم من لان .

(٦) سائر الشىء : باقيه يريد أنه لا يوجد قوم يسود فيهم عدل مثل عدالك في قومك .

(٧) آسفه إيسافا : أغضبه وأحزنه .   (٨) أضغنه : حمله على الضغينة . ويريد أنه لم ير أحدا مثله عفا بعد القدرة على الانتقام عن قوم أساءوا اليه وحملوه على أن يحقد عليهم .

(٩) المعروف هنا : الخير والاحسان .   (١٠) الطريق الحزن : ضد السهل .

(١١) المستودع : المكان يحفظ فيه الشىء .   (١٢) الزكاء : النمو والزيادة .

(١٣) الدنى مخفف الهمزة هنا : الخسيس الدنىء .   (١٤) البذى بتخفيف الهمزة أيضا المحتقر السفيه .   (١٥) القصى : البعيد .   (١٦) الجهل : الحمق .

(١٧) كفر بالنعمة : جحدها وتناساها وكفر بالمنعم جحد فضله .

ومن توقيعاته ما وجهه الى عامل ظالم :

« الحق طريق واضح لمن طلبه، تهديه محجته[1]، ولا تخاف عثرته[2]، وتؤمن فى السر مغبته[3]، فلا تقلن[4] منه، ولا تعدلن عنه، فقد بالغت فى مناصحتك، فلا تحوجني الى معاودتك[5]، فليس بعد التقدمة[6] إليك إلا سطوة الإنكار عليك »

(٣) الحسن بن سهل[7]

كتب الى محمد بن سماعة القاضى[8] يسأله اختيار رجل ليقوم ببعض مهمه .

أما بعد، فانى احتجت لبعض أمورى الى رجل جامع لخصال الخير، ذى عفة ونزاهة طعمة[9]، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، ليس بظنين[10] فى رأيه، ولا بمطعون فى حسبه. إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهما من الأمور أجزأ فيه[11]، له سن[12] مع أدب ولسان، تقعده الرزانة ويسكنه الحلم، قد فر[13] عن ذكاء

(١) المحجة : جادة الطريق . (٢) العثرة : السقطة والزلة . (٣) المغبة : عاقبة الشىء .

(٤) أقل الشىء : أتى بالقليل منه . (٥) عاود الرجل : رجع الى الأمر الأول يقال عاوده بالمسألة أى سأله مرة بعد أخرى وعاودته الحمى رجعت اليه .

(٦) التقدمة مصدر قدم الشىء تقدمة . يريد أن ليس له عده بعد أن قدم له النصيحة إلا أن يعاقبه .

(٧) الحسن بن سهل : هو وزير المأمون وصهره (ابو زوجه بوران) توفى سنة ٢٣٦ هـ .

(٨) محمد بن سماعة القاضى : هو من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة . توفى سنة ٢٢٣ هـ .

(٩) الطعمة بضم الطاء وسكون العين : وجه الارتزاق والمكسب، يريد أنه لا يبتغى المال من طرق الحرام ولا من خسيس السبل . (١٠) الظنين بفتح الطاء : المتهم . يريد أنه لا يصدر الرأى عن الميل والهوى . (١١) أجزأ فى الأمر كان له كفئا وقام به على خير وجوهه .

(١٢) السن هنا : التقدم فى العمر . (١٣) يقال : فر الدابة يفرها (من باب نصر) . كشف عن أسنانها ليعرف كم بلغت من السنين : يريد أن الاختبار والتجربة كشفا عما فيه من الذكاء .

وفِطْنَةٍ، وعَضَّ على قَارِحَةٍ (١) من الكَمالِ . تَكْفِيهِ اللَّحْظَةُ، وتُرْشِدُهُ السَّكْتَةُ . قَدْ أَبْصَرَ خِدْمَةَ المُلُوكِ وأَحْكَمَها، وقَامَ فى أُمُورِهِمْ فَحُمِدَ فِيهَا . لَهُ أَنَاةُ (٢) الوُزَرَاءِ، وصَوْلَةُ (٣) الأُمَرَاءِ، وتَواضُعُ العُلَمَاءِ، وفَهْمُ الفُقَهَاءِ، وجَوابُ الحُكَمَاءِ . لا يَبِيعُ نَصِيبَ يَوْمِهِ بِحِرْمانِ غَدِهِ . يَكادُ يَسْتَرِقُّ (٤) قُلُوبَ الرِّجالِ بِحَلاوَةِ لِسَانِهِ، وحُسْنِ بَيَانِهِ . دَلَائِلُ الفَضْلِ عَلَيْهِ لَائِحَةٌ (٥)، وأَمَارَاتُ العِلْمِ لَهُ شَاهِدَةٌ، مُضْطَلِعًا (٦) بِمَا اسْتُنْهِضَ (٧)، مُسْتَقِلًّا (٨) بِمَا حُمِّلَ . وقد آثَرْتُكَ (٩) بِطَلَبِهِ، وحَبَوْتُكَ بارْتِيَادِهِ (١٠)، ثِقَةً بِفَضْلِ اخْتِيارِكَ، ومَعْرِفَةً بِحُسْنِ تَأَتِّيكَ .

(٤) محمد بن عبد الرحمن الهاشمى

قال : كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بنِ يَحْيَى تَزُورُ أُمِّى . وكَانَتْ لَبِيبَةً من النِّسَاءِ، حَازِمَةً فَصِيحَةً بَرْزَةً (١١) . يُعْجِبُنِى أَنْ أَجِدَهَا عِنْدَ أُمِّى فَأَسْتَكْثِرَ من حَدِيثِهَا، فَقُلْتُ لَهَا يَوْمًا : يا أُمَّ جَعْفَر : إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُفَضِّلُ جَعْفَرًا على الفَضْلِ، وبَعْضُهُمْ يُفَضِّلُ الفَضْلَ على جَعْفَر، فَأَخْبِرِينِى . فَقَالَتْ : مَا زِلْنَا نَعْرِفُ الفَضْلَ

---

(١) قرح الفرس فهو قارح : خرج نابه، ولا يكون له ذلك إلا اذا استكمل السن والقوة، يريد بالجملة أنه استوفى أسباب الكمال .

(٢) الأناة : الوقار والحلم والتمهل .

(٣) الصولة : القدرة والسطوة .

(٤) استرق القلوب : استعبدها .

(٥) لائحة : بادية ظاهرة .

(٦) اضطلع الرجل بحمله فهو مضطلع به : نهض به وقوى عليه .

(٧) استنهض بالبناء للمجهول طلب منه النهوض .

(٨) استقل بالشىء : حمله ورفعه، فهو مستقل به .

(٩) آثره بالشىء : اختصه به وفضله على غيره .

(١٠) ارتاد الشىء ارتيادا طلبه وبحث عنه .

(١١) المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهى عفيفة .

للفضـل . فقلتُ : إنّ أكثر النّاس على خلاف هـذا . فقالت : هأنا أُحدِّثك واقض أنت . وذلك الّذى أردتُ منهـا . فقالتْ : كانا يومًا يلعبان فى دارى، فدخل أبوهما فدعا بالغداء وأحضرهما، فطعما معه ثم آنسهما بحديثه، ثم قال لهما : أتلعبان بالشّطرنج؟ فقال جعفر، وكان أجرأهما: نعم! قال: فهل لاعبت أخاك بها؟ قال جعفرٌ : لا ! قال : فالعبا بها بين يدىّ لأرى لمن الغلب . فقال جعفرٌ : نعم! وكان الفضلُ أبصر منهُ بها . فجىء بالشّطرنج فصُفّت بينهما، وأقبل عليها جعفرٌ وأعرض عنها الفضلُ . فقال له أبوهُ : مالك لا تلاعبُ أخاك ؟ فقال : لا أُحبّ ذلك . فقال جعفرٌ : إنّه يرى أنّه أعلم بهـا منّى فيأنف من ملاعبتى، وأنا ألاعبُهُ مخاطرةً (١) . فقال الفضلُ : لا أفعل . فقال أبوهُ : لاعبْهُ وأنا معك . فقال جعفرٌ : رضيتُ . وأبى الفضلُ واستعفى أباه (٢) فأعفاه . ثمّ قالتْ لى : قد حدّثتك فاقض . فقلتُ : قـد قضيتُ بالفضـل للفضـل على أخيـه . فقالتْ : لوْ علمتُ أنّك لا تُحسنُ القضاء لمـا حكّمتك . أفلا ترى أنّ جعفرًا قد سقط أربع سقطات تنزّه الفضلُ عنهنّ : فسـقط حين اعترف على نفسه بأنّهُ يلعبُ بالشّطرنج، وكان أبوهُ صاحب جدّ (٣) . وسقط فى التزام ملاعبة أخيه، وإظهار الشّهوة لغلبه، والتّعرض لغضبه . وسـقط فى طلب المقامرة وإظهار الحرص على مال أخيه . والرّابعـة قاصمة الظّهر حين قال أبوهُ لأخيه: لاعبْهُ وأنا معك . فقال أخوهُ لا، وقال هو نعم،

---

(١) المخاطرة المراهنة، يقال : لاعبه على خطار بفتحتين أى على رهان .

(٢) استعفاه من كذا : طلب منه ألا يكلفه به .

(٣) الجد بكسر الجيم : ضد الهزل .

فَنَاصَبَ[1] صَفًّا فِيهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ . فَقُلْتُ : أَحْسَنْتِ واللهِ ! وَإِنَّكِ لأَقْضَى مِنَ الشَّعْبِيِّ[2] . ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : عَزَمْتُ[3] عَلَيْكِ أَخْبِرِينِي : هَلْ خَفِيَ مِثْلُ هٰذَا على جعفر وقد فَطِنَ لَهُ أَخُوهُ ؟ فَقَالَتْ : لَوْلَا العَزْمَةُ لَمَا أَخْبَرْتُك ، إِنَّ أَبَاهُمَا لَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لِلفَضْلِ خَالِيَةً بِه : ما مَنَعَكَ من إِدْخَالِ السُّرُورِ على أَبِيكَ بِمُلَاعَبَةِ أَخِيكَ ؟ فقال : أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ أَنِّي لَاعَبْتُهُ لَغَلَبْتُهُ فَأَخْجَلْتُه ، والثَّانِي قَوْلُ أَبِي لاعِبْهُ وَأَنَا مَعَكَ ، مما يَسُرُّنِي أَنْ يَكُونَ أَبِي مَعِي على أَخِي . ثم خَلَوْتُ بِجَعْفَرٍ فَقُلْتُ لَه : يَسْأَلُ أَبُوكَ عن اللَّعِبِ بالشِّطْرَنْجِ فَيَصْمُتُ أَخُوكَ وَتَعْتَرِفُ ، وأَبُوكَ صَاحِبُ جِدٍّ . فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : نِعْمَ لَهْوُ البَالِ المَكْدُودِ[4] . وَقَدْ عَلِمَ ما نَلْقَاهُ من كَدِّ التَّعَلُّمِ وَالتَّأَدُّبِ ، وَلَم آمَنْ أَنْ يَكُونَ بَلَغَهُ أَنَّا نَلْعَبُ بِهَا ، وَلَا أَنْ يُبَادِرَ فَيُنْكِرَ ، فَبَادَرْتُ بِالإِقْرَارِ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وعلَيْه ، وقُلْتُ إِنْ كَانَ تَوْبِيخٌ فَدَيْتُهُ من المُوَاجَهَةِ بِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا بُنَيَّ : فَلِمَ تَقُولُ الاعِبْهُ مُخَاطَرَةً ؟ كَأَنَّكَ تُقَامِرُ أَخَاكَ وَتَسْتَكْثِرُ مَالَهُ . فقال : كَلَّا وَلَكِنَّهُ يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاةَ التِي وَهَبَهَا لِي أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ ، فَعَرَضْتُهَا عليه فَأَبَى قَبُولَهَا ، وَطَمِعْتُ أَنْ يُلاعِبَنِي فَأُخَاطِرَهُ عليها وهو يَغْلِبُنِي فَتَطِيبَ نَفْسُهُ بِأَخْذِهَا . فَقُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّاهُ مَا كَانَتْ هٰذِهِ الدَّوَاةُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ جَعْفَرًا دَخَلَ على أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ دَوَاةً من العَقِيقِ الأَحْمَرِ مُحَلَّاةً بِاليَاقُوتِ الأَزْرَقِ وَالأَصْفَرِ ، فَرَآهُ يَنْظُرُ

---

(١) ناصبه : عاداه وقاومه . وناصبه العداوة : أظهرها له .

(٢) الشعبي بفتح الشين وسكون العين أحد رجال الحديث والقضاء .

(٣) عزم عليه : أقسم . والاسم منه العزمة والعريمة بفتح العين فيهما .

(٤) كده الشيء فهو مكدود : أتعبه وأجهده .

إليها فوهبها له . فقلت إيه . فقالت : ثم قُلْتُ لجعفرٍ هَبْكَ(١) اعتذرتَ بما سمعتُ فما عُذْرُكَ من الرِّضا بمُناصبةِ أبيكَ حينَ قالَ لاعِبْهُ وأنا معكَ؟ فقُلْتَ أنتَ : نعم، وقالَ هو : لا . فقالَ : عرفتُ أنَّهُ غالبي ، ولو فترَ لَعِبَهُ لتغالَبْتُ(٢) لَهُ ، مع ما لَهُ من الشَّرفِ والسُّرورِ بتحيُّزِ أبيهِ إليهِ . قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ فقُلْتُ : بَخٍ بَخٍ(٣) ، هذهِ واللهِ السِّيادةُ . ثم قُلْتُ لها : يا أُمَّاهُ : أَكانَ منهما مَنْ بلغَ الحُلُمَ؟ فقالت : يا بُنَيَّ: أينَ يُذْهَبُ بِكَ ؟ أخبرُكَ عن صبيَّيْنِ يلعبانِ فتقولُ : أَكانَ منهما من بلغَ الحُلُمَ، لقد كُنَّا نَنْهى الصَّبيَّ إذا بلغَ العشرَ وحضرَ مَنْ يُستحى منه أنْ يبتسِمَ .

(٥) الصُّولي(٤)

من رسائله فى تعزية على لسانِ المنتصر بالله الى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين :

أمَّا بعدُ ، تولى الله توفيقَك وحِياطَتَكَ ، وما يرتضيه منكَ ويرضاه عنكَ ! إنّ أفضلَ النِّعَمِ نِعْمَةٌ تُلُقِّيَتْ(٥) بحق الله فيها من الشكر وأوفرَ حادثة ثوابًا حادثةٌ أُدِّيَ

(١) يقال : هبك صنعت كذا أى افرض أنك صنعت . وهى كلمة ملازمة للأمر لا تتصرف لغيره من الأفعال . (٢) فتر يفتر من باب نصر ومن باب ضرب : ضعف .

(٣) بخ بفتح الباء وسكون الخاء : اسم فعل للمدح وإظهار السرور بالشىء . ويكرر للمبالغة فيقال : بخ بخ بالكسر والتنوين .

(٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد ابن عم عمرو بن مسعدة . نشأ ببغداد وأخذ العلم عن علماء زمانه واشتغل بالشعر ونبغ فيه ومدح كثيرا من الأمراء ، وتولى فى خلافة المتوكل ديوان النفقات . وكان من أكبر الكتّاب ومن أفذاذهم المعروفين فى زمانه حتى لقب بكاتب العراق ، وله رسائل كثيرة أشهرها ما كتبه فى التعازى . توفى بسر من رأى سنة ٢٤٢ هـ . (٥) تلقى الشىء : بمعنى لقيه .

حقَّ الله منها من الرِّضا والتَّسليم والصَّبر، ومثلك من قدّم ما يجب لله عليه في نعمة فشكرها، وفي مصيبة فأطاعه فيها . وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن اسحاق مولى أمير المؤمنين (عفا الله عنه) قضاءه السَّابق والموقع (١) . وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين (أدام الله عزه) وتقديم ما يقدم مثله أهل الحجا (٢) والفهم ما اعتاضه (٣) معتاض وقدمه موفق . فليكن الله (عز وجل) وما أطعته به وقدمت حقه فيه أولى بك في الأمور كلها ، فإنك إن تتقرب إليه في المكروه بطاعته . يحسن ولايتك في توفيقك لشكر نعمه عندك .

* * *

ومن رسائله القصار على لسان المتوكل لأهل حمص الخارجين عليه ، وهي من الرسائل التي أغنت عن الجيوش :

أمَّا بعد، فإنَّ أمير المؤمنين يرى من حقِّ الله عليه ممَّا قوَّم به من أوَدٍ (٤)، وعدَّل به من زيغ (٥)، ولمَّ به من منتشر، استعمال ثلاث يقدم بعضهن على بعض : أولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف (٦)، ثم ما يستظهر (٧) به من تحذير وتخويف، ثم التي لا يقع بحسم (٨) الداء غيرها :

(١) الموقع : المصدر . (٢) الحجا : العقل .

(٣) اعتاض منه : أخذ العوض واعتاض واستعاض فلانا سأله العوض .

(٤) الأود هنا : الاعوجاج .

(٥) الزيغ : الميل عن الحق .

(٦) وقفه على الشيء : أفهمه .

(٧) استظهر به : استعاذ .

(٨) حسمه : قطعه مستأصلا إياه .

أَنَاةً[١]، فإن لم تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَهَا وَعِيدًا، فإن لم يُغْنِ أغْنَتْ عَزَائِمُهُ

وكتب الى ابن الزيات[٢] يستعطفه :

كَتَبْتُ وَقَدْ بَلَغَتِ المُدْيَةُ[٣] المَحَزَّ[٤]، وَعَدَتِ[٥] الأيامُ بِكَ عَلَيَّ بَعْدَ عَدْوَاي[٦] بِكَ عَلَيْهَا وَكَانَ أَسْوَأَ الظَّنِّ وَأَكْثَرَ خَوْفِي أَنْ تَسْكُنَ فِي وَقْتِ حَرَكَتِهَا وَتَكُفَّ عِنْدَ أَذَاتِهَا[٧]، فَصِرْتَ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْهَا؛ فَكَفَّ الصَّدِيقُ عَنْ نُصْرَتِي[٨] خَوْفًا مِنْكَ، وَبَادَرَ[٩] إِلَيَّ العَدُوُّ تَقَرُّبًا إِلَيْكَ :

وَكَتَبَ تَحْتَ ذَلِكَ :

أَخٌ بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْـ ـرِ صَاحَبَ أَيُّنَا غَلَبَا[١٠]

---

(١) الأناة : الحلم والانتظار والتمهل .

(٢) ابن الزيات : أحد الوزراء والكتّاب .

(٣) المدية مثلثة الميم : السكين .

(٤) المحز بفتح الميم : موضع الحز أى القطع . يقال : قطع فأصاب المحز . والمحز بكسر الميم : آلة الحز . يريد أن الأمر وصل الى غايته من الشدّة .

(٥) عدت الأيام : اعتدت .

(٦) العدوى هنا : اسم مصدر أعدى فلانا على فلان : نصره وأعانه . يريد بعد أن استعنت بك على الأيام .

(٧) الأذاة : الأذى . يريد من قوله (وكان أسوأ الظن الخ ..) أنه كان يظن أن أسوأ ظنه فى ابن الزيات ألا يعين الأيام عليه إذا أصابته بأذى فاذا هو أضر عليه منها وأشدّ أذى له .

(٨) النصرة : النصر وحسن المعونة .

(٩) بادر الى الشيء : أسرع .

(١٠) يصف الصديق الذى أشار اليه بأن يكون معه حينا يكون الزمان معه ويكون عليه حينا يخونه الدهر .

صديقي ما استقام وإن ‏ نبا دهر علَيَّ نبا [١]

وثبت على الزمان به ‏ فعاد به وقد وثبا [٢]

ولو عاد الزمان لنا ‏ لعاد به أخا حدبا [٣]

ثانيا — النثر العلمى

(١) أبو يوسف [٤]

قال فى كتاب "الخراج" :

وأنا أرى أن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته يسألون عن سيرة العمال وما عملوا به فى البلاد ، وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به ، وعلى ما وظف على أهل الخراج واستقر ؛ فاذا ثبت ذلك عندك وصح، أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ حتى يؤدوه بعد العقوبة الموجعة والنكال، حتى لا يتعدوا ما أمروا به، وما عهد اليهم فيه، فان كل ما عمل به والى الخراج من الظلم والعسف فإنما يحمل على أنه قد أمر به، وقد أمر بغيره، وان أحللت بواحد منهم العقوبة الموجعة انتهى غيره واتقى وخاف،وان لم تفعل هذا بهم تعدوا على أهل الخراج واجترءوا على ظلمهم وتعسفهم وأخذهم بما لم يجب عليهم . واذا صح عندك من العامل والوالى تعد بظلم وعسف وخيانة لك فى رعيتك واحتجان

(١) نبا بصره : تجافى وتباعد . ونبا عليه الدهر : جفاه وتباعد عنه . هذا توضيح لمعنى البيت الأول .

(٢) وثب : قفز ونهض . يقول : هجمت على الزمان به فرجع عن معاونتى وهجم علىّ مع الزمان .

(٣) حدب عليه : تعطف . وأخ حدب بفتح الحاء وكسر الدال : شفيق . يريد أنه اذا صادقه الزمان عاد ذلك النابى عليه صديقا له .

(٤) أبو يوسف هو القاضى يعقوب بن ابراهيم الأنصارى الكوفى أخذ الفقه عن الإمام أبى حنيفة وكان نابها مقدما وضع كتاب (الخراج) للرشيد .

شيءٍ من الفيء ، أو خُبث طُعمَتِهِ أو سُوءُ سيرته فحرامٌ عليك استعمالُه والاستعانةُ بهِ ، وأنْ تُقَلِّدَهُ شيئًا من أمورِ رعيتكَ أو تُشْرِكَهُ فى شيءٍ من أمْرِكَ ، بَلْ عَاقِبْهُ عَلَى ذَلِكَ عقوبةً تردعُ غيرَه من أن يَتَعرَّضَ لِمِثْلِ مَا تَعرَّضَ لَهُ . وإياكَ ودعوةَ المظلومِ فانَّ دعْوتَه مُجَابةٌ .

(٢) من كتاب التاج المنسوب للجاحظ (١)

كان أرْدَشيرُ بنُ بَابَك أوّل من رتّبَ النُّدماءَ (٢) وأخَذَ بزِمَامِ سيَاسَـتهم ، فجعلهم ثَلاثَ طَبقَاتٍ :

فكانت الأساوِرَةُ (٣) وأبناءُ المُلُوكِ فى الطّبقَةِ الأولى ، وكان مجلسُ هذه الطّبَقَةِ من الملكِ على عشَرة أذرعٍ من السِّتارَةِ .

ثم الطَّبَقَة الثانية كان مجلسُها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بِطانةُ الملك وندماؤُه ومحدِّثُوه من أهلِ الشَرَفِ والعِلْمِ) .

ثم الطَبَقةُ الثالِثةُ كان مَجْلِسُهم على عَشْرةِ أذْرُعٍ من الثانيةِ وهُم المُضحِكونَ وأهلُ الهَزْلِ والبَطّالةِ ، غَيْرَ أنه لم يكُن فى هَذِه الطَّبَقَةِ الثّالِثَةِ خَسِيسُ الأصْلِ ولا وَضيعُهُ .

---

(١) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى . ولد بمدينة البصرة وتربى بها ودرس هناك كل ما كان ذائعا من العلوم والفنون فى أيامه ولازم ابراهيم بن سيار النظام المتكلم المعتزلى وأخذ عنه حتى صار زعيم فرقة تنسب اليه وعرف كثيرا من كبار الكتاب والمترجمين والفرس وغيرهم وقرأ كل ما ترجم فى زمانه ووقع عليه نظره فكان من كبار العلماء والكتاب ومات بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) نادمه على الشراب منادمة : جالسه عليه . والنديم : المنادم على الشراب . والنديم أيضا الرفيق والصاحب .

(٣) أساورة الفرس : هم الفرسان .

ولا نَاقِصَ الجَوَارِحِ (١)، ولا فَاحِشَ الطُّولِ والقِصَرِ، ولا مُؤُوفٌ (٢)، ولا مرمىٌّ بأُبْنَةٍ، ولا مَجْهُولُ الأَبَوَيْنِ، ولا ابنُ صِنَاعَةٍ دَنِيئَةٍ كَابْنِ حائِكٍ أو حَجَّامٍ ولو كان يَعْلَمُ الغَيْبَ مثلاً .

وكان أردشير يقول: "ما شيءٌ أسرَعَ فى انتِقَالِ الدُّوَلِ وخَرَابِ المَمْلَكَةِ من انتِقَالِ هذه الطبقات عن مَرَاتِبِها، حتى يُرفَعَ الوَضِيعُ الى مَرْتَبَةِ الشَّرِيفِ، ويُحَطَّ الشَّرِيفُ الى مرتبةِ الوضيعِ . وكان الذى يقابل الطَّبَقَةَ الأولى من الأَسَاوِرَةِ وأبناءِ المُلُوكِ أهلُ الحَذَاقَةِ بالمُوسِيقِيَّاتِ والأَغَانِى . فكانوا بإزاء هؤلاء نُصْبَ حَطِّ الاستِوَاءِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثانيةَ من نُدَمَاءِ الملكِ وبِطانته الطبقةُ الثانيةُ من أصحاب المُوسِيقِيَّات . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثَّالِثَةَ من أصحابِ الفُكَاهَاتِ والمُضحِكِين أصحابُ الوَنِّ (٣) والمَعَازِفِ والطَّنَابِيرِ (٤)، وكان لا يَزْمُرُ الحَاذِقُ من الزَّامِرِينَ إلا على الحاذِقِ من المُغَنِّين . وان أَمَرَه المَلِكُ بذلك رَاجَعَهُ واحتجَّ عليه"

(٣) من كتاب الكامل للمبرِّد (٥)

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ مِنْ أَمْثَالِ العَرَبِ : "لم يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ" يَقُولُ : إذا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ شيءٌ فَحَذَّرَكَ أَنْ يَحُلَّ بِكَ مِثْلُه فتَأْدِيبُهُ إِيَّاكَ عِوَضٌ مِنْ ذَهَابِه .

---

(١) الجوارح جمع جارحة وهى العضو من الانسان .

(٢) أى مصاب بآفة . الأبنة : العيب .

(٣) كلمة فارسية معربة والعرب تقول الون بتشديد النون وهى الصنج آلة من آلات الطرب .

(٤) الطنبور والطنبار : من الآلات الموسيقية التى أخذها العرب عن الفرس .

(٥) المبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى . ولد فى البصرة وانتقل الى بغداد وكان قوى الذاكرة سريع الحفظ يعد من شيوخ النحو والأدب له جملة مصنفات منها كتاب الكامل الذى يمزج الأدب باللغة والتاريخ ويعد من أمهات الكتب الأدبية . وقد مات المبرد سنة ٢٨١ هـ .

ومن أمثالهم: "رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثاً" وتأويله أنّ الرَّجُلَ يعمل العَمَلَ فلا يُحكِمُه للاستعجال به، فيحتاج إلى أن يعود فينقضه، ثم يستأنف. والرَّيْثُ: الإبطاء، وراثَ عليه أمره: إذا تأخر. ومن أمثال العرب: "عَشِّ ولا تغترّ" وأصل ذلك أن يمرّ صاحب الإبل بالأرض المُكْلِئَة (١) فيقول: أدعُ أن أُعَشِّيَ إبلي منها حتَّى أرِدَ على أخرى، ولا يدري ما الذي يرد عليه. وقريبٌ منه قولهم: "أنْ تَرِدَ المَاءَ بِماءٍ أكْيَس" (٢) وتأويله أن يمرّ الرَّجُلُ بالماء فلا يحمل منه اتكالاً على ماء آخر يصير إليه، فيُقال له: أنْ تحمل معك ماءً أحزم لك، فإن أصبتَ ماءً آخر لم يضرّك، فإن لم تحمل فخففتَ من الماء عَطِبْتَ (٣). ومن أمثالهم: "قد أحزم لو أعزم" يقول: أعرف وجه الحزم فإن عزمت فأمضيتُ الرأي فأنا حازم، وإن تركت الصواب وأنا أراه وضيّعت العزم لم ينفعني حزمي. ومثله قول النابغة الجعدي:

أبى لي البلاءُ وأنّي امرؤٌ ... إذا ما تبيّنتُ لم أرتب

وقال أعرابي يمدح سوّار بن عبد الله:

وأوقفُ عند الأمرِ ما لم يَضِحْ لَهُ ... وأمضى إذا ما شكّ من كان ماضيا (٤)

فالذي يُحمد إمضاءُ ما تبيّن رشده، فأمّا الإقدام على الغَرَر (٥)، وركوب الأمر على الخطر، فليس بمحمود عند ذوي الألباب.

---

(١) أكلأت الأرض: كثر كلؤها. الكلأ: العشب رطبا و يابسا.

(٢) بماء: أي بماء ... الكياسة: الفطانة. ورجل كيس: فطن. والأكيس: اسم تفضيل منه.

(٣) عطبت: هلكت.

(٤) أوقف اسم تفضيل من (الوقوف) ووضح الأمر (يضح): انكشف وبان. مضى على الأمر: أتمه. يقول إنه أشد تحرجا من المضاء في الأمر اذا ما يتبين له وجه الصواب فيه؛ على أن له من الفطنة والألمعية ما يبعثه على المضاء راشدا في حين يمضي غيره

(٥) الغرر بفتح الغين والراء: التعريض للهلاك.

(٤) من تاريخ الأمم والملوك للطبرى[1] :

"خـــلافة الأمين"

وفى هذه السنة (١٩٣ هـ) بُويِعَ لِمُحَمَّدٍ الأَمِينِ بنِ هَارونَ بِالخلافَةِ فى عَسْكَرِ الرَّشِيدِ، وعَبْدُ الله بنُ هَارونَ المَأمونُ يَوْمَئِذٍ بمَرْو؛ وكَانَ فِيما ذُكِرَ قَدْ كَتَبَ حَمُّوَيْه مَوْلَى المَهْدِى صَاحِبُ البَرِيدِ بِطُوس إِلَى أَبِى مُسْلِمٍ سلام مَوْلَاهُ وخَلِيفَتِهِ بِبَغْدَاد عَلَى البَرِيد والأَخْبَارِ يُعْلِمُهُ وَفَاةَ الرَّشِيد . فَدَخَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ فَعَزَّاهُ وهَنَّأَهُ بِالخلافَة . وكَانَ أَوَّلَ النَّاسِ فَعَلَ ذَلِكَ . ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ رَجَاءُ الخَادِمُ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ جمَادَى الآخِرَةِ : كَانَ صَالِحُ بنُ الرَّشِيد أرسَلَهُ إِلَيْهِ بِالخَبَرِ بِذَلِكَ، وقِيلَ لَيْلَةَ الخَمِيسِ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ، فَأَظْهَرَهُ يومَ الجُمُعَةِ وسَتَرَ خَبَرَه بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتَهُ، وخَاضَ النَّاسُ فِى أَمْرِهِ، ولَمَّا قَدِمَ كِتَابُ صَالِحٍ عَلَى مُحَمَّدٍ الأَمِينِ مَعَ رَجَاء الخَادِمِ بِوَفَاةِ الرَّشِيدِ، وكَانَ نَازِلًا فِى قَصْرِهِ بِالخُلْدِ، تَحَوَّلَ الَى قَصْرِ أَبِى جَعْفَرٍ بالمَدِينَةِ، وأَمَرَ النَّاسَ بِالحضورِ لِيومِ الجُمُعَةِ فَحَضَرُوا وصَلَّى بهِمْ فلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ صَعِدَ المنبرَ فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عليـه ونَعَى الرشيدَ الى النَّاسِ وعزَّى نفسَهُ والنَّاسَ، ووعدَهُم خيرًا وبَسَطَ الآمَالَ، وأَمَّنَ الأَسْوَدَ والأَبيضَ، وبَايَعَهُ جِلَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وخَاصَّتُهُ ومَوَالِيـه وقُوَّادُه، ثُمَّ دَخَلَ وَوَكَّلَ ببيعتِهِ عَلَى مَنْ بَقِىَ مِنْهُم عَمَّ أَبيه سُلَيْمَانَ بنَ أَبِى جَعْفَرٍ فبَايَعَهُمْ

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . ولد فى طبرستان، ورحل الى بغداد وغيرها فى طلب العلم حتى صار من علماء الدين وأئمة البلاغة . له مؤلفات أشهرها تفسير القرآن وكتاب التاريخ الذى اقتبسنا منه هذه النبذة . وقد توفى سنة ٣١٠ هـ .

وأمَرَ السِّنْدِيّ بمُبَايعةِ جميع النـاسِ منَ القوّاد وسائر الجُند، وأمرَ للجُندِ ممّن بمدينةِ السَّلَامِ برزقِ أربعـةٍ وعشرينَ شهرًا وبخواص مَنْ كانَتْ له خَاصَّةٌ لهذه الشُّهُورِ .

(٥) من كتاب ألف ليلة وليلة وهو من أشهر الكتب القصصية وأكبرها له أصل فارسي يعدّ نواة له يسمى (هزار افسانه) .

حكاية خالد بن عبد الله القسرى مع الشاب السارق

وممـا يُحكَى أنّ خالدَ بن عبد الله القسرى كان أمير البصرة . فجاء إليـه جماعة متعلقون بشاب ذى جَمَالٍ باهرٍ، وأدب ظاهرٍ، وعقل وافر، وهو حسن الصورة طيب الرائحة، وعليه سَكِينَة ووقار، فقدَّمُوه الى خالد فسألهم عن قصته، فقالوا هذا لِصٌّ أصبناه (١) البارحة فى منزلنا، فنظر إليه خالد فأعجبه حسنُ هيئته ونظافتُه . فقال : خلّوا عنه (٢) . ثم دنا منه، وسأله عن قصته فقال : إنّ القومَ صادقُون فيما قالُوه والأمر على ما ذكروا . فقال له خالدٌ : ما حملك على ذلك وأنت فى هيئةٍ جميـلةٍ وصورةٍ حسنةٍ؟ قال : حَمَلَنِي على ذلك الطمعُ فى الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى . فقال له خالدٌ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ (٣) ! أما كان لك فى جمالِ وجهك وكمالِ عقلك وحسن أدبك زاجرٌ يزجرُك (٤) عن السرقة . قال : دع عنك هذا أيهـا الأمير ! وامضِ الى ما أمر الله تعالى به فذلك بمـا كسبتْ يدَاى، وما الله بظلام للعبيد . فسكت خالدٌ

---

(١) أصبناه : أدركناه .

(٢) خلى عن الأمر بتشديد اللام المفتوحة : تركه .

(٣) ثكلت المرأة ابنها : فقدته، وهى تكلى كلمة للدعاء على الإنسان، وقد تستعمل للاعجاب بالرجل .

(٤) أى ينهاه .

ساعةً يُفكر فى أمر الفتى، ثم أدناه منهُ وقال له: إن اعترافَكَ على رءوس الأشهاد قد رابني وأنا ما أظنك سارقاً، ولعلّ لك قصةً غير السرقةِ فأخبرني بها. قال أيها الأمير: لا يقعْ فى نفسك شيءٌ سوى ما اعترفتُ به عنـدكَ وليس لى قصةٌ أشرحُهَا إلا أنى دخلت دار هؤلاءِ فسَرَقْتُ ما أمكنني، فأدركوني، وأخذوه مني وحملوني إليـك.

فأمر خالد بحبسه، وأمَرَ منادياً ينادى بالبصرة: ألا من أحَبَّ أن ينظرَ الى عقوبةِ فلانٍ اللص وقطع يده فليحضُرْ منَ الغَدَاة الى المحلِّ الفلانى. فلما استقر الفتى فى الحبس ووضعوا فى رجليه الحديد تنفَّس الصُّعدَاءَ[1] وأفاض العبرات. وأنشد هذه الأبيات:

هَـدَّدني خالدٌ بقطع يَدى ... إذ لَمْ أَبُحْ عِنْـدَهُ بِقصَّتها

فقُلْتُ: هَيهاتَ أنْ أبوحَ بِمَا ... تَضمَّنَ القلبُ مِنْ مَحبَّتِهـا!

قطعُ يَدى بالذى اعترفتُ بهِ ... أهوَنُ لِلقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِها

فَسمِعَ ذلك المُوكَّلون بِهِ، فأتَوْا خالدًا وأخبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ مِنْهُ. فلمَّا جَنَّ[2] الليلُ أمَرَ باحضَارِهِ عندَهُ، فلما حضرَ استَنْطَقَهُ فرآهُ عاقِلًا أديباً فطناً ظريفاً[3] لبيباً. فأمَرَ له بطعامٍ، فأكلَ وتحدّثَ معهُ ساعةً، ثُمَّ قال له خالدٌ قد عَلِمتُ أنّ لك قِصةً غَيْرَ السَّرقَةِ فاذا كَانَ الصَّباحُ وحضرَ الناسُ وحضرَ القاضِي وسألَكَ عن السرقةِ فأنكِرْهَا، واذْكُرْ ما يَدْرأُ[4] عنكَ حَدّ القَطعِ، فَقَدْ قال رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلَّمَ:

---

(١) الصعداء: التنفس الطويل من هم أو تعب.

(٢) جن الليل: أظلم.

(٣) فطن للأمر: أدركه وحذق فيه فهو فطن. الظرف: الكياسة والحذق والبراعة. ورجل (ظريف): بارع كيس.

(٤) يدرأ عنك: يدفع عنك.

« ادْرَءوا الحُــدُودَ بالشُّبهاتِ » ثمَّ أمَرَ بهِ إلى السِّجْنِ (وأدْرَكَ شهرَزاد الصَّــباحُ فسكَتَتْ عَنْ الكلامِ المُبَاحِ) .

(وفى ليلة اثْنَتَيْنِ وأرْبعينَ وثلثِمائةٍ) قالتْ : بلَغَنِي أيها المَلِكُ السَّعيدُ أنَّ خالِدًا بعْدَ أنْ تَحدّثَ مع الشَّاب أمَرَ بِهِ إلى السِّجْن فمَكَثَ فِيهِ لَيْلَتَهُ ، فلمَّا أصْبحَ الصَّباحُ حَضَرَ الناسُ يَنْظُرونَ قَطْعَ يَدِ الشَّاب ، ولم يَبْقَ أحدٌ فى البصْرَةِ . ثمَّ استدعَى بالقُضاةِ وأمَرَ بإحضارِ الفَتَى ، فأقْبَلَ يَحْجِلُ[1] فِي قُيُودِهِ ولَمْ يَرَهُ أحدٌ مِنَ النَّاسِ إلَّا بَكَى عَلَيْهِ ، وارتَفعت أصواتُ النساءِ بالنحيب ، فأمَرَ القاضِي بِتَسكيتِ النِّسَاءِ . ثمَّ قال : إنَّ هَؤلاءِ القومَ يَزْعُمونَ أنَكَ دَخَلتَ دَارَهُمْ وسَرَقتَ مَالَهُم فلعلَّكَ سَرقتَ دُونَ النِّصابِ[2]؟ قالَ : بَلْ سَرَقْتُ نِصابًا كاملًا . قال : لعلَّكَ شَرِيكُ القَوْمِ فِي شيءٍ مِنـه؟ قال : بَلْ هو جَمِيعُهُ لَهُمْ لا حَقَّ لى فِيهِ . فغَضِبَ خالِدٌ ، وقامَ إليهِ بِنَفْسِهِ ، وضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ بالسَّوْطِ وقالَ مُتمثِّلًا بِهذا البيْتِ :

يُرِيدُ المَرْءُ أنْ يُعطَى مُنَـاهُ وَيَأْبَى اللهُ إلَّا مَا يُرِيدُ

ثمَّ دعَا بالجزَّارِ لِيَقْطَعَ يَدَهُ فحَضَرَ وأخْرَجَ السِّكِّينَ ومدَّ يَدَهُ و وضعَ عليها السكِّينَ ، فبَادَرَتْ جارِيَةٌ من وَسَطِ النســاء عليها أطمارٌ[3] وسِخَةٌ فصَرَخَتْ و رمَتْ نفسَها عليه ، ثم أسفَرت عن وجهٍ كأنّه القمرُ ، وارتفَع فِي الناسِ ضجّةٌ عظيمة ، وكاد أن يقَع بسببِ

---

(١) حجل (يحجل) : رفع رجلا ومشى متربثا على الأخرى .

(٢) نصاب السرقة : ما يجب فيه قطع اليد .

(٣) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم : الثوب البالى والجمع أطمار .

ذلك فتنةٌ طائرةُ الشررِ، ثم نادتْ تلك الجاريةُ بأعلى صوتِها ناشدتُك الله[١] أيها الأميرُ! لا تُعجّل بالقطع حتى تقرأ هذهِ الرُّقعةَ،[٢] ثُمّ دفعت اليه رُقعةً ففتحها خالدٌ وقرأها فاذا مكتوبٌ فيها هذه الأبياتُ :

أخالدُ هــذا مُستَهامٌ[٣] متيَّمٌ رمَتْهُ لحاظي عَنْ قِسِيِّ الحمالِقِ[٤]

فأصْماهُ[٥] سَهْمُ اللحْظِ مِنّي لأنه حَليفُ جوًى[٦] من دائهِ غيرِ فائقِ

أقَــرَّ بِمَا لَمْ يَقْــتَرِفْهُ كأنّه رَأى ذاكَ خيراً من هَتيكةِ[٧] عاشِقِ

فَمهلاً عنِ الصَّبِّ الكئيبِ، فإنّهُ كريمُ السّجايا في الورَى غيرُ سارِقِ

فلما قرأ خالدٌ الأبياتُ تنحّى ، وانْفرَدَ عَن الناسِ وأحضرَ المرأةَ، ثُمَّ سألَها عَن القِصّةِ فأخبرَتْهُ بأنَّ هَذا الفَتَى عاشقٌ لَهَا ، وَهِيَ عاشقةٌ له . وإنما اراد زيارَتَها فتوجَّه الى دارِ أهلِهَا ورَمى حَجَراً في الدارِ لِيُعلِمَها بمَجيئِهِ فسمِعَ أَبوها وإخوتُها صوتَ الحجرِ فصعِدُوا اليهِ . فلما أَحَسَّ بِهِم جَمَعَ قُماشَ[٨] البَيْتِ كُلَّهُ، وأَراهُم أنّه سارِقٌ

---

(١) ناشده الله : استحلفه وأقسم عليه بالله .

(٢) الرقعة هنا : القطعة من الورق التي يكتب فيها .

(٣) مستهام : مخلوب العقل من الحب .

(٤) حملاق العين بضم الحاء وسكون الميم : وحملاقها بكسر الحاء باطن أجفانها ، والجمع حمالق وحماليق والمراد همس العيون .

(٥) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٦) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . والحليف : الملازم . يقال فلان حليف جود أي ملازم للجود .

(٧) الهتيكة : الفضيحة .

(٨) قماش البيت : أمتعته .

سَتْرًا علَى معشُوقَتِه . فلما رأَوهُ على هذِهِ الحَالَةِ أخَذُوهُ . وقالُوا . هَذَا سارِقٌ، وأتَوا بِهِ اليك فاعتَرَفَ بالسرقَةِ وأَصرَّ على ذَلِكَ حتى لا يَفْضَحَنِي ، وقَدْ ارتَكَبَ هَــذِه الأُمورَ مِنْ رَمِي نَفْسِه بالسَّرقةِ لِفَرْطِ مُرُوءَتِهِ ،وكَرَمِ نَفْسِه ،فقَالَ خالدٌ إنَّهُ لَخَلِيقٌ بأَنْ يُسْعَفَ بمُرَادِهِ ،ثمَّ استَدْعَى الفَتَى اليْهِ فقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ،وأَمَرَ بإحْضَارِ أبى الجَارِيَةِ ،وقَالَ لَهُ ياشَيْخ : إنَّا كُنَّا عَزَمْنَا عَلَى إنْفَاذِ الحُكمِ فى هَذَا الفَتَى بِالقَطْعِ ، ولكِنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ قَدْ حَفِظَهُ مِنْ ذَلِكَ . وقَدْ أمَرْتُ لَهُ بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ لِبَذْلِهِ يَدَهُ حِفْظًا لعِرضِكَ وعِرْضِ بِنْتِــكَ وصِيَانَتِكُمَا مِنَ العار . وقَدْ أَمَرْتُ لابْنَتِــكَ بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ حَيْثُ أخْبَرتْنِي بحَقِيقَــةِ الأَمْرِ . وأنَا أسْأَلُكَ أن تَأذَنَ لِي فى تَزْوِيجِهَا مِنْــهُ ، فقَالَ الشيخُ : أيها الأميرُ! قد أذِنتُ لَكَ فى ذلكَ! فَحَمِدَ اللهَ خالدٌ وأثنَى عَلَيْهِ، وخَطَبَ خُطْبَةً حَسَنَةً، (وأدرَكَ شهر زادَ الصَّبَاحُ فسَكَتَتْ عَنْ الكلامِ المُبَاحِ) .

(ب) الشعر

(١) بشّار بن بُرْد [١]

قال بشّار بن برد يهجو العبّاس بن محمد بن علی بن عبد الله بن عباس ، وقد استمنحه فلم يمنحه :

ظِلُّ اليسارِ على العبّاسِ ممدود ... وقلبُـه أبداً بالبخل مَعقود [٢]

إنّ الكريمَ ليخفى عنك عُسْرَته ... حتى تراهُ غَنِياً وهو مجهود [٣]

وَللبخيل على أموالِه عِلَلٌ ... زُرقُ العيون عليها أَوجهٌ سود [٤]

---

(١) هو أبو معاذ بشار بن برد ، أصل آبائه من بلاد الفرس ، وقع عليهم سبي فآل ملك أبي بشار لبني عقيل وفيهم ولد بشار . ولما كبر صار يختلف إلى أعراب البصرة حتى أخذ عنهم العربية وتعلم الشعر ونبغ فيه ، وقد ولد أعمى ثم أصابه الجدری فصار قبيح المنظر ، ولكنه كان شديد الذكاء واسع الخيال ذا ملكة فی الشعر قوية ، يعدّ من أكبر شعراء عصره وفی مقدمة المحدثين وأهل الافتنان ، ومن أصحاب المعانی المخترعة فی الشعر العربی ، وكان كثير الهجاء للناس ، ماجنا ، متهما فی دينه بالزندقة ، لا يبالی ما يقول ولا ما يفعل ، ولا ما يرتكب من التهتك والكلام فی أعراض الناس . وقد تصرف بشار فی فنون الشعر ومعانيه ، وذاع شعره فی زمانه ، وصار إماما بين الشعراء ، وكان لأسلوبه قوة معروفة وجمال ممتاز ، وقد مات مقتولا سنة ١٦٧ هـ .

(٢) اليسار : الغنى . معقود بالبخل : مجتمع عليه ملازم له .

(٣) العسرة : الفقر . المجهود : المتعب من قلة المال .

(٤) عِلل : جمع علة بالكسر أی حجة وعذر يمنعه الكرم . ويريد بالشطر الثانی أنها حجج بغيضة كريهة .

إذا تكرَّهتَ أن تُعطى القليلَ ولم ... تَقدر على سَعَةٍ لم يَظهر الجُود[١]

أَوْرِق بخير تُرجَّى للنوالِ ، فما ... تُرجَى الثمار إذا لم يُورق العُود[٢]

بُثَّ النَّوالَ ، ولا تمنعْك قِلَّتُهُ ، ... فكل ما سَدَّ فقراً فهو محمود

وقال يتغزَّل وقد نهاه الخليفة المهدى عن الغزل :

يا مَنظراً حسناً رَأيْتُهْ ... مِنْ وَجهِ جاريةٍ فَدَيْتُه

بَعثَتْ إلىَّ تَسومُنى ... ثوبَ الشباب ، وقد طَوَيْتُهْ[٣]

واللهِ ربِّ مُحمَّدٍ ... مَا إن غَدَرْتُ ، ولا نَوَيْتُهْ[٤]

أمسكتُ عنك ، وربَّما ... عَرضَ البلاءُ ، وما ابتَغَيْتُهْ

إنَّ الخليفةَ قد أَبَى ... وإذا أَبَى شيئاً أَبَيْتُهْ

ومُخضَّبٍ رَخْصِ البَنا ... نِ بَكى عَلَىَّ ، وما بكَيْتُهْ[٥]

ويَشُوقُنِي بيتُ الحبيب إذا ادَّكرتُ ، وأين بَيْتُهْ[٦]

قام الخليفةُ دونَه ، ... فصبرتُ عنهُ ، وما قَلَيْتُهْ[٧]

ونَهانىَ المَلكُ الهُما ... مُ عن النِّساء ، وما عَصَيْتُهْ[٨]

---

(١) تكرهت الشيء : تسخطته وفعلته على كره . السعة هنا : العطاء الكثير ، أى إذا تأخرت عن بذل القليل ، ولست قادرا على بذل الكثير فلا يظهر لك عطاء .

(٢) أورق الشجر : ظهر ورقه . النوال : العطاء ، يسأله إظهار العطاء ولو قليلا ، فانه اذا لم يعط القليل لا يرجى منه الكثير .

(٣) تسومنى ثوب الشباب : ترغب أن أغازلها .

(٤) نويته : أى الغدر .

(٥) المخضب : الملون بالخضاب . رخص : لين ناعم . البنان : أطراف الأصابع ، جمع بنانة .

(٦) يشوقنى : يهيجنى : ادكرت : تذكرت .

(٧) قليته : أبغضته .

(٨) الهمام : الملك العظيم الهمة .

لا بل وفيْتُ ، فلم أضع عهداً ، ولا رَأياً رأيتُهْ (١)
وأنا المطِلُّ على العِدَا وإذا غلاَ الحمدُ اشتريتُهْ (٢)
أصفى الخليل إذا دنا و إذا نأى عنى نأيته (٣)
وأميلُ فى أنسِ النديم من الحياءِ،وما اشتهيتُهْ (٤)

قال يرْثى ولداً له :

جَارَتَنَا لا تجزَعى وأنيبى أَتَانِى مِن المَوتِ المُطِل نَصيبى (٥)
بُنَىَّ عَلَى رَغْمِى وسُخْطِى رُزِئْتُه وَبُدِّلَ أحْجاراً وَجَالَ قَلِيب (٦)
وكان كريحانِ الغصونِ تخاله ذوى بعد إشراقٍ يسر وطيب (٧)
أصِيبَ بُنَىَّ حين أورَقَ غُصنُه وَأَلْقِى عَلَىَّ الْهَمَّ كُلُّ قَرِيب
عَجِبْتُ لإسْراع المنيَّةِ نَحوه وَمَا كَانَ لَوْ مُلِّيتُه بعَجِيب (٨)

ومن قوله يصف جيشاً من قصيدة بها يمدحَ عُمَرَبن هُبَيرَة حين وفد عليه بالعراق :

وَجَيْشٍ كَجُنح اللَّيْل يزحَفُ بالحَصَى و بالشَّوْكِ وَالخَطِّىِّ حُمْرٌ ثَعَالِبُهْ (٩)

---

(١) النأى : البعد .

(٢) المطل على العدا : المستمر فى إيذائهم . الحمد : الثناء . يقول : إننى مع خضوعى لأمر الخليفة لازلت قويا على العدو كريما أشترى الثناء ببذل المال .

(٣) أصفى الخليل : أخلص له الود . دنا : قرب . نأيته : بعدت عنه .

(٤) يميل فى أنس النديم : يقوم بمؤانسته . النديم : الرفيق والمصاحب . وهو أيضا المشارك فى الشراب . اشتهيته : رغبت فيه ؛ يصف نفسه بكرم الخلق وحسن المعاملة .

(٥) أنيبى : ارجعى الى هداك . المطل : المؤذى . يقول لجارته لتكن فى مصيبتى أسوة لك وعزاء .

(٦) رزئته : فقدته . الجال : الجانب . القليب : البئر . والمراد هنا القبر .

(٧) ذوى الغصن : يبس . الإشراق هنا : النضارة .

(٨) مليته : نعمت ببقائه .

(٩) جنح الليل : قسم منه . الخطى : الرمح نسبة إلى الخط مكان تباع فيه الرماح . ثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل فى السنان . وهى حمر من دماء الأعداء .

غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فى خِدْرِ أُمِّهَا ... تُطَالِعُنَا والطَّلُّ لم يَجْرِ ذَائِبُــهُ(١)

بِضَرْبٍ يذوقُ الموتَ من ذَاقَ طَعْمَه ... وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الفِرَارُ مَثَالِبُهُ(٢)

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فوقَ رُءُوسِـنَا ... وأسيافَنَا لَيْلٌ تهاوى كَوَاكِبُهْ(٣)

بَعَثْنَـا لَهُمْ مَوْتَ الفُجَاءَةِ، إِنَّنَـا ... بَنُو الموتِ خَفَّـاقٌ علينا سَبَائِبُهُ(٤)

فَرَاحُوا فَرِيقٌ فى الإِسَارِ وَمِثْلُهُ ... قَتِيــلٌ ومِثْلٌ لاذَ بالبَحْرِ هَارِبُهُ(٥)

إِذَا الملكُ الجَبَّار صَعَّرَ خَدَّهُ ... مَشَيْنَا إِلَيْـهِ بالسُّيوفِ نُعَاتِبُه(٦)

* * *

إِذَا كُنْتَ فى كُلِّ الأمورِ مُعَاتِبًا ... صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الذى لَا تُعَاتِبُهُ(٧)

فَعِشْ واحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فإنَّهُ ... مُقَـارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجَانِبُهُ(٨)

إذا أَنْتَ لم تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى القَذَى ... ظَمِئْتَ وأَىُّ الناسِ تصفو مَشَارِبُهُ(٩)

---

(١) غدونا : خرجنا أول النهار . الخدر الستر أو المنزل . تطالعنا : تطلع علينا حين شروقها . والطل هنا : الندى .

(٢) بضرب متعلق بغدونا فى البيت قبله . مثالب جمع مثلبة : العيب وهى فاعل تدرك . ونجى : نجاه بحذف العائد يقول : ان عدونا بين رجلين ميت من ضربنا ، وفار لحقه العار والمسبة .

(٣) النقع : الغبار تثيره الحروب . تهاوى : تتساقط . يشبه حركات السيوف وسط الغبار بالليل تتساقط نجومه وهو تشبيه جيد .

(٤) الفجاءة : البغتة . السبائب : جمع سبيبة وهى الشقة الرقيقة من الكتان . والمراد هنا أعلام الجيش المحارب ، كناية عن أنهم رجال حرب شجعان .

(٥) الإسار : الأسر . يريد أن جيش العدو توزع بين الأسر والقتل والهرب .

(٦) صعر خده : أماله عن النظر الى الناس كبرا عليهم و زراية بهم . نعاتبه بالسيوف : نقاتله .

(٧) اذا حاسبت الناس على جميع هفواتهم فانك لن تستصفى فى الناس صديقا اذ لا يسلم أحد من الهفوات .

(٨) مقارف الذنب : مخالطه وفاعله .

(٩) القذى : ما يقع فى العين أو الشراب من تبن ونحوه . أى اذا لم تحتمل الحياة على ما بها من نقص تعبت وليس فى الدنيا انسان كامل الخلال .

٢ ـ قال السَّيِّدُ الحِمْيَرِيّ (١) يخاطب ابا عبد الله السفّاح لما استقام الأمر لبني العبّاس

دُونَكُمُوها يا بَنِي هَاشِمٍ فَجَدِّدُوا من عهدِها الدارِسا (٢)

* * *

دونكموها فالبَسُوا تاجَها لا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ له لابِسا (٣)

لو خُيِّرَ المِنبرُ فُرْسانَهُ ما اخْتارَ إلاّ مِنكُمْ فارِسا (٤)

قد سَاسَها قبلكم سَاسَةٌ لم يتركوا رَطْباً ولا يابِسا (٥)

ولستُ مِنْ أن تملكوها إلى مهبِطِ عِيسَى فيكُمُ آيِسا (٦)

---

(١) هو إسماعيل بن محمد اليمنى ، علوى المذهب مخلص له ، غالى فيه ، ظل حياته يمدح عليا وآله ، ويسب الصحابة حتى توفى سنة ١٧٠ هـ

(٢) درس : بلى وانمحى .

(٣) البيت : دعاء لبنى العباس بدوام الخلافة فيهم .

(٤) فرسان المنبر : من يعتلونه من الخلفاء .

(٥) ساس الأمور يسوسها : تولاها وتدبرها ، فهو ساس والجمع ساسة . ولم يتركوا رطبا ولا يابسا ، أى أنهم تركوا البلاد خرابا بسوء سياستهم وقبح رأيهم ، وهو يريد بنى أمية .

(٦) أيس فهو (آيس) : قنط وقطع الرجاء ، يريد أنه ليس يائسا من بقاء الخلافة فيهم إلى أن يهبط عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .

وقال :

مَاجَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى القَلْبِ مِنِّى فِيكِ إِلَّا اسْتَتَرْتُ عَنْ أَصْحَابِى
مِنْ دُمُوعٍ تَجْرِى فَإِنْ كُنْتُ وَحْدِى خَالِياً ، أَسْعَدَتْ دُمُوعِى انْتِحَابِى[1]
إِنَّ حُبِّى إِيَّاكِ قَدْ سَلَّ جِسْمِى وَرَمَانِى بِالشَّيْبِ قَبْلَ الشَّبَابِ[2]
لَوْ مَنَحْتِ اللِقَا ! كَفَى بِكِ صَبًّا هَائِمَ القَلْبِ قَدْ ثَوَى فِى التُّرَابِ[3]

وقال فى على بن أبى طالب رضى الله عنه :

سَائِلْ قُرَيْشًا إِذَا مَا كُنْتَ ذَا عَمَهٍ مَنْ كَانَ أَثْبَتَهَا فِى الدِّينِ أَوْتَادَا[4]
مَنْ كَانَ أَعْلَمَهَا عِلْماً وَأَحْلَمَهَا حِلْماً وَأَصْدَقَهَا قَوْلاً وَمِيعَادَا
إِنْ يَصْدُقُوكَ فَلَنْ يَعْدُوا أَبَا حَسَنٍ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلْقَ لِلأَبْرَارِ حُسَّادَا[5]

---

(١) أسعده على الأمر : عاونه . والانتحاب : البكاء الشديد

(٢) سله : أهزله وأضعفه .

(٣) الصب : العاشق ذو الولع الشديد ، وثوى بالمكان يثوى بكسر الواو ثواء : أقام . والثاوى فى التراب : الميت ؛ يريد بالصب الهائم الميت نفسه مبالغة فيا أضناه من الحب .

(٤) العمه ، بفتح العين والميم : عمى البصيرة ، والأوتاد : جمع وتد وهو مادق فى الحائط أو الأرض من خشب ونحوه ليربط به غيره وهو أيضا الجبل .

(٥) يصدقوك بضم الدال : يقولون لك الصدق . و يعدوا يتجاوزوا . هو أبو الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه . الأبرار : جمع بر بفتح الباء : الصالح ونحوه .

وكتب إلى يزيد بن مذعور مولى أبى بُجير أمير الأهواز :

قِف بالديارِ وَحَيِّهَا يَا مَرْبَعُ	وَاسْأَلْ وَكَيْفَ يُجِيبُ مَنْ لاَ يَسْمَعُ (١)
إنّ الدِّيَارَ خَلَتْ وَلَيْسَ بِجَوِّهَا	إلَّا الضَّوابِحَ وَالْحَمَامُ الْوُقَّعُ (٢)
وَلَقَدْ تَكُونُ بِهَا أَوانِسُ كَالدُّمَى	جُمْلٌ وَعَزَّةُ والرَّبَابُ و بَوْزَعُ (٣)
حُورٌ نَوَاعِمُ لاَ تَرَى فِى مِثْلِهَا	أَمْثَالُهُنَّ مِنَ الصِّيانَةِ أَرْبَعُ (٤)

*
* *

فَاسْلَمْ فَإنَّكَ قَدْ نَزَلْتَ بِمَنْزِلٍ	عند الامير تَضُرُّ فيه وَتَنْفَعُ (٥)
تُؤتَى هَوَاكَ إذَا نَطَقْتَ بِحَاجَةٍ	فيه وَتَشْفَعُ عِنْدَهُ فَتُشَفَّعُ (٦)

---

(١) مربع : اسم شخص . بعد أن سأل صاحبه الوقوف بالديار، وتحيتها ، وسؤالها عن أهلها السابقين، عاد فأنكر ذلك السؤال إذ لا سبيل الى إجابة الديار التى ليس من شأنها السمع .

(٢) ضبحت الأرانب والثعالب : صوّتت . الضوابح : المصوّتة . الوقّع : بضم الواو وتشديد القاف المفتوحة الساقطة على الشجر أو الأرض . يريد أن الديار خلت إلا من الحيوان المصوّت والحمام النازل بالأرض .

(٣) أوانس : جمع آنسة وهى الفتاة الطيبة النفس أو التى تؤنس صاحبها . والدمى : جمع دمية بضم الدال وسكون الميم وهى التمثال . والعرب يشبهون المرأة الجميلة بالدمية . وجمل بضم الجيم وما بعدها أسماء أعلام .

(٤) حور : جمع حوراء، وهى الشديدة بياض العين والشديدة سوادها . ونواعم : جمع ناعمة ؛ يريد أن أربعتهن ليس لهن شبيه فى عفتهن .

(٥) المراد بالمنزل المكان . فاسلم : جملة دعائية يرجو للمدوح السلامة من الشر .

(٦) هواك : سؤالك ومطلبك . تشفع بضم التاء : تقبل شفاعتك .

قل للأميرِ اذا ظَفِرت بخلوةٍ ... منه ولم يكُ عِنده مَنْ يَسْمعُ
هبْ لِي الذِي احْبَبْتهُ فى أحْمَدٍ ... وبَنيه إنَّك حَاصِدٌ ما تَزْرعُ (١)
يختص آلُ مُحمَّدٍ بمَحبَّةٍ ... فى القلب قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْها الأَضْلعُ

جلس المهدى يوما يعطى قريشا صِلات لهم وهو ولى عهد، فبدأ ببنى هاشم ثم بسائر قريش، فجاء السيد الحميرى فرفع الى الربيع رقعة مختومة وقال إن فيها نصيحة للأمير فأَوْصِلْها اليه فأَوْصَلها فاذا فيها :

قُلْ لابن عَبَّاسٍ سَمِيِّ مُحَمَّدٍ ... لا تُعطِيَنَّ بَنِي عَدِيٍّ دِرْهَمَا (٢)
احرِمْ بَنِى تيمِ بن مُرَّةَ إنهم ... شَرُّ البَلِيَّةِ آخِرًا ومُقَدَّمَا
إنْ تُعْطِهِمْ لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً ... ويُكافئوك بأن تُذَمَّ وتُشْتَمَا
وإنِ ائْتمنتَهُم أَوِ اسْتَعْمَلْتَهُمْ ... خَانُوكَ واتَّخَذُوا خَراجَكَ مَغْنَمَاً (٣)
ولئن منعتَهُمُ لقد بدءُوكُمُ ... بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منَعُوا تُراثَ محمدٍ أعمامَهُ ... وبَنِيهِ وابنَتَه عديلةَ مَريما (٤)
وتأمَّروا من غير أن يُستَخلَفُوا ... وكفى بما فَعلوا هنالك مَأثَما! (٥)
لَمْ يَشْكُرُوا لِمُحَمَّدٍ إنعَامَهُ ... أفيَشْكُرونَ لِغَيْرِهِ إن أنعَمَا

---

(١) هب لى فلانا : أى أطلقه .

(٢) يريد بابن عباس الخليفة المهدى .

(٣) استعملهم : اتخذهم عمالا ، أى ولاهم المناصب . والخراج : الضريبة على الأرض والجزية .

(٤) التراث : ما يخلفه الميت لورثته . وعديلة مريم نظيرتها .

(٥) تأمروا : تسلطوا وتحكموا . ويستخلفوا : أى يكونوا خلفاء .

وَاللَّهُ مَنَّ عَلَيْهِمْ بِمُحَمَّدٍ   وَهَدَاهُمُ وَكَسَا الْجُنُوبَ وأَطْعَمَا (١)

ثُمَّ انبَرَوا لِوَصِيِّهِ وَوَلِيِّهِ   بِالْمُنْكَرَاتِ فَجَرَّعُوهُ الْعَلْقَمَا (٢)

(٣) مَرْوان بن أبى حفصة (٣)

قال يمدح المهدى ويحتج لبنى العباس :

طرقتكَ زائرةً فحىِّ خيالَهَا   بيضاءُ تخلطُ بالجمالِ دلالَهَا (٤)

قادت فؤادَك فاستقادَ ومثلُها   قادَ القلوبَ الى الصِّبا فأمالها (٥)

فكأنما طرقتْ بنفحةِ روضةٍ   سحَّتْ بها ديَمُ الربيعِ طِلالَهَا (٦)

باتت تسائل فى المنامِ معرِّسا   بالبيدِ أشعثَ لا يَمَلُّ سُؤالَهَا (٧)

فى فتيةٍ هجعوا غِرارًا بعدما   سئموا مُراعشةَ السُّرى ومطَالَهَا (٨)

---

(١) كسا الجنوب : أى كساهم من إطلاق الجزء وإرادة الكل .

(٢) انبرى له : اعترضه ، و يريد بوصيه ووليه على بن أبى طالب . جرعوه العلقم : سقوه المر .

(٣) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة . كان جدّه فارسيا ومولى لعثمان بن عفان ثم وهبه عثمان لمروان بن الحكم . وقد نشأ مروان بن أبى حفصة فى آخر دولة بنى أمية ولكنه لم يشتهر إلا فى دولة بنى العباس بمدحه المهدى ومعن بن زائدة الشيبانى وهارون الرشيد . وقد برع مروان فى المدح براعة عظيمة ويحسبونه فى ذلك من طبقة بشار و يعدّونه من فحول الشعراء وقد توفى سنة ١٨١ هـ .

(٤) يقال طرق فلان القوم : أتاهم ليلا . (٥) استقاد : انقاد . والصبا بكسر الصاد : الشوق .

(٦) سح الغمام المطر : صبه صبا متتابعا غزيرا . والديم جمع ديمة : وهى المطر الذى يدوم بلا رعد . ولعل المراد هنا بديم الربيع سحبه . والطلال : جمع طل وهو المطر الضعيف . يريد أنها عند زيارتها كان يفوح من طيب ريحها مثل ما يفوح من الروضة رواها المطر فى الربيع .

(٧) المعرّس بضم الميم وتشديد الراء المكسورة . يقال عرس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة . والبيد : جمع بيداء وهى الفلاة . والأشعث : المغبر يريد نفسه .

(٨) يقال : نام غرارا أى نوما قليلا . والسرى : السير فى الليل . و يقال للناقة التى تهتز فى السير لرعشها : رعشاء . ومطالها : مطلها وتسويفها فى الوصول الى المقصد لطول الطريق . يقول : إنهم ناموا نوما خفيفا بعد أن سئموا طول السير والاهتزاز بسرعة النوق .

فكأنَّ حشوَ ثيابهم هندية ... نَحِلتْ وأعفلت القُيُونُ صقالَها (١)

طَلَبتْ أميرَ المؤمنينَ فواصَلتْ ... بَعد السُّرى بغُدُوِّها آصالَها (٢)

نَزعتْ اليكَ صَوادِيًا فتقاذفتْ ... تطوى الفَلاةَ : حُزُونَها ورِمالَها (٣)

أحيا أميرُ المؤمنينَ مُحَمّدٌ ... سُنَنَ النبي حَرامَها وحَلالَها (٤)

مَلِكٌ تفرّعَ نبعةً من هَاشِمٍ ... مَدّ الإلهُ على الأنامِ ظِلالَها (٥)

ثَبْتٌ على زَللِ الحَوادِثِ رَاكِبٌ ... مِنْ صَرْفِهِنّ لِكلِّ حالٍ حَالَها (٦)

كِلْتا يديْكَ جعلْتَ فَضْلَ نَوالِها ... لِلْمُسلمينَ ولِلعَدُوِّ وبَالَها (٧)

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّماءِ نُجُومَها ... بِأكُفِّكُمْ أمْ تحجُبُونَ هِلالَها (٨)

(١) الهندية : السيوف المصنوعة فى الهند لأنها كانت تجيد صناعتها . ونحلت من باب علم : هزلت ورقت . والقيون : جمع قين وهو الحداد . والصقال : الصقل يقال صقل السيف جلاه وكشف صدأه يريد أنهم أمسوا من شدة التعب وطول السفر ناحلين مهزولين حتى كانوا فى رقة أجسامهم واعبرارها كالسيوف الهندية التى لم تجل ولم يكشف عنها صدؤها .

(٢) طلبته : قصدت اليه . والغدو أول النهار . والآصال : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب . يقول إنها بعد سير الليل كانت تسير النهار كله .

(٣) الصوادى : الشديدة الظمأ . يقال : صدى يصدى من باب علم أى عطش عطشا شديدا والحزون جمع حزن بفتح الحاء، والحزن ضد السهل .

(٤) يريد احياءه حلال السنن وحرامها إبانة ما أحلت السنن وما حرمت والعمل بذلك .

(٥) النبعة : واحدة شجر النبع . ويقال : هو من نبعة كريمة أى من أصل كريم . وتفرع فلان القوم . علاهم .

(٦) الثبت بفتح الثاء وسكون الباء : هنا الثابت . وزلل الحوادث : انحرافها وصرف الدهر : نوازله . يقول : إنه مهما تضطرب حوادث الزمان فهو ثابت لا يتزلزل ، وأنه يعالج كل حادثة بما يناسبها . وهذا هو الذى عبر عنه بقوله (راكب لكل حال حالها) .

(٧) النوال : العطاء . والوبال : الوخامة وسوء العاقبة .

(٨) التفت فى هذا البيت الى خطاب العلويين ليبطل دعواهم استحقاق الخلافة دون بنى العباس .

أمْ تَجحدُونَ مَقَالَةً عن رَبِّكُمْ ... جِبْريلُ بَلَّغَهَا النبيَّ فقالَهَا [١]

شَهِدَتْ من الأنْفَالِ آخِرُ آيةٍ ... بِتُرَاثِهِمْ فأردتمُوا إبْطَالَهَا [٢]

وقال يمدح المهدى — عند ما عقد البيعة لابنه الهادى — ويحتج للعباسيين على الطالبيين :

يا بنَ الذي ورِثَ النبيَّ محمدًا ... دونَ الأقاربِ من ذَوِي الأرْحامِ [٣]

الوحيُ بينَ بَنِي البَنَاتِ وبينكم ... قَطَعَ الخصامَ فلاتَ حينَ خِصامِ [٤]

مَا للنساءِ معَ الرجالِ فَرِيضةٌ ... نَزَلَتْ بذَلِكَ سُورةُ الأنعَامِ [٥]

خَلُّوا الطريقَ لمعشَرٍ عاداتُهم ... حَطْمُ المناكبِ كُلَّ يومِ زِحَامِ [٦]

ارْضَوا بما قَسَمَ الإلهُ لكمْ بِهِ ... ودَعُوا وِرَاثَةَ كُلِّ أصْيَدَ حَامِ [٧]

أنَّى يكونُ وليسَ ذاكَ بكائنٍ ... لِبَنِي البَنَاتِ وِراثةُ الأعْمَامِ [٨]

---

(١) تجحدون، الجحود : الإنكار مع العلم .

(٢) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويعنى بآخر آية من سورة الأنفال قول الله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) .

(٣) الأرحام : جمع رحم : القرابة . ويريد وراثة أمر المسلمين .

(٤) الوحى : القرآن أو جبريل . وبنو البنات : أولاد على بن أبى طالب من نسل فاطمة بنت الرسول عليه السلام وهم العلويون .

(٥) الفريضة : القسم فى الميراث .

(٦) حطم المناكب : كسرها . ويوم زحام : يوم تنافس فى مجد ، ويريد بالمعشر العباسيين .

(٧) الأصيد : الملك أو السيد . والحامى : من يحمى ذويه ومن يلوذ به .

(٨) بنو البنات : هم أولاد علىّ من فاطمة رضى الله عنهما . والأعمام : العباسيون لأن أباهم العباس عم الرسول ، والعم أولى بوراثة ابن أخيه ، وذلك حكم فقهى فى الميراث .

أَلْغَى سِهامَهم الكِتابُ فحاوَلوا ... أن يَشْرَعوا فيها بِغَيرِ سِهامِ (١)

ظَفِرَت بَنُو سَاقِي الحَجِيجِ بِحَقِّهم ... وغُرِرْتُم بَتَوَهُّم الأحْلامِ (٢)

عُقِدتْ لمُوسى بالرُّصافَةِ بَيعَةٌ ... شَدَّ الإلهُ بِها عُرَا الإسلامِ (٣)

مُوسى الذى عَرفَتْ قُرَيْشٌ فَضلَه ... ولَهَا فَضيلتُها عَلَى الأقوامِ

(٤) العَبَّاسُ بنُ الأَحْنَفِ (٤)

قال :

عَدْلٌ من اللهِ أَبْكانِي وأضْحَكَها ... فالحمدُ لِلّهِ عَدْلٌ كُلُّ ما صنعا

اليومَ أَبكى على قلْبِي وأَنْدُبُهُ ... قَلبٌ أَلَحَّ عليه الحُبُّ فانْصَدَعا (٥)

وقال : وقد اصطحبه الرشيد الى خراسان وطال مقامه بها ثم خرج الى أرمينية :

قالُوا خُراسَانُ أَقْصَى ما يُرادُ بنا ... ثم القُفُولُ فقدْ جِئنا خُراسانا (٦)

---

(١) يشرعوا فيها : ينالوا منها ، بغير سهام : بغير حق .

(٢) ساقى الحجيج : العباس بن عبد المطلب لأنه كانت عليه سقاية الحاج حين يردون مكة ، وذلك فى الجاهلية .

(٣) الرصافة : محلة ببغداد ، شدت بها الخ . قوى بها شأن الدين .

(٤) كان العباس بن الأحنف شاعرا ظريفا . نشأ فى بغداد فى حال يسر ورخاء . لم يصطنع المدح والتكسب بالشعر ، بل توفر على الغزل فى محبوبته فوز ، ولزم هذا الفن وحده مجيدا موفقا حتى مات سنة ١٩٢ هـ .

ويمتاز شعره بالسهولة ، وحسن التصرف ، وجمال المعانى ، فهو من شعراء الغزل العذريين وان لم يحكهم تماما .

(٥) ألح فى السؤال . واظب عليه . والالحاح هنا : بمعنى الاسراف . وانصدع : انشق .

(٦) القفول : الرجوع . يقول انهم قالوا إن أقصى رحلتنا خراسان ثم الرجوع وها نحن أولاء قد بلغناها فلماذا لا نعود ؟

ما أقدرَ اللهَ أنْ يُدْنِي على شَحَطٍ ... سُكانَ دِجْلَةَ من سُكّان جَيحَانا (١)

يا لَيتَ مَنْ تمنى عِنْـدَ خَلْوتِنا ... إذا خَلا خَلْوةً يــومًا تمنّــانا (٢)

وقال :

سَلَبتْنِي من السُّرورِ ثِيَــابا ... وكَستْنِي من الهُمُــومِ ثِيَابَا

كُلّمـا أغلقَت من الوصْلِ بابًا ... فَتَحتْ لى الى المَنِيّـــةِ بَابَا

عَذّبتْنِي بِكلِ شيءٍ سِوَى الصّـ ... ـدّ فمـا ذُقتُ كالصُّدُودِ عذَابا (٣)

وقال :

إنْ قَالَ لم يَفعل وإن سِيلَ لم ... يَبذُلْ وإنْ عُوتِبَ لم يُعتِب (٤)

صَبٌّ بِعِصْيانِي ولو قالَ لِي ... لا تَشْرَبِ البـاردَ لم أشْرَب (٥)

إليكَ أشْكو رَبِّ ما حَلَّ بِي ... من صَدّ هذا المذنِبِ المُغْضِبِ

وقال :

قلــبِي إلى ما ضَرَّ بي دَاعِ ... يُكْثِرُ أسْــقامِي وأوْجاعِي

كَيْفَ احْتِراسِي من عدُوّي إذا ... كان عَدُوّي بَيْنَ أضْــلاعِي (٦)

---

(١) الشحط : البعـد . ويريد بسكان دجلة : سكان بغداد. ودجلة : نهر تقع عليه هـذه المدينة وجيحان نهر بين الشام وبلاد الروم .

(٢) تمنى : تمناه .

(٣) الصد والصدود : الإعراض .

(٤) سيل : سئل . يعتب بضم الياء وكسر التاء : يرضى، يقال استعتبت فلانا فأعتبنى استرضيته فرضى .

(٥) صب : مغرم . وسكان جزيرة العرب شديدو الولع بشرب الماء البارد لشدة الحر فى بلادهم . ومثل هذا قول الشاعر :

غضبى ولا والله يا أهلها ... لا أشرب البارد أو ترضى!

(٦) عدوّه الذى بين أضلاعه : قلبه . لأنه هو الذى يغوم بهـا فيكثر من أوجاعه وأسقامه .

وقال :

قالت ظَلُوم سَمِيَّةُ الظُّلْمِ ... مالِي رَأَيْتُكَ ناحِلَ الجِسْمِ [1]

يا مَن رَمَى قَلْبِي فأقصَدَهُ ... أنتَ العَلِيمُ بمَوْضِعِ السَّهْمِ [2]

(٥) أبو نُوَاس [3]

قال يصف الخمر :

دعْ عنكَ لَوْمِي فإنَّ اللَّوْمَ إغراءُ ... وداوِنِي بالتي كانتْ هي الداءُ [4]

صَفراءُ لا تَنزِلُ الأحزانُ سَاحَتَها ... لو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ [5]

---

(١) ظلوم : اسم من يتغزل فيها . والجسم الناحل الهزيل .

(٢) وأقصده : السهم لم يخطئه .

(٣) أبو نواس واسمه الحسن بن هانئ . نشأ نشأته الأولى فى البصرة ، وكان يكلف بمن يجيدون قرض الشعر . ثم تحوّل الى الكوفة ليأخذ على والبة بن الحباب وكان والبة شاعرا ماجنا مشتهرا بالشراب وصافا للخمر ثم انتقل الى بغداد .

وبرع أبو نواس فى الشعر حتى بذّ أهل عصره ، ولم يجد شاعر قبله ولا بعده وصف الخمر كما أجادها . وكان ماجنا مستهترا . توفر عمره على تحصيل اللذائذ ما يبالى فى ذلك شيئا . وقرض الشعر فى أبواب المجون ، غير متأثم ولا متحرّج .

ولقد أجاد فى كل فنون الشعر ، وأوفى على الغاية . واتصل بمحمد الأمين الخليفة العباسى ، ومدحه بأجل القصيد ، وثبت على الولاء له — حتى بعد أن قتل — ودالت الدولة لأخيه المأمون . وأبو نواس بعظم افتنانه ، وقوة تصرفه فى الشعر ، ومتانة أسلوبه ، وجزالة لفظه ، وسلامة نظمه ، لا يعدّ من أعظم الشعراء العباسيين فحسب ، بل يعدّ من أعظم شعراء العربية على الإطلاق . وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ .

(٤) دع : اترك ويقال (أغراه بالشىء يغريه إغراء) حضه عليه . يقول الشاعر لصاحبه : لا تلمنى فان لومك يحضنى على طلب ما تنهانى عنه ويريد (بالتى كانت هى الداء) الخمر .

(٥) يريد بالصفراء الخمر . والساحة : الناحية . يريد أن الأحزان والهموم لا تحل بشرّابها ، وترقى فى هذا المعنى الى المبالغة الشديدة فزعم أن الحجر الأصم لو أصاب منها لدخل عليه السرور !

رَقَّتْ عن الماءِ حتى ما يُلائمُهَا لَطَافَةً ، وجَفَا عن شكلها الماء (١)

فلو مزَجْتَ بها نُورا لمازجَها حتى تَوَلَّد أنوارٌ وأضـواءُ (٢)

دَارَت على فِتْيةٍ دَانَ الزَّمانُ لهم فَمَا يُصيبهمُ إلا بما شَاءُوا (٣)

لِتلك أبكي ولا أبكي لمَنْزِلةٍ كانت تَحُلُّ بها هِندٌ وأسْماءُ (٤)

وقال أيضا فى الخمر :

ودَارِ نَدامَى عَطَّـلوهَا ، وأدلَجُوا بهـا أثَرٌ منهـمْ جَـديدٌ ودَارِسُ (٥)

مَساحِبُ من جَرِّ الزِّقاقِ على الثَّرى وأضْغَاثُ رَيْحانٍ جَنِيٌّ ويَابِسُ (٦)

---

(١) يلائمها : يوافقها . وجفا هنا : بمعنى قلق ولم يطمئن . يريد أن تلك الخمر بلغت من اللطف والرقة مالم يبلغ الماء .

(٢) تولد بحذف احدى التائين : أى تتولد أى أن النور هو الذى يصلح لمزاجها ولو كان ذلك لتولدت منهما أنوار وأضواء .

(٣) دان : ذل وأطاع . التفت الشاعر فى هذا البيت إلى أصحابه الذين يشاربهم ، فوصفهم بالعزة وارتفاع الأقدار إلى حد أن الزمان يذل لهم ؛ فهو لا يستطيع أن يصيبهم بشىء إلا ما يريدونه هم وما يتمنـونه !

(٤) المنزلة هنا هى الدار . يريد أن شوقه إنما هو إلى الخمر ، فهو اذا بكى بكى لها ، لا للمنازل التى كانت تسكنها المعشوقات ، كما يصنع غيره من الشعراء .

(٥) النـدامى : جمع ندمان ، وندامى الرجل من يجالسونه على الشراب . عطلوها : أخلوها . أدلج القوم إدلاجا : ساروا الليل كله أو فى آخره . والدارس : البالى . يذكر الشاعر فى هذا البيت دارا كان يجتمع فيها الصحب ويتعاقرون الخمر . فهجروها ومضوا ، وتركوا فيها آثارا لهم جديدة ، وأخرى قديمة بالية .

(٦) الزقاق : جمع زق ، وهو وعاء من جلد يحمل فيه الماء ونحوه . الثرى : التراب الندى ، ويريد هنا الأرض ، والأضغاث جمع ضغث وهو القبضة من العشب الغض . وجنى أى جنى لساعته . يبن الشاعر فى هذا البيت ذلك الأثر الذى أشار اليه فى البيت السابق . فاذا هو ما خط على الأرض بسحب زقاق الخمر وما تركوا هناك من أضغاث الريحان ، بين قديم مقطوف لوقته و يابس لطول العهد على قطافه .

حَبَسْتُ بها صَحْبي وجَدَّدت عَهْدَهم، وإنّي على أمثالِ تلك لَحَابِسُ (١)
تَدُورُ علينا الراحُ في عَسْجَدِيَّةٍ حبَتْها بأنواعِ التصاويرِ فارسُ (٢)
قَرَارَتُها كِسْرَى، وفي جَنَباتِها مَهًا تَدَّرِيها بالقِسِيِّ الفَوارِسُ (٣)
فلِلْخمرِ ما زُرَّتْ عليه جُيُوبُهم ولِلْماءِ ما دارَت عليه القَلانِسُ (٤)

وقال يمدح الخليفة محمدا الأمين :

وإذا المَطِيُّ بنا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فظُهُورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرَامُ (٥)
قَرَّبْنَنَا من خيرِ مَنْ وَطِئَ الحَصَى فلَهَا علينا حُرْمَةٌ وذِمَامُ (٦)
رفعَ الحِجَابَ لَنَا فلاحَ لِناظِرٍ قَمَرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ الأوهَامُ (٧)

---

(١) يريد أنه ألزم صحبه هذه الدار حيث توفروا على لهوهم وشرابهم وأعادوا العهد على مثل هذا العبث . إذ هو نفسه شديد الاهتمام بذلك .

(٢) الراح : الخمر . والعسجدية : نسبة الى العسجد وهو الذهب ، ويريد بها كأسا مذهبة لا من ذهب . وحباه بكذا يحبوه : أعطاه ومنحه . وفارس الأمة المعروفة .

(٣) قرارتها : أسفلها ، وهي هنا : ظرف مكان . والمهى : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية يضربونها المثل في حسن العيون . ادّرى الصيد : ختله وادّرى غفلته بمعنى تحينها . والقسي : جمع قوس ؛ والفوارس والفرسان : جمع فارس وهو راكب الفرس . يريد أن الكأس شلاة من أسفلها بصورة كسرى ؛ وهو لقب ملك الفرس . أما جوانبها فحلاة بصور فرسان يتحينون غفلة المها ليرموها بسهام أقواسهم .

(٤) الجيب : وجمعه جيوب ، طوق الثوب . والقلانس : جمع قلنسوة ، وهي أشبه (بالبرنيطة) التي يلبسها الفرنجة وكانت من لباس الفرس . يقول : إنهم كانوا يصبون الخمر في تلك الكأس حتى تحاذي أطواق صور الفوارس ثم يمزجونها بالماء حتى تحاذي رءوسهم .

(٥) المطي : جمع مطية ، وهي الدابة التي تركب . وهنا يراد بها النوق ، لأنها كانت مراكب القوم ، وخاصة في أسفارهم الطويلة ، يريد أن المطايا التي تحملهم حتى تبلغهم أمير المؤمنين ينبغي ألا يركبها أحد إكراما لها بما فعلت وتشريفا .

(٦) الحرمة والذمام بمعنى واحد ، وهو ما يجب القيام به وعدم التفريط فيه .

(٧) يريد بالقمر وجه ممدوحه الامين . وتقطع بحذف إحدى التاءين . يقول الشاعر إنه حين بدا الأمين فاذا هو قمر لا تستطيع الأوهام أن تقدر مبلغ حسنه وبهاء طلعته .

مَلِكٌ إذا عَلِقتْ يَداكَ بِحَبْلِه ... لا يَعْتَرِيكَ البؤسُ والإعدامُ (١)

فالبَهْوُ مُشْتَمِلٌ ببدرِ خلافةٍ ... لَبِسَ الشَّبابَ بِنُوره الإسْلامُ (٢)

سَبْطُ البَنانِ إذا احْتَبَى بِنجادِهِ ... فَرَعَ الجماجِمَ والسِّماطُ قِيامُ (٣)

إنَّ الذي يُرضِي الإلهَ بهَدْيِه ... مَلِكٌ تردَّى المُلْكَ وهو غُلامُ (٤)

مَلِكٌ إذا اعْتَسَرَ الأمورُ مضى به ... رأيٌ يَفُلُّ السَّيفَ وهو حُسامُ (٥)

داوى به اللهُ القُلوبَ من العَمَى ... حتى أفقْنَ وما بِهِنَّ سَقامُ (٦)

أصبحتَ يابنَ زُبَيْدةَ بنةِ جعفرٍ ... أملًا لِعَقْدِ حِبالِه استحكامُ (٧)

فَسَلِمْتَ للأمرِ الذي تُرجَى لَهُ ... وتقاعَسَتْ عَنْ يومِكَ الأيامُ (٨)

---

(١) علقت : تعلقت واتصلت . والبؤس : الفقر . والإعدام كذلك . يصف كرم الممدوح بأن من يلوذ به لا تناله شدة ولا يلحقه فقر .

(٢) يريد بالبهو هنا البيت . ومشتمل مزدان . ومعنى الشطر الثانى أنه أعاد للدين سلطانه .

(٣) السبط : السهل الذى لا خشونة فيه . والبنان : أطراف الأصابع . واحدتها بنانة . وسبط البنان : الكريم . والنجاد : حمائل السيف التى يعلق بها . احتبى بنجاده : لبسه . وفرع الجماجم : علاها . سماط القوم : صفهم .

(٤) تردى : لبس الرداء . والمراد أنه ولى الخلافة فتى .

(٥) اعتسرت الأمور : اشتدت والتوت . يفل السيف : يثلمه . والحسام : السيف القاطع . يريد أن الأمر إذا صعب حلها كان له فيها رأى نافذ سديد .

(٦) عمى القلوب : زيغها وضلالها . السقام بفتح السين : المرض .

(٧) وزبيدة أم الأمين جاءت به من هارون الرشيد ، وهى بنت جعفر بن المنصور . الأمل هنا المقصود والمأمول . استحكام : قوة . يقول صرت أملا يعلق الناس حاجتهم بك فلا يخيب رجاؤهم . وقوله (لعقد) الى آخر الجملة صفة لقوله (أملا) .

(٨) تقاعس : تأخر . يقول : إن أيامك خير الأيام .

وقال يصف ناقة :

وَلَقَدْ تَجُوبُ بِيَ الفَلَاةَ إِذَا ... صَامَ النَّهَارُ وقالت العُفْرُ (١)

شَدَنِيَّةٌ رَعَتِ الحِمَى فَأَتَتْ ... مِلْءَ الحِبَالِ كأنَّها قَصْرُ (٢)

تَثْنِي على الحاذَيْنِ ذَا خُصَلٍ ... تَعْمَالُهُ الشَّزْرَانُ والخَطْرُ (٣)

أَمَّا إذَا رَفَعَتْهُ شَامِذَةً ... فَتَقُولُ رَنَّقَ فَوْقَهَا نَسْرُ (٤)

أَمَّا اذَا وَضَعَتْهُ عَارِضَةً ... فَتَقُولُ أُرْخِيَ فَوْقَهَا سِتْرُ (٥)

وَتَسِفُّ أحيانًا فتحسبها ... مُتَرَسِّمًا يَقْتَادُهُ أَثْرُ (٦)

فَإِذَا قَصَرْتَ لَهَا الزِّمَامَ سَمَا ... فَوْقَ المَقَادِمِ مَلْطَمٌ حُرُّ (٧)

---

(١) الفلاة : الصحراء الواسعة . وتجوبها : تقطعها . ويقال : صام النهار اذا توسطت الشمس السماء . والعفر : نوع من الظباء واحدها أعفر . والقائلة : نصف النهار ، ويقال : « قال الرجل يقيل » اذا نام وقت القائلة . يصف ناقته بالقوة والصبر حتى انها لتجوب به الصحراء فى الوقت الذى ينتصف فيه النهار، وتقيل الظباء فرارا من شدة الحر، وهى من بنات الصحراء .

(٢) شدنية : فاعل تجوب فى البيت السابق . والناقة الشدنية : القوية . ورعت الماشية الكلأ أكلته . وحمى الرجل المكان الذى لا يقرب و(ملء الحبال) كناية عن الضخامة والبدونة . يريد أن ناقته كانت مرفهة مدللة تصيب من المرعى ما يمتنع على غيرها ، فقويت وسمنت حتى أصبحت كالقصر .

(٣) الحاذان : واحدهما حاذ ، هما موقعا الذنب من الفخذين . والخصل : جمع خصلة . وخصل الشعر، وخصل الشجر ما تدلى من أطرافه . والشاعر يعنى بذى الخصل ذنب الناقة . تعماله : عمله . والمراد بالشزران تحريك الذنب يمينا ويسارا ، وخطر الجمل بذنبه خطرا وخطرانا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه .

(٤) شامذة : شائلة بذنبها الى أعلى . رنق النسر : خفق بجناحيه ورفرف .

(٥) عارضة : سائرة بنشاط .

(٦) تسف : تمر على وجه الأرض برأسها . مترسم : متتبع آثارا يتبينها .

(٧) سما : علا . المقادم : الأعالى الأمامية . الملطم : الخد . حر : أصيل .

وقال :

آثنِ علَى الخمــرِ بآلائها ... وسَمِّها أحسنَ أسمائِها [(١)]

لاتجعَـل المـاءَ لها قاهرا ... ولا تُسَـلطها علَى مائِها [(٢)]

كَرخِيَّةٌ قـد عُتِّقت حِقبَةً ... حتى مضَى أكثرُ أجزائِهـا [(٣)]

فـلم يكَد يُدرِكُ خمَّـارُها ... منهـا سِوَى آخِرِ حَوبائِها [(٤)]

دارَتْ فأحيَتْ غيرَ مذمُومَةٍ ... نفُـوسَ حَرَّاهَا وأنضَائِهـا [(٥)]

والخمرُ قـد يشربُهـا معشرٌ ... ليسوا اذا عُدُّوا بأكفائهـا

وقال فى الطرَد ينعت كلب الصيد :

لمـا تبدّى الصبحُ مِن حِجابِهِ ... كطَلعةِ الأشمطِ من جِلبابِهِ [(٦)]

وانعدَلَ الليـلُ الى مآبِهِ ... كالحبَشى افترَّ عن أنيابِهِ [(٧)]

هِجنا بكلبٍ طالمـا هِجنا به ... ينتَسِفُ المِقوَد من كلّابِهِ [(٨)]

---

(١) الآلاء : النعم والمحاسن .

(٢) أى لا تمزجها بالماء الا بمقدار ... .

(٣) كرخية : نسبة الى الكرخ : محلة ببغداد وغيرها . وعتقت : تركت مدة (حقبة) لتقدم وتحسن ، ومعنى الشطر الثانى أنها لطفت جدا كأنها لا مادة فيها .

(٤) الحوباء : النفس ، فكأنها من لطفها فنيت الا رمقا أدركه الخمار .

(٥) حراها : النفوس العطشى اليها . والانضاء : جمع نضو : وهو المهزول المتعب ، أى المهزولون لبعد عهدهم بها .

(٦) الأشمط : من يخالط سواد رأسه بياض . والجلباب : الثوب الواسع أو القميص (وهو الأسود هنا) .

(٧) افتر : كشف وأظهر ، يشبه انكشاف الليل عن الصباح بانكشاف شفتى الحبشى (الأسود) عن أسنانه مبتسما مثلا .

(٨) ينتسف : يقتلع ويجتذب . والكلاب : صاحب الكلب .

كأنَّ مَتنَيه لَدى انسِلَابِه مَتنا شُجاعٍ لَجَّ فى انسيابه [1]

كأنَّما الأظفورُ فى قِنابِه مُوسَى صَناعٍ رُدَّ فى نِصابِه [2]

تَراهُ فى الحُضرِ إذا هَاهَىْ بِه يكاد أن يخرجَ مِنْ إهابه [3]

وقال يمدح العباس بن عبيدالله بن أبى جعفر المنصور :

أيُّها المنتابُ عن عُفُرِهْ لستَ من ليلِى ولا سَمَرِهْ [4]

لا أذودُ الطيرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ المُرَّ مِنْ ثَمَرِه [5]

قد لبِستُ الدهرَ لِبسَ فتًى أخذَ الآداب عَنْ غِيَرِه [6]

فاتَّصِلْ إن كُنتَ مُتَّصِلًا بِقُوى مَن أنتَ مِن وَطَرِه [7]

خفتُ مأثورَ الحديثِ غَدًا وغَدٌ أدنَى لِمنتَظِرِه [8]

---

(١) انسلابه : اسراعه الشديد . والشجاع : ضرب من الحيات، يشبه الكلب فى مروقه بالحية المنسابة سرعة وتلويا . (٢) القناب : المخلب . والصناع : الماهر . والنصاب : مقبض الموسى (اليد) ؛ فالظفر فى أصل المخلب، كحديدة الموسى فى النصاب .

(٣) هاهى به : زجره . والاهاب : الجلد ؛ أى يكاد الكلب لسرعته الشديدة، يخرج من جلده ليثب الى الغاية فى أقرب فرصة .

(٤) المنتاب لك : القاصدك المتردد عليك ، والعفر بضم فسكون و بضمتين : طول العهد ، ولست من ليلى الخ : لست من سمارى ليلا . (٥) لا أدافع عمن نالنى شره .

(٦) أى صاحبت الدهر حتى تعلمت من حوادثه التبصر والسداد فلست أغتر .

(٧) الوطر : الحاجة . والقوى : الأسباب (الحبال) والصلات، أى اتصل بمن يحب الاتصال بك دونى . (٨) مأثور الحديث : السمعة السيئة هنا .

خابَ من أسرى إلى بَلَدٍ　　غيرِ معلومٍ مَدَى سَفَرِه [١]

وسِّدتهُ ثِنْىَ ساعِدِه　　سِنَةٌ حلّت إلى شُفُرِه [٢]

فامضِ لا تَمْنُن عَلَىَّ يداً　　مَنُّكَ المعروفَ من كَدَرِه [٣]

رُبَّ فِتيانٍ رَبَأْتُهُمُ　　مَسقطَ العَيُّوقِ مِن سَحَرِه [٤]

فاتَّقَوا بِي ما يَرِيبُهُمُ　　إنَّ تقوى الشَّرِّ مِن حَذَرِه [٥]

وابنِ عَمٍّ لا يُكاشِفُنَا　　قد لبِسناهُ عَلَى غَمَرِه [٦]

كَمَنَ الشنآنُ فيه لَنا　　ككُمُونِ النارِ في حَجَرِه [٧]

ورُضابٍ بِتُّ أرشُفُهُ　　يَنقَعُ الظمآنَ مِن خَصَرِه [٨]

عَلَّنِيهِ خُوطُ أسحِلَةٍ　　لانَ مَتناهُ لِمُهتَصِرِه [٩]

---

(١) أى حاب من لم ينظر فى العواقب .

(٢) الشفر : منبت الشعر من الجفن . والسنة : النوم الخفيف ، وهذا تكميل لما قبله ، يصف المسافر حين يحمله النوم على اتخاذ ساعده وسادة له .

(٣) خطاب لصاحبه ، ومعنى الشطر الثانى أن المن يفسد الصنيعة .

(٤) ربأتهم : حرستهم وكنت لهم ربيئة مخافة النوازل . ومسقط : ظرف زمان . والعيوق : نجم أحمر مضىء يتلو الثريا ، يظهر سحرا ، يقول : ربأتهم فى الشدائد ، وهنا أخذ الشاعر يحدث عن نفسه .

(٥) يريبهم : يفزعهم .

(٦) لا يكاشفنا : لا يظهرنا على العداوة ، لبساه على غمره : عاشرناه على ما به من حقد .

(٧) الشنآن : البغض . وكمن : استتر ، فالبغض كامن فى نفسه مثل كمون النار فى الحجر الذى [illegible] ويقدمه .

(٨) الرضاب : الريق . ينقع : يبرد ويسقى . والخصر : البرد والضمير للرضاب .

(٩) علنيه : سقانيه مرات ، والخوط : الغصن الناعم تشبه به المرأة . والأسحلة مفرد إسحل : شجر عظيم ينبت بأعالى نجد . والمهتصر : [illegible] الغصن (مثلا) [illegible] .

ذَا ، ومُغْـبَرٍّ مَخَارِمُه ... تَحسِرُ الأَبصارُ عَن قُطُـرِه (١)

لا ترى عينُ البَصيرِ بِهِ ... مَا خَلَا الآجالَ من بَقَـرِه (٢)

خاضَ بِي لُجَّيـهِ ذُو جَرَزٍ ... مُقفِـرُ الصَّقلَينِ من ضُمُرِه (٣)

يكتسِي عُثْنـونُه زَبَدًا ... فنَصِـيلاهُ إلى نُخَـرِه (٤)

ثم يَعـتَمُّ الحِجاجُ بِهِ ... كاعتِمامِ الفُـوفِ فى عُشَرِه (٥)

ثم تذرُوهُ الرِّياحُ كما ... طارَ قُطنُ النَّدفِ عن وَتَرِه (٦)

ذُلِّلَت تلكَ الفِـجاجُ لَه ... فهو مُجتَـازٌ علَى بَصَـرِه (٧)

كُلَّ حاجَاتِي تَنَاولُهـا ... وهو لم تُنقَضْ قُوَى أَشَرِه (٨)

ثم أدنَانِي إلى مَـلِكٍ ... يأمَنُ الجَانِي إلَى حُجُرِه (٩)

---

(١) ذا ، أى فعلت هـذا الذى ذكر، ثم أخذ يصف الطريق . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق فى جبل أو رمل . تحسر الأبصار : تضعف العيون ، وعن قطره : عن رؤية نواحيه .

(٢) البصـير به : من يعرفه . والآجال : جمع إجل بكسر فسكون وهو : القطيع من بقر الوحش أو الظباء .

(٣) ذو الجرز : الحصان القوى . الصقلان : الجنبان فالفرس قليل اللحم ضامر .

(٤) العثنون : شعرات تحت حنك الفرس . والزبد : لغام أبيض تتلطخ به مشافر الفـرس . ونصيلان : مثنى نصـيل : حجر مستطيل يدق به يشـبه به لحى الفرس ، والنخر جمع نخرة : خرق الأنف أى أن الزبد يغطى لحييه ويحيط بخرقى أنفه .

(٥) اعتم : لبس العمامة . والحجاج : عظم الحاجب، والفوف هنا : الزهر . والعشر: شجر ذو نور، فالزبد فوق الحجاج يشبه زهر العشر لونا وشكلا وهو أبيض .

(٦) تذروه الرياح : تذهب به وتفرقه .

(٧) الفجاج جمع فج : الطريق الواسع بين جبلين . ومجتاز على بصره : سائر بهدى بصيرته .

(٨) الأشر : النشاط والمرح، أى سار فنون السـير التى أرجوها منه مع بقاء قوته تامة . والقوى : طاقات الحبل . ونقضها : فكها .

(٩) أى ملك يحمى اللاجئ إليه . والحجر : حضن الإنسان

تأخذ الأيدى مظالمها ثم تستذرى إلى عصره (١)
كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره (٢)
فاسل عن نوء تؤمله حسبك العباس من مطره (٣)
ملك قل الشبيه له لم تقع عين على خطره (٤)
لا تغطى عنه مكرمة بربا وادٍ ولا خمره (٥)
سبق التفريط رائده وكفاه العين من أثره (٦)
وإذا مج القنا علقا وتراءى الموت فى صوره (٧)
راح فى ثنيي مفاضته أسد يدمى شبا ظفره (٨)

---

(١) تستذرى . تلتجئ . والعصر : الملجأ ، تأخذ الأيدى مظالمها الخ : يحمل الناس مظالمهم ويقصدون إليه شاكين فيخلصهم لعدله وانصافه .

(٢) النفر : الجماعة ، وكان الأنسب أن يقول : من هو من نفر رسول الله ، فيضاف الملك إلى الرسول تشريفا لا العكس كما هنا .

(٣) النوء : النجم يمطر الناس إبان ظهوره وهو كناية عن المطر ذاته .

(٤) خطره : مثله ، يقال : هذا خطير لهذا وخطر له أى مثله وقل هنا : فقد وعدم .

(٥) لا تغطى : لا تخفى . والربا جمع ربوة : ما ارتفع من الأرض . والخمر : ما يسترك من شجر وغيره ، أى لا يترك مكرمة إلا فعلها .

(٦) التفريط : مصدر فرط رسوله قدمه وأرسله . والرائد : الرجل يرسله أهله يلتمس لهم منزلا خصبا ، يقول : إن العباس (رائده أى الرائد منه) يسبق الرسل ويعرف ببصيرته المستور . ومعنى الشطر الثانى أنه لقوة بصيرته يعرف الأمور بذاتها فلا يحتاج إلى آثارها التى تعينه فى المعرفة .

(٧) مج : لفظ ورمى . والقنا . الرماح المفرد : قناة . والعلق : الدم ، وتراءى الموت الخ : أى ظهر الموت فى أشكاله المتباينة ، فطعين بالرمح ومضروب بالسيف . وصريع .

(٨) الثنيان : مثنى ثنى بكسر فسكون وهو : ما كف فى طرف الثوب . والمفاضة : الدرع الواسعة . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف أو السنان فى طرفه ، يقول : إنه يعود من الحروب مدرعا كالأسد وقد احمرت شباته من دماء الأعداء .

تتأبى الطيرُ غـدوتَه ثقةً بالشبعِ من جزرِه(1)
وترى الساداتِ مائـلةً لسليل الشمس من قمرِه(2)
وكريمِ الخالِ من يمنٍ وكريم العمِّ من مُضَرِه(3)
فهمُ شتّى ظنونُهـمُ حذرَ المكنون من فكَرِه(4)

(٦) أبانُ اللاحقيّ(5)

من قوله يمدح الرشيد ويظهر حجة بنى العباس على حقهم فى الخلافة دون بنى على رضى الله عنهما :

نشدتُ بحقِّ اللهِ من كانَ مسلماً أعمُّ بما قد قلتُه العجمَ والعربَ(6)
أعمُّ رسولِ اللهِ أقربُ زلفةً لديهِ أمِ ابنُ العمِّ فى رتبةِ النسبْ(7)

(١) تتأبى : تتعمد وتنتظر . والجزر : قطع اللحم .

(٢) سليل : وليد ، والمعنى المولود من أمه التى هى كالشمس عن أبيه الذى هو كالقمر ، وضمير قمره للمدوح أو لوالده . (٣) الممدوح خاله يمنى وعمه مضرى .

(٤) شتى : متفرقة متنوعة يقول : إن السادات متنوعو الأفكار عما يضمره هو بالنسبة لهم وما يقضى فى شئونهم مخافة منه وإجلالا له .

(٥) أبان ابن عبد الحميد اللاحقى من الشعراء السياسيين الموالى المتنصرين للفرس على العرب فى مداراة . وكان عابثا محبا للمال ، هجاء مغرورا ملحدا . تردد بين البرامكة والخلفاء ولا سيما الرشيد يمدحهم ويزاحم على بابهم أبا نواس ومروان بن أبى حفصة وسواهما توفى سنة ٢٠٠ هـ .

ويمتاز شعره بالسهولة وان لم يكن ممتاز الفن والروعة ، وله شعر تعليمى ينظم فيه الحكم ومسائل الدين وسواها كنظمه كتاب كليلة ودمنة . (٦) نشدت الله فلانا : استحلفته به .

(٧) الزلفة بضم الزاى : القربة . يستحلف كل مسلم عربيا كان أو أعجميا أعم الرسول صلى الله عليه وسلم أقرب اليه فى درجة النسب أم ابن عمه . ويريد بالعم العباس . وبابن العم على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وبِعَهْدِهِ ... وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّرَاثِ بِمَا وَجَبْ (١)

فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقَّ بِتِلْكُمُ ... وَكَانَ عَلِيٌّ بَعْدَ ذَاكَ عَلَى سَبَبْ

فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمُ يَرِثُونَهُ ... كَمَا العَمُّ لابْنِ العَمِّ فِي الإِرْثِ قَدْ حَجَبْ (٢)

وبعث بهذه الأبيات الى الفضل بن يحيى :

يَا عَزِيزَ النَّدَى وَيَا جَوْهَرَ الجَوْ ... هَرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِالبِطَاحِ (٣)

إِنَّ ظَنِّي، وَلَيْسَ يُخْلَفُ ظَنِّي، ... بِكَ فِي حَاجَتِي سَبِيلُ النَّجَاحِ

إِنَّ مِنْ دُونِهَا لَمُصْمَتَ بَابٍ ... أَنْتَ مِنْ دُونِ قُفْلِهِ مِفْتَاحِي (٤)

تَاقَتِ النَّفْسُ يَا خَلِيلَ السَّمَاحِ ... نَحْوَ بَحْرِ النَّدَى مُجَارِي الرِّيَاحِ (٥)

ثُمَّ فَكَّرْتُ كَيْفَ لِي وَاسْتَخَرْتُ الـ ... ـلَّهَ عِنْدَ الإِمْسَاءِ وَالإِصْبَاحِ (٦)

وَامْتَدَحْتُ الأَمِيرَ أَصْلَحَهُ اللّـ ... ـهُ بِشِعْرٍ مُشَهَّرِ الأَوْضَاحِ (٧)

---

(١) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويريد به هنا الحق فى الخلافة .

(٢) يقول فى البيتين : إنه اذا كان العباس أحق بالإرث باعتباره العم ، وعلىّ مؤخر عنه فى الرتبة ، لأنه ابن العم ، فالواجب أن ينتقل ما ورثه العباس الى أبنائه ، والعم يحجب ابن العم ، أى يمنعه من الإرث .

(٣) عزيز هنا : يعنى أنه منقطع النظير . والندى : العطاء . والبطاح : جمع بطحاء . وهى مسيل واسع فيه الرمل ودقاق الحصى ولمكة بطحاء .

(٤) المصمت : المغلق . والضمير فى دونها يعود على حاجتى فى البيت السابق . يريد أن حاجته عسيرة ولكن قضاءها على الممدوح يسير .

(٥) تاقت : اشتاقت . والسماح : الجود . ويقال فلان فى الكرم يجارى الريح أى أنه سريع الى العطاء .

(٦) كيف لى : أى ما ذا أصنع .

(٧) مشهر ذائع : الأوصاح : جمع وضح اسم للغرة أو الحلى من الفضة . والمراد شعر رائع .

فلما قرأها قال له هات مديحك فقال :

أَنَا من بُغْيَــةِ الأَمِيرِ وَكَنْزٌ ... مِن كُنُوزِ الأَمِيرِ ذُو أَرْبَاحِ (١)
كَاتِبٌ حَاسِبٌ خَطِيبٌ أَدِيبٌ ... نَاصِحٌ زَائِدٌ عَــلَى النُّصَّاحِ
شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخَفُّ مِن الرِّيـ ... ـشَةِ أَوْ ما يَكُونُ تَحت الجَنَاحِ (٢)

* * *

إِنْ دَعَانِي الأَمِيرُ عَايَنَ مِنِّي ... شَمَّرِيًّا كَالْبُلْبُــلِ الصَّــيَّاحِ (٣)

١) مســلم بن الوليــد (٤)

قال :

إِذَا المرءُ لم يَبْذُلْ مِن الوُدِّ مثلَ مَا ... بَذَلْتُ لــهُ فاعلَمْ بِأَنِّي مُفَــارِقُهْ
فَلَا خــيرَ فى وُدِّ امرئٍ مُتَكارِهٍ ... عَلَيْكَ، ولَا فى صَاحِبٍ لا تُوافِقُه

وقال :

دلَّتْ على نفسِها الدُّنيَا، وصَدَّقَها ... مَا اسْتَرجَعَ الدهرُ مِمَّا كانَ أعطَانِي (٥)
ما كنتُ أَدَّخِرُ الشكْوَى لِحَادِثَةٍ ... حَتَّى ابْتَلَى الدهرُ أَسْرَارِي فأَشْكَانِي (٦)

---

(١) من بغيته : من مطالبه . يريد أن الأمير لو اصطنعه واصطفاه لرأى فيه خيرا كثيرا . وقد عدد مزايا نفسه فى البيتين بعده . (٢) الشاعر المفلق : المبدع . وأخف الريش وأدقه ما يكون عند الجناح . ويريد بالخفة خفة الروح .

(٣) الشمرى بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة وكسر الراء : المجد الماضى فى الأمور . والبلبل : طائر صغير الجسم حسن الصوت يشبه طلق اللسان .

(٤) نشأ صريع الغوانى مسلم بن الوليد الأنصارى فى الكوفة وفيها درس وتأدب وعالج الشعر منذ صباه يمدح به الأمراء ويثرى من ذلك ولكنه سخى متلاف . وكان مسلم من أكبر شعراء عصره وممن تكلفوا البديع فى شعرهم حتى رمى بإفساده . ولشعره صبغة خاصة تجمع بين الأسلوبين القديم والحديث مع رقة واضحة وقد مات بجرجان سنة ٢٠٨ هـ . (٥) يقول : قد ظهر غدر الحياة بدليل شبابى الذى استرجعته منى الأيام .

(٦) ما اعتدت الشكوى من الحوادث فلما هجم الدهر على شبابى شكوت . والأسرار هنا : ما يضن به ويريد بها الشباب وأشكاه بعثه على الشكوى .

وقال يهجو دِعْبِل بن علىّ الخُزاعى الشاعر :

أما الهِجاءُ فَدَقَّ عِرضُكَ دُونَهُ ... والمدحُ عنكَ كما علمتَ جليلُ [(١)]

فاذهبْ فأنتَ طليقُ عِرضكَ إنَّهُ ... عِرضٌ عززتَ به وأنتَ ذليلُ [(٢)]

وقال من قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلبي :

لا تَدْعُ بِي الشوقَ إنى غيرُ معمودِ . ... نهى النُّهى عن هوى البيضِ الرعاديدِ [(٣)]

* * *

مُوَحَّدُ الرأيِ تَنْشَقُّ الظنونُ لَهُ ... عن كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْها ومعقودِ [(٤)]

كالليثِ بل مِثْلُهُ الليثُ الهَصُورُ إذا ... غنَّى الحديدُ غِناءً غيرَ تغريدِ [(٥)]

يلقَى المنيةَ فى أمثالِ عُدَّتِها ... كالسيل يَقْذِفُ جُلموداً بجُلمودِ [(٦)]

نفسى فِداؤُكَ يا داودُ إذ عَلِقَتْ ... أيدى الرَّدَى بنَواصِي الضُّمَّرِ القُودِ [(٧)]

يجُودُ بالنفسِ إن ضَنَّ الجوادُ بِها ... والجودُ بالنفسِ أقصَى غايةِ الجُودِ

---

(١) دق : صغر فلا تحتمل مدحا ولا هجاء لصغرك عن الهجاء وحقارتك عن المدح .

(٢) طليق عرضك : أى صانك عرضك الحقير عن الهجو و بذلك كنت كالعزيز الذى لا يصح هجوه والواقع أنه ذليل .

(٣) لا تدع بى الشوق : لا تنسبنى إليه . المعمود : من هده العشق . النهى : جمع نهية بضم النون وهى العقل . الرعاديد : جمع رعديدة المرأة الرخصة الناعمة .

(٤) موحد الرأى لا يتردد فيه . لأن ظنه كاف لادراك المعميات والدقائق .

(٥) الليث الهصور : الأسد الذى يكسر فريسته كسرا . غناء الحديد : صوت السلاح فى الحروب . التغريد للطائر : رفع الصوت بالغناء .

(٦) المنية : الموت . فى أمثال عدتها أى بجيوش وعدد تدافع الموت وتعدله . الجلمود : الصخر . يشبه الممدوح بالسيل يرمى الموت بمثله كالسيل فى تدفقه يضرب الصخرة بالصخرة .

(٧) علقت : تعلقت . الردى : الموت . الضمر جمع ضامر : الفرس الخفيف اللحم القود جمع أقود : وهو الطويل الظهر . يظهر إعجابه بالممدوح والموت معقود بنواصى الخيل وقت القتال حتى قال له أفديك بنفسى .

وقال :

وما أبقتِ الأيامُ منّى ولا الصِّبا ... سِوى كَبِدٍ حَرّى وقلبٍ مُقَتَّلِ(١)

وَيومٍ من اللذاتِ خالستُ عَيْشَهُ ... رَقيبًا على اللذاتِ غيرَ مُغَفَّلِ(٢)

فكُنتُ نَديمَ الكأسِ حتّى إذا انقضَتْ ... تَعَوَّضْتُ منها رِيقَ حَوراءَ عَيْطَلِ(٣)

نَهانِي عنها حُبُّها أن أريبَها ... بسُوءٍ؛ فلم أَبْتِلْكَ ولم أتبتَّلِ(٤)

سَقَتْني بِعَيْنَيْها الهَوى وسَقَيْتُها ، ... فدَبَّ دَبيبَ الرّاحِ في كلِّ مَفْصِلِ(٥)

فلمّا استمرَّتْ مِنْ دُجى الليلِ دَوْلةٌ ... وكادَ عَمُودُ الصُّبحِ بالصُّبحِ يَنْجَلي(٦)

تَراءَى الهوى بالشَّوقِ ، فاستحدثَتْ البُكا ... وقالَ لِلذاتِ اللقاءِ : تَرَحَّلي(٧)

فَلَمْ تَرَ إلا عَبْرَةً بعدَ عَبْرَةٍ ... مُرَقْرَقَةً أو نظرةً بتأمُّلِ(٨)

وقال :

يا رُبَّ خِذْنٍ قد قَرَعْتُ جَبينَهُ ... بالطّاسِ والإبريقِ حتّى مالا(٩)

أنهضتُه مِنْ بَعْدِ ما أسكَرتُه ... فمَشى كأنَّ برِجْلِه عُقّالا(١٠)

* * *

(١) الكبد الحرى : هي التي ألهبها العشق . الصبا : ملاهي الشباب . مقتل : قتله العشق .

(٢) خالست الرقيب : تحينت غفلته . يريد بالرقيب غير المغفل هموم الدهر وأكداره .

(٣) الحوراء : المرأة ذات العين بياضها وسوادها شديدان . العيطل : الطويلة العنق في حسن .

(٤) أبتلك : ابتذل . أتبتل : أمتنع متحرجاً . يقول : إن حبي لها أكرم موضعها عندي فلم أسرف ولم أتحرج وإنما كان لهو معتدل .

(٥) يصف سحر عيونها . الراح : الخمر .

(٦) الدولة هنا : الجانب . عمود الصبح : ضوءه .

(٧) تراءى الهوى بالشوق : ظهرت حرارة الحب .

(٨) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض . مرقرقة : تدور في باطن العين .

(٩) الخدن : الحبيب . الطاس : الإناء يشرب فيه . يريد ساقيه الخمر .

(١٠) العقال : داء يأخذ الدواب في أرجلها . أي لا يستطيع المشي لشدة السكر .

فإذا نظرتَ رأيتَ قومًا سادةً ... ونجابةً ومهابةً وجمالا

ولديهم كرخيةٌ شمسيةٌ ... قد خُلِّيَتْ في دَنِّها أحوالا(١)

حتى إذا بلغتْ، وحانَ خِطابُها ... ساومتُ صاحِبَها البِياعَ فغالا(٢)

وكأنما الساقي لدى إبريقِه ... بدرٌ أنارَ ضياؤه فتلالا(٣)

يَسقيكَ بالعينينِ كأسَ صَبابةٍ ... ويُعيدُها من كفِّه جِريالا(٤)

أصبحتُ كالثوبِ اللبيسِ قد اَخلقَت ... جِدّاتُه منه فعادَ مُذالا(٥)

وبقيتُ كالرجلِ المُدَلَّهِ عقلُه ... أشكو الزمانَ وأضربُ الأمثالا(٦)

سالمتُ عُذّالي فآبُوا بالرِّضا ... مِنّي، وكنتُ أحاربُ العُذّالا(٧)

ولقد علمتُ بأنه ما مِنْ فتًى ... إلّا سَيُبدَلُ بعدَ حالٍ حالا

وقال من وزن مُوَلَّد :

يأيُّها المعمودُ ... قد شفَّكَ الصدودُ (٨)

فأنتَ مُستهامٌ ... حالفَكَ السُّهودُ (٩)

---

(١) كرخية : خمر منسوبة الى الكرخ وهى محلة ببغداد شمسية . خمر الدن : وعاء كبير تخزن فيه الخمر . يريد أنها خمر معتقة . الأحوال : جمع حول ، وهو العام .

(٢) خطابها من الخطبة بكسر الخاء : وهى دعوة المرأة للزواج . ساوم المشترى السلعة : طلب بيعها غالى : تشدد فى الثمن وزاد . (٣) تلالا : تلألأ وأضاء .

(٤) الصبابة : الشوق . الجريال : الخمر . يسقيك كأسين إحداهما من العين (سحرها) والثانية من اليد .

(٥) اللبيس : الذى أخلقته كثرة اللبس . جدة الثوب : كونه جديدا . مدالا : مهينا مبتذلا .

(٦) المدله : الذاهب عقله من العشق وذلك شأن الرجل إذا أسن وخرف .

(٧) العذال : اللائمون . آبوا : رجعوا .

(٨) المعمود : الشديد الوجد أو الحزن . وشفك : أوهنك وأنحلك . والصدود هنا : إعراض الحبيب ، يتحدث الشاعر عن نفسه . (٩) المستهام : الذاهب الفؤاد من الحب . والسهود جمع سهد : الأرق .

تَبِيتُ ساهِرًا قَـدْ ... وَدَّعَكَ الهُجـودُ (١)
وفِي الفُـؤادِ نَارٌ ... لَيسَ لَها خُمـودُ
تَشُبُّها نِيرانٌ ... من الهَوَى وقُـودُ (٢)
إذَا أقـولُ يَومًا ... قَـدْ أُطفِئتْ تَزِيدُ
يَا عاذِلَيَّ كُفَّا ... فإنَّنِي مَعمـودُ
أكْثَرتُمَا تَفنِيـدِي ... لو يَنفَعُ التَّفنيـدُ (٣)
قَد أقْصَدَتْ فُؤادِي ... خُمْصَانَةٌ خَرِيـدُ (٤)
هِجرانُها قَـرِيبٌ ... ووَصلُها بَعِيـدُ

* * *

مَن لامَ في هـواها ... فَنُصحُه مَردودُ
يا سِحـرُ واصِلِينِي ... فإنَّـنِي عَمِيـدُ (٥)
إنِّي لِمَا أُلاقِي ... من حُبِّكُمْ مجهـود
جُـودِي لِمُستَهامٍ ... عَـذَّبَه التَّسهِيدُ
نَسهَرُ مِن هَواكُمْ ... وأَنـتُمْ رُقُـودُ
حَتَّى مَـتَى مُنـاىَ ... لا يُنجَـزُ الموعُـودُ
صَارَ الهـوى بِقَلْبِي ... يُبْـدِي كما يُعِيـدُ

---

(١) الهجود : النوم .
(٢) تشبها : توقدها وتزيدها . وقود : توقد لها .
(٣) التفنيد : اللوم .
(٤) أقصدت فؤادي : طعنته . خمصانة : ضامرة الحشا . الخريد : البكر والحيية .
(٥) العميد كالمعمود : الشديد الوجد أو الحزن .

* * *

وَسَادَةٍ سَرَاةٍ ... مافيهم مَسُودُ [1]

كُلُّهم جَلِيدُ ... مَافِيهم حَرِيدُ [2]

بَانَ السَّفَاهُ عَنْهُم ... فَرأيُهم سَدِيدُ [3]

يُسْقَوْنَ صَفْوَ راحٍ ... لَذِيذُها مَوجُودُ

كانتْ بِعَهْدِ نُوحٍ ... وهُمْ لها جُنُودُ [4]

حَتَّى إذا أُبِيدُوا ... أَورَثَها ثَمُودُ [5]

شَمْسِيَّةٌ شَمُولٌ ... شَيطانُها مَرِيدُ [6]

مُدَامَةٌ لَهَا فِي ... خُدودِنَا تَورِيدُ

كأن شَارِبِيهَا ... فِي سُوقِهِمْ قُيُودُ [7]

حَتَّى انْثَنَتْ عُيونٌ ... واحمرَّتِ الْخُدودُ

فِي مَجْلِسٍ نَضِيرٍ ... يَزِينُهُ الشُّهُودُ [8]

---

(١) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .

(٢) الجليد : الجلد القوى الصلب . والحريد : المنفرد الضعيف .

(٣) السفاه : السفه وذهاب الحكمة والسداد .

(٤) أى هى عتيقة قديمة ، وهم : القدامى .

(٥) أى فلما هلك قوم نوح ورثها قوم ثمود فتنقلت فى الأحقاب حتى وصلت إلينا .

(٦) شمسية : من صنع الشمس وحرارة الطبيعة ولم تطبخ . شمول : خمر أو باردها . المريد : المتمرد الخبيث ، أى خمر قوية الأثر .

(٧) السوق : جمع ساق : ما بين الركبة والقدم ، يقول : إن شاربيها أقعدهم السكر فكأنهم مقيدون لا يستطيعون حراكا .

(٨) النضير : الحسن . والشهود : الحضور .

غطارف كرام ... بيض الوجوه صيد (١)

من فوقهم أطيار ... صياحها تغريد

وتحتهم جنان ... نباتها نضيد (٢)

وعندهم دفاف ... وزامر وعود (٣)

خاضوا بحار قصف ... تجرى له مدود (٤)

حتى انتشوا وقاموا ... مجلسهم محمود

من نال مثل هذا ... فإنه سعيد

هذا الخلود عندى ... لو دام لى الخلود

وقال :

أديرى على الراح ساقية الخمر ... ولا تسأليني واسألي الكأس عن أمرى (٥)

كأنك بى قد أظهرت مضمر الحشا ... لك الكأس حتى أطلعتك على سرى (٦)

وقد كنت أقلى الراح أن يستفزني ... فتنطق كأس عن لسانى ولا أدرى (٧)

---

(١) غطارف : جمع غطرف وغطريف وهو السيد أو الكريم أو الشاب الشريف . والصيد : جمع أصيد وهو الملك أو الشريف العزيز .

(٢) نضيد : منضد أى منسق .

(٣) دفاف جمع دف : من آلات الطرب .

(٤) القصف : الإقامة فى الأكل والشراب واللهو . والمدود : الزيادات .

(٥) الراح : الخمر . يقول : الكأس تكشف لك أمرى اذا سكرت منها كما يوضحه البيت التالى .

(٦) أى كأنك تريني وقد اطلعتك الكأس على سرى الذى أضمره فى نفسى . والحشا هنا : القلب أو الصدر مما هو مكان السر ، والسكران لا يعى شيئا فلا جرم أن يبوح بما فى نفسه .

(٧) أقلى : أبغض . يستفزنى : يستخفنى لذهاب وعيي ، أى كنت أكره الخمر خوف ذهاب عقلى فيظهر سرى دون أن أشعر .

وَلٰكِنَّنِي أَعْطَيْتُ مِقْوَدِيَ الصِّبَا ... فَقَادَ بَنَاتِ اللَّهْوِ مَخْلُوعَةَ العُذْرِ(١)

إِذَا شِئْتُ غَادَانِي صَبُوحٌ مِنَ الهَوى ... وَإِنْ شِئْتُ مَاسَانِي غَبُوقٌ مِنَ الخَمْرِ(٢)

ذَهَبْتُ وَلَمْ أُحْدِدْ بِعَيْنَيَّ نَظْرَةً ... وَأَيْقَنْتُ أَنَّ العَيْنَ هَاتِكَةٌ سِتْرِي(٣)

جَعَلْنَا عَلَامَاتِ المَوَدَّةِ بَيْنَنَا ... مَصَايِدَ لَحْظٍ، هُنَّ أَخْفَى مِنَ السِّحْرِ(٤)

فَأَعْرِفُ مِنْهَا الوَصْلَ فِي لِينِ طَرْفِهَا ... وَأَعْرِفُ مِنْهَا الهَجْرَ بِالنَّظَرِ الشَّزْرِ(٥)

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ خَشْيَةٌ مِنْ صُدُودِهَا ... أَبِيتُ عَلَى ذَنْبٍ، وَأَغْدُو عَلَى عُذْرِ(٦)

وَمُلْتَطِمِ الأَمْوَاجِ يَرْمِي عُبَابُهُ ... بِجَرْجَرَةِ الآذِيِّ لِلعِبْرِ فَالعِبْرِ(٧)

مُطَعَّمَةٍ حِيتَانُهُ مَا يُغِبُّهَا ... مَآكِلُ زَادٍ مِنْ غَرِيقٍ وَمِنْ كَسْرِ(٨)

---

(١) العذر : جمع عذار : الحياء ، وخلع عذاره : اتبع هواه وانهمك فى الغى . يقول : ولكننى عدلت عن بغض الراح ، واتبعت دواعى الصبا ، فقادنى مخلوع العذار الى اللذات . وأوقع الفعل على بنات اللهو فهو واقع عليه هو فهو المقود بيد الصبا .

(٢) الصبوح : الشرب صباحا ، وضده الغبوق . وغادانى : باكرنى . وصبوح من الهوى : اتصال بالغرام ومراسله النساء ، فهو بين الهوى والخمر .

(٣) أحدد : أنظر بحدة . اليها : الى المحبوبة ، وذلك خوف ظهور شأنى .

(٤) مصايد لحظ : غمزات العين ، وهن أخفى من السحر لأنه لا يفطن لها أحد .

(٥) النظر الشزر : يكون بجانب العين إعراضا .

(٦) أبيت على ذنب : أى ترمينى بذنب لم أفعله . وأغدو على عذر : أسرع بالاعتذار اليها .

(٧) وهنا انتقل الشاعر الى وصف نهر الفرات والسفينة التى ركبها الى ممدوحه . وملتطم الأمواج : ورب بحر الخ . والمتلاطم : المتناطح . وعباب البحر أو النهر : موجه . وجرجرة الآذى : صوت الموج . والعبر : حافة النهر .

(٨) مطعمة : شبعة . ما يغبها : ما ينقطع عنها . وكسر : كسر سفينة ، فحيتان النهر موفورة الطعام من كثرة ما تصيب من الغرقى والأمتعة ، يصف النهر بالهول .

إذا اعتنقتْ فيـهِ الجنوبُ تكفأتْ ... جَواريهِ أو قامتْ مع الرِّيحِ لا تجري[١]

كأنَّ مَدَبَّ الموجِ فى جنَبَاتِهـا ... مَدَبُّ الصَّبا بينَ الوِعاثِ من العُفـرِ[٢]

كشفتُ أهاويلَ الدُّجى عَنْ مَهولِهِ ... بجاريةٍ محمـولةٍ حاملٍ بِكْـرِ[٣]

لَطَمتُ بخدَّيهـا الحَبابَ فاصبحتْ ... مُوَقَّفَـةَ الدّاياتِ مَرثومةَ النّحـرِ[٤]

إذا أقبلَتْ راعتْ بِقُنَّـةِ قرهَبٍ ... وإن أدبَرَتْ راقتْ بقـادمتَى نَسْرِ[٥]

تَجافَى بهـا النُّوتِىُّ حَتَّى كأنَّمـا ... يَسيرُ مِنَ الإشفاقِ فى جَبَلٍ وَعْرِ[٦]

تَخَلَّجُ عَنْ وَجـهِ الحَبابِ كما انثَنَتْ ... مُخَبَّأةٌ مِن كسرِ سِتْـرٍ الى سِتْرِ[٧]

أطلَّتْ بمِجذافين يعتَـوِرانِهـا ... وقَوَّمهـا كَبحُ اللِّجـامِ منَ الدُّبْرِ[٨]

---

(١) اعتنقت : اضطربت واستدارت . والجنوب : ريح تهب من الناحية الجنوبية . تكفأت : انقلبت . والجوارى : السفن ، فالسفن مع تلك الريح تنكفئ أو تقف لا تسير لهول الحال .

(٢) جنباتها : جنبات السفينة . والصبا : ريح شرقية . الوعاث : الرمال اللينة . والعفر : جمع أعفر وهو الكثيب الأحمر ، يشبه تحرك الموج بجوانب السفينة ، بتحرك الريح بين الرمال فتحمل أجزاءها متنقلة .

(٣) عاد الى النهر يصفه . أهاويل : أهوال ، ومهوله : هول النهر . محمولة : يحملها الماء . حامل : تحمل الناس . بكر : لم تركب قبل هذه المرة . يقول : قطعت النهر المهول ، والليل المخوف بتلك السفينة .

(٤) الحباب : الموج ، موقفة لابسة الوقف : سوار من عاج . الدايات : أضلاع الكتف أو عصار يف الصدر . مرثومة : بها صبغ من حمرة أو بياض فى مقدمها أو ودع أبيض . يقول : قد أحدث الموج فى جانبي السفينة خطوطا خضرا أو حمرا . وهى مرثومة المقدم مصبوغته أو به ودع أبيض .

(٥) راعت : أفزعت . قنة قرهب : رأس ثور وحشى مسن ، شبه به مقعد النوتى فى صدر المركب . راقت : أعجبت . بقادمتى نسر : بمجذافين كأنهما جناحا نسر .

(٦) تجافى : تنحى عن الخشف وهو حجارة تحت الماء تقرب من أعلاه . والاشفاق : الخوف يقول : إن النوتى تحاشى موطن الخطر فكأنه يسير فى جبل وعر .

(٧) تخلج : تنحى . الحباب : الموج ، والمراد الأماكن التى تضطرب فيها الأمواج ، يشبه تنقل السفينة بين المواضع خشية الأخطار بالجارية تتنقل فى نواحى البيت وأستاره مستترة .

فحامتْ قليــلًا ثمَّ مرَّتْ كأنَّهــا   عُقابٌ تدلَّتْ مِنْ هَــواءٍ على وَكْرِ(١)

أناف بهــاديهَا ومَــدَّ زِمَامَهــا   شَديدُ عِــلاجِ الكفِّ مُعتمِلُ الظَّهرِ(٢)

إذا ما عصَتْ أرخَى الجَــريرَ لرأسِهَا   فَمَلَّكَهَا عِصْيَانَهــا وَهْيَ لا تَدْرِى(٣)

كأنَّ الصَّبَا تَحكِي بهــا حينَ واجَهَتْ   نَسيمَ الصَّبَا مَشْيَ العَرُوسِ إلى الخِدرِ(٤)

يَمَّمْنَا بهَا لَيــلَ التَّمَامِ لِأَرْبَــعٍ   فجَاءَتْ لِستٍّ قَدْ بَقِــينَ مِنَ الشَّهْرِ(٥)

فمَــا بلَغَتْ حَتَّى الطَّلاحُ خَفِــيرُها   وحَتَّى أتَتْ لَوْنَ اللِّحَــاءِ مِنَ القِــشْرِ(٦)

وحَــتَّى علَاها المــوجُ فى جَنبَاتِهَــا   بِأرْدِيَةٍ مِنْ نَســجِ طُحْلُبِــهِ خُضْرِ(٧)

رَمتْ بِالكَرَى أهوالُهَــا عَنْ عُيونِهِــم   فَبَاتَتْ أهاويلُ السُّرى بِهِــمُ تَسْرِى(٨)

---

(١) حامت : استدارت. والعقاب : طائر من الجوارح . والوكر : العش ، يشبه سرعة السفينة بانقضاض العقاب الى وكره .

(٢) أناف بهاديها : أشرف بعنق السفينة . والمعتمل : العامل . يقول : يعالج السفينة نوتى قوى .

(٣) الجرير : الحبل . عصيانها : تماديها فى الجرى . أى ترك لها العنان لتسير كما تهوى فكأنه حملها على العصيان ، ... ولكنها لا تعقل ذلك .

(٤) يقول : حين تواجه الصبا السفينة ترفق فى مشيها فتشبه فى ذلك مشى العروس إلى خدرها ، وهو ما تستتر به من بيت أو نحوه .

(٥) أى قصدت بها الممدوح لتمام الليلة الرابعة عشرة من الشهر ووصلت وقد بقى من الشهر ست ليال .

(٦) الطلاح : الكلال والإعياء وفساد الحال . أى قد بلغت منها الإعياء حتى صار الطلاح كأنه هو الحافظ لها من الهلاك ، وذلك عجيب . وحتى أتت : حتى صارت . لون اللحاء : مثل لونه ، واللحاء : قشر الشجرة الرقيق الذى دون القشر الغليظ ، فالسفينة تغير لونها بما ذهب من قشرها .

(٧) الطحلب : طبقة نباتية خضراء تعلو الماء ، يذكر ما علق من الطحلب بجوانب السفينة من تأثير الموج . وخضر : صفة أردية .

(٨) الكرى : النوم ، يقول : إن أهوال السفينة منعت ركابها النوم ، فباتوا يسيرون فى أهوال ، والأهاويل : جمع أهوال ، وهذه جمع هول .

تَؤُمُّ مَحَلَّ الراغبينَ وحيثُ لا ... تُذَادُ إذا حلّت به أرحُلُ السَّفْرِ (١)

ركبْنَا إليه البحرَ في مُؤْخراتِهِ ... فأوفَتْ بنا مِنْ بَعدِ بحرٍ إلى بحرِ (٢)

(٨) أبو العتاهية (٣)

قال .

خانكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ... أيُّها القلْبُ الجَمُوحُ (٤)

لِدَوَاعِي الخيرِ والشَّـرِّ ... دُنُوٌّ ونُزُوحُ (٥)

هَلْ لمطْلُوبٍ بِذَنْبٍ ... تَوْبةٌ منه نَصُوحُ (٦)

كيفَ إصلاحُ قُلُوبٍ ... إنَّما هُنَّ قُرُوحُ (٧)

أحْسَنَ اللهُ بِنَا أَنْ الخطَايَا لا تفُوحُ

فإذا المَسْتُورُ مِنَّا ... بَيْنَ ثوبَيْهِ فَضُوحُ (٨)

(١) تؤم : تقصد أى السفينة . تذاد : تمنع . السفر : المسافرون ، والمعنى أن السفينة تقصد بنا منزلا يقصده الراغبون فى الكرم حيث يرحب بهم .

(٢) فى مؤخراته : أى فى أواخر ركوبه . يقول إن السفينة انتقلت بنا من بحر (الفرات) الى من يشبه البحر كرما .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم يكنى أبا اسحق نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيا خليعا ثم ألم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة حتى خرج زاهدا . وكان بخيلا شديد البخل ، سلب عليه مذهب الزهد حتى حانت منيته سنة ٢١١ هجرية ببغداد . ويمتاز شعره بالسهولة ووضوح المعنى وتناول الخواطر العامة فكان صلة حسنة بين الطبقات المتباينة ويكاد شعره من السهولة يكون نثرا .

(٤) الطرف : العين . الطموح : الطامع يجعلك تتعلق بأمور كثيرة . جموح : نافر لا يقنع .

(٥) نزوح : بعد . ودنو : قرب .

(٦) المطلوب بذنب : العاصى الآثم . نصوح : صادقة ، والاستفهام للنفى .

(٧) قروح : جمع قرح ، وهو الجرح (الإثم) .

(٨) فضوح : مفتضح . مكشوف المساوى .

كَمْ رأينا مِنْ عَزيزٍ ... طُوِيَتْ عنهُ الكُشُوحُ (١)

صاحَ مِنْــهُ بِرَحِيلٍ ... صائحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ (٢)

سَيَصِيرُ المــرءُ يومًا ... جَسَــدًا ما فيــه رُوحُ

بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ ... عَلَمُ المَــوتِ يَلُوحُ (٣)

كُلُّنــا فى غَفْــلَةٍ والـ ... ـموتُ يَغدُو ويَرُوحُ (٤)

نُحْ على نفسِكَ يا مِسـ ... ـكِينُ إنْ كُنتَ تَنُوحُ

لَتَمُوتَنَّ وإنْ عُمِّـ ... ـرْتَ ما عُمِّـرَ نُوحُ (٥)

ومن قوله :

ألم تَرَ ريبَ الدهرِ فى كلِّ ساعةٍ ... لهُ عارضٌ فيــهِ المنيَّةُ تلمعُ (٦)

أيا بانِيَ الدُّنيا لغَــيرِك تبتَنِى ... ويا جامعَ الدنيــا لغَــيرِك تجمعُ

أرى المرءَ وثَّابا على كلِّ فُرصَــةٍ ... وللمـرءِ يوما لا محالةَ مصرَعُ

تباركَ مَنْ لا يملِكُ الملكَ غيرُهُ ... متى تنقضى حاجاتُ من ليس يشبَعُ (٧)

وأىُّ امرئٍ فى غايةٍ ليس نفسُه ... إلى غايةٍ أخرى سِــواها تَطَلَّعُ

---

(١) الكشوح : جمع كشح ، وهو ما بين السرة والظهر ، طوى كشحه : أعرض ، يقول كم من عزيز صار ذليلا منبوذا .

(٢) الصدوح : مرتفع الصوت ، رحيل : موت ، يقول : مات .

(٣) علم الموت : مظاهره وآثاره .

(٤) يغدو ويروح : أى يحصد النفوس دائما يقظان .

(٥) سيدنا نوح عاش طويلا .

(٦) ريب الدهر : نوائبه ، العارض : السحاب ، والمنية : الموت ، يشبهها بالبرق يكون فى السحاب استعارة مكنية .   (٧) فى الشطر الثانى استفهام تعجبى من طمع الإنسان فيما ليس يملكه .

ولما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤتمن قال أبو العتاهية :

رحلتُ عن الربعِ المحيلِ قَعُودى ... إلى ذى زُحوفٍ جَمَّةٍ وجنودِ [1]

وراعٍ يُراعِى اللّيلَ فى حِفْظِ أمَّةٍ ... يُدافعُ عنها الشرَّ غيرَ رَقودِ

بألويةٍ ، جبريلُ يقدُمُ أهلَها ... وراياتِ نصرٍ حَوله وبُنودِ [2]

تَجافَى عن الدنيا وأيقنَ أنَّها ... مفارقةٌ ليستْ بدارِ خلودِ

وشدَّ عُرا الإسلامِ منهُ بِفتيةٍ ... ثلاثةِ أملاكٍ وُلاةِ عهودِ

هُمُ خيرُ أولادٍ ، لهمْ خيرُ والدٍ ... له خيرُ آباءٍ مضتْ وجُدودِ

تُقلِّبُ ألحاظَ المهابةِ بينهم ... عيونُ ظِباءٍ فى قلوبِ أُسودِ [3]

خدودهمُ شمسٌ أتتْ فى أهِلَّةٍ ... تبدَّت لراءٍ فى نجومِ سعودِ [4]

وقال :

دَعْنِيَ من ذِكْرِ أبٍ وجَدِّ ... ونَسَبٍ يُعْليكَ سُورَ المَجْدِ

ما الفَخْرُ إلا فى التُّقَى والزُّهْدِ ... وطاعةٍ تُعْطِى جِنانَ الخُلْدِ

لا بدَّ من وِرْدٍ لأَهْلِ الوِرْدِ ... إما إلى ضَحْلٍ وإمَّا عِدِّ [5]

---

(١) القعود : الجمل الفتى يقتعده الراعى فى كل حاجة ورحله وركبته . المحيل : الدارس . الزحوف جمع زحف : الجيش الكثير يزحف الى العدو . وذو الزحوف هنا : الرشيد .

(٢) يقدم أهلها : يتقدمهم . البنود جمع بند : العلم .

(٣) يقول إن لهم عيونا كعيون الظباء جمالا ، وقلوبا كقلوب الأسود جرأة ، ولعيونهم ألحاظ تبعث الهيبة والروعة فى النفوس .

(٤) الأهلة : الوجوه مجازا . ونجوم السعود : أفراد البيت المالك ، ويجوز أن يراد بها أوقات سعادة .

(٥) الضحل : الماء القليل لا عمق له . والعِدّ : الماء الذى له مدد لا ينقطع .

وقال :

أي عيش يكون أبلغ من عيـ ... ـش كفاف قوت بقدر البلاغ (١)

صاحبُ البغي ليس يسلم منه ... وعلى نفسه بغى كلُّ باغي

ربَّ ذي نعمة تعرَّض منها ... حائلٌ بينه وبين المساغ

أبلغَ الدهرُ في مواعظه بل ... زاد فيهنَّ لي على الإبلاغ

غبنتني الأيام عقلي ومالي ... وشبابي وصحّتي وفراغي

وقال :

لِدُوا للموت وابنوا للخراب ... فكلكمُ يصير الى تباب (٢)

ألا يا موت لم أر منك بُدًّا ... أتيتَ وما تحيف وما تحابي

كأنكَ قد هجمتَ على مشيبي ... كما هجم المشيبُ على شبابي

وقال في الغزل :

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ ما بي ... أتحبُّ الغداة عتبة حقًّا ؟

فتنفَّستُ ثم قلتُ نعم حُبـ ... ـبًا جرى في العروق عرقًا فعرقا

لو تجسّين يا عتيبةُ قلبي ... لوجدتِ الفؤاد قرحًا تفقّا (٣)

قد لعمري ملَّ الطبيبُ وملَّ الـ ... أهل مني مما أقاسي وألقى

ليتني متُّ فاسترحتُ فإني ... أبدًا ما حييتُ منه مُلقّى (٤)

---

(١) قوت البلاغ : ما كان على قدر الكفاية .

(٢) التباب : الهلاك .

(٣) تفقأ الجرح : انفتح وسال .

(٤) ملق : ملاق شره .

جملة من أمثاله :

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ القُوتُ ... ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ

* * *

الفقرُ فيما جاوز الكَفَافا ... من اتقى اللهَ رجا وخافا

* * *

هي المقادير فلُمْني أو فذَرْ ... إن كُنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَرْ

* * *

ما انتفعَ المرءُ بمثل عقلِهِ ... وخيرُ ذُخرِ المرءِ حسنُ فعلِهِ

* * *

إن الشبابَ والفراغَ والجِدَه ... مفسدةٌ للمرء أيُّ مفسدَه

* * *

ما زالتِ الدنيا لنا دارَ أذى ... ممزوجةَ الصفوِ بألوان القَذَى

* * *

الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ ... لذا نِتاجٌ ولذا نتاجُ

* * *

من لك بالمحض وليس محضُ ... يخبُثُ بعضٌ ويطيب بعضُ

* * *

إنك لو تستنشق الشَّحيحا ... وجدته أنتنَ شيءٍ ريحا

* * *

والخير والشر إذا ما عُدّا ... بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جدا

(٩) أبـو تمـام[1]

قال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحاق محمد بن هارون الرشيد، ويذكر فتح عمورية :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَّعِبِ[2]

بِيضُ الصَّفَائِحِ لا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ[3]

وَالعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ لامِعَةً ... بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ[4]

أَيْنَ الرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ؟

تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً ... لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ[5]

---

(١) هو حبيب بن أوس الطائى نسبة الى قبيلة طيء . ولد فى قرية جاسم من بلاد حوران بالشام، ثم انحدر الى مصر صبيا فتروى الأدب، وأكثر من حفظ الشعر، قصيده وأراجيزه، وعالج القريض حتى أجاده وبرع فيه ثم صار الى بغداد فدح الخليفة المعتصم وغيره فأبدع وأوفى على الغاية حتى تقدم على سائر شعراء عصره . و يمتاز فى شعره بتخير اللفظ . وتجويد الصياغة وهو من أوائل من عنوا بتحرى فنون البديع ، وبخاصة الطباق والتجنيس وكانت وفاته سنة ٢٣١ هجرية .

(٢) الانباء : جمع نبأ ، وهو الخبر يقول: إن السيف أصدق مما تضمنته الكتب وقد حدثوا أن المنجمين كانوا حذروا المعتصم فتحها فى هذا الأوان ، وقالوا إنا نجد فى الكتب أنها لا تفتح إلا فى وقت نضج التين والعنب، فلم يسمع المعتصم لقولهم وسار بجيشه ففتحها .

(٣) الصفائح جمع صفيحة : السيف العريض . والصحائف جمع صحيفة : القرطاس المكتوب ، يقول : إن السيوف البيضاء هى التى تجلو الشك وتزيل الريب لا الصحائف المكتوبة .

(٤) شهب الأرماح : أى الرماح التى هى كالشهب . والخميس : الجيش . والسبعة الشهب هى : الشمس والقمر وزحل والمشترى والمريخ وزهرة وعطارد ، يقول : إن العلم الحق إنما هو فى السيوف وليس فى النجوم .

(٥) التخرص : الكذب . والنبع : شجر صلب ينبت فى رءوس الجبال . والغرب : نبات رخو ينبت على الأنهار، أى أن أحاديث المنجمين كذب لا أصل له .

عَجَائِبًا زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفِلَةً   عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ[١]

وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ   إِذَا بَدَا الكَوْكَبُ الغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ

وَصَيَّرُوا الأَبْرُجَ العُلْيَا مُرَتَّبَةً   مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ[٢]

يَقْضُونَ بِالأَمْرِ عَنْهَا وَهْيَ غَافِلَةٌ   مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطُبِ[٣]

لَوْ بَيَّنَتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ   لَمْ تُخْفِ مَا حَلَّ بِالأَوْثَانِ وَالصُّلُبِ

فَتْحِ الفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ   نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ

فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ   وَتَبْرُزُ الأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا القُشُبِ

يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ   عَنْكَ المُنَى حُفَّلًا مَعْسُولَةَ الحَلَبِ[٤]

أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الإِسْلَامِ فِي صُعُدٍ   وَالمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشِّرْكِ فِي صَبَبِ[٥]

أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا   فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبِ[٦]

وَبَرْزَةُ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا   كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ[٧]

---

(١) يقول : إنهم اختلقوا عجائب فزعموا أن صفرا ورجبا شهرا شؤم لا يأتيان بخير .

(٢) كانوا يقسمون بروج السماء ثلاثة أقسام — أربعة منقلبة — وهى الحمل والسرطان والميزان والجدى ، وأربعة ثابتة ، وأربعة ذوات جسدين . ويزعمون أن الحوادث تقع وفق الطالع فان كان الحادث سيقع فى برج ثابت فعلوه وان كان فى منقلب لم يفعلوه .

(٣) يقول : إن النجوم نفسها غافلة عما يحدثون به ويأفكون .

(٤) المنى : ما يتمناه الإنسان ، وحفل : جمع حافل ، وهى الناقة التى امتلأ ضرعها . والحلب : الحلبة من اللبن ، ومعسولة : حلوة . يقول : إن أمانينا عادت وهى حافلة بالسرور لتحقق ما أملت .

(٥) الصبب : الانحدار .

(٦) يقول : إن عمورية كانت عزيزة عليهم كأمهم ، وإنها كانت ركنا عظيما من أركانهم .

(٧) البرزة : الحسنة الوجه : الفائقة فى الجمال . وكسرى : ملك فارس . وأبو كرب : ملك من ملوك التبابعة باليمن . يقول : إن عمورية جميلة فائقة الجمال قد أعيا فتحها كسرى وأبا كرب .

مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ ... شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهْيَ لَمْ تَشِبِ

بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ ... وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ

حَتَّى إِذَا مَخَّضَ اللهُ السِّنِينَ لَهَا ... مَخْضَ الْبَخِيلَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحِقَبِ[1]

أَتَتْهُمُ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً ... مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الْكُرَبِ[2]

جَرَى لَهَا الْفَأْلُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقِرَةٍ ... إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ وَالرُّحَبِ[3]

لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ ... كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ[4]

كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ ... قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ آنِي دَمٍ سَرِبِ[5]

بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِّيِّ مِنْ دَمِهِ ... لَا سُنَّةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ[6]

لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا ... لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ[7]

غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى ... يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ[8]

---

(١) مخض اللبن : خلطه ماء ثم رجه ليستخرج زبدته . ومخض البخيلة أشد لأنها تريد أن تستوفى مافى اللبن من زبدة . يقول : إن الله حفظ عمورية وظلت الأجيال تمخضها مخض البخيلة حتى استخلصها المعتصم فكانت زبدة الدهور .

(٢) الكربة السوداء : المصيبة العظمى . سادرة : متحيرة والضمير فى منها واسمها يرجع على عمورية . يقول : إن الكارثة العظمى أصابتهم بفتحها وكانت عندهم فراجة الكرب لتعويلهم عليها فى حروبهم .

(٣ و ٤) كان المعتصم قد فتح أنقرة قبل فتح عمورية . يقول : لما فتحت أنقرة كان فتحها شؤما على عمورية وأهلها فكان خراب أنقرة أعدى من الجرب إذ سقطت بعدها عمورية .

(٥) قانى الذوائب : أحمر الضفائر . والآنى : الحار جدا . وسرب : سائل . يقول : كم بين حيطان عمورية وقلعتها من جنود خضبت بالدماء الحارة .

(٦) كان بعض المسلمين يرون من السنة أن يخضب الشعر بالحناء . فهو يقول : إن هؤلاء الأبطال خضبوا من السيوف بالدماء وليس خضابهم — كالسنة — بالحناء .

(٧) يقول لقد تركت الصخر والخشب ذليلين لكثرة ما أعملت فيهما من النار .

(٨) يشله : يطرده . يقول : إن الليل المظلم صار نهارا باشتعال النيران التى كانت تطارد الظلام .

حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ

فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ(١)

تَصَرَّحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ(٢)

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى بَانٍ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبِ(٣)

مَا رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًا مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ(٤)

وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أُدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ أَشْهَى إِلَى نَاظِرِي مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ(٥)

سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنَّا الْعُيُونُ بِهَا عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ(٦)

وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ جَاءَتْ بَشَاشَتُهُ عَنْ سُوءِ مُنْقَلَبِ

لَمْ يَعْلَمِ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضُبِ

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ لِلَّهِ مُرْتَغِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبِ

---

(١) وجبت الشمس : غربت . يقول : إن النار كانت قد ملأت القلعة حتى لتظن أن الشمس طالعة وهى لم تطلع ، وتظن من دخانها الكثيف المظلم أنها غربت ولم تغرب بدليل ما ترى من ضياء .

(٢) تصرح : تنكشف . يقول : انكشف الدهر كما ينكشف الغمام عن يوم شديد وكان يوما طاهرا جنبا . ويعنى بطهره ما كان فيه من جهاد العدو . وهو مطلب دينى ، ويعنى بجنابته ما كان فيه من سبى وما إليه .

(٣) لم تطلع الشمس على متزوج من العدو لأنه قتل ، ولم تغرب على عزب من المسلمين لأنه قد ناله من السبايا ما بنى بها .

(٤) غيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور . ومية : محبوبته التى أكثر من التشبيب بها .

(٥) الخد الترب : المعفر فى التراب .

(٦) يقول : إن منظر عمورية وما فيه من خراب وتهدم وسماجة أجمل فى العيون من منظر جميل .

وَمُطْعَمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ ... يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ (١)

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ ... إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعُبِ (٢)

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَغَى لَغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا ... وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ تُصِبِ

مِنْ بَعْدِ مَا أَشَّبُوهَا وَاثِقِينَ بِهَا ... وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشِبِ (٣)

وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ ... لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوِرْدُ مِنْ كَثَبِ (٤)

أَمَانِيًا سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِهَا ... ظُبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلُبِ

إِنَّ الْحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمُرٍ ... دَلْوَا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشُبِ (٥)

لَبَّيْتَ صَوْتًا زِبَطْرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ ... كَأْسَ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخُرَّدِ الْعُرُبِ (٦)

عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ ... بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصِبِ (٧)

---

(١) يعنى بمطعم النصر الخليفة المعتصم : ومعنى مطعم النصر أن الله يطعمه النصر كما يطعمه الرزق. وكهمت أسنته : كلت . (٢) نهد الرجل : نهض .

(٣) أشبوها : حصنوها . والمعقل الأشب : الحصن المنيع .

(٤) ذو أمرهم : قائدهم ، أى قال قائدهم اثبتوا للعدو فأنتم بمأمن اذ ليس مكان قريب تحل به جنود العدو ثم لا يمكن أن تنال من قرب .

(٥) الحمام : الموت . والبيض : السيوف . والسمر : القنا . يقول : إن السيوف والقنا وهما أسباب الموت هما كذلك أسباب الحياة من نيل الماء والعشب .

(٦) زبطريا : نسبة الى زبطرة : بلدة كان قد فتحها الروم فلما أرادوا أن يسبوا امرأة مسلمة فيها نادت وامعتصماه فبلغ ذلك المعتصم وكان فى يده كأس فلم يشربها وأمر بتجنيد الجيش وغزو عمورية . والرضاب : الريق . والخرد : الحسان . والعرب جمع عروب : وهى المرأة المتحببة لزوجها .

(٧) عداك : صرفك . والثغور الأولى : البلاد المتاخمة للعدو . والثغور الثانية : أسنان الحسان . وسلسالها : ريقها . والحصب : العذب .

أَجَبْتَــهُ مُعْلِناً بالسَّــيفِ مُنْصَلِتاً ... وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَـيْرِ السَّـيْفِ لَمْ تُجِبِ(١)

حتى تَرَكْتَ عَمُــودَ الشِّرْكِ مُنْقَعِـرا ... ولم تُعَــرِّجْ عَــلى الأَوْتَادِ والطُّنُبِ

لَمَّـا رَأَى الْحَرْبَ رَأْيَ الْعَيْنِ تَوْفَلِسٌ ... والْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرَبِ(٢)

غَــدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْــوَالِ جَرْيَتَهَا ... فَعَــزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التَّيَّارِ والْحَــدَبِ(٣)

هَيْهَاتَ زُعْزِعَتِ الْأَرْضُ الْوَقُورُ بِهِ ... عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غزوِ مكتسبِ

لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُــرْبِي لِكَثْرَتِهِ ... عَلَى الْحَصَى وَبِهِ فَقْــرٌ إِلَى الذَّهَبِ(٤)

إِنَّ الْأُسُودَ أُسُــودَ الْغَابِ هِمَّتُهَــا ... يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ

وَلَّى وَقَــدْ أَلْجَمَ الْخَطِّيُّ مَنْطِقَــهُ ... بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَــا الْأَحْشَــاءُ فِي صَخَبِ(٥)

أَحْذَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ الردى وَمَضَى ... يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرَبِ(٦)

مُوَكَّلاً بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُــهُ ... مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ(٧)

إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ الظَّلِيمِ فَقَــدْ ... أَوْسَـعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الحطبِ(٨)

---

(١) الضمير فى أجبته يعود على الصوت الزبطرى ، وهو صوت المرأة المستغيثة .

(٢) توفلس : ملك الروم ، والحرب بالفتح : سلب الأموال .

(٣) يقول إن توفلس أخذ يرشى بالمال ليدفع عنه تيار الجيوش فغلبه البحر ذو التيار والحدب . ويعنى بالبحر الجيش العظيم وذو الحدب : ذو الموج المتلاطم .

(٤) الضمير فى ينفق : يعود على المعتصم .

(٥) الضمير فى ولى . يعود على توفلس ، وألجم الخطى منطقه ، أى أخرسه السيف .

(٦) أحذى : أعطى ، وقرابينه : أى المقربين له ، يقول : إن توفلس قدم المقربين اليه هدية لصروف الموت وهرب هو على أحسن مطاياه وأنجاها

(٧) اليفاع . الارض المرتفعة ، ويشرفه : يعلوه .

(٨) يقول : إن فر توفلس من حرّ النار فرار النعام فذلك لأنك أضرمت نارا لا عهد له بها .

تِسْعُونَ أَلْفاً كَآسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ ... جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ وَالعِنَبِ (١)

يَارُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتُثَّ دَابِرُهُمْ ... طَابَتْ وَلَوْ ضُمِّخَتْ بِالمِسْكِ لَمْ تَطِبِ (٢)

وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ ... حَيَّ الرِّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الغَضَبِ

والحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَأْزِقٍ لَجِجٍ ... تَجْثُو الكُمَاةُ بِهِ صُغْراً عَلَى الرُّكَبِ (٣)

كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَى قَمَرٍ ... وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ (٤)

كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا ... إِلَى المُخَدَّرَةِ العَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ (٥)

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً ... تَهْتَزُّ مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثُبِ (٦)

بِيضٌ إذا انْتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ ... أَحَقَّ بِالبِيضِ أَبْدَاناً مِنَ الحُجُبِ (٧)

خَلِيفَةَ اللهِ ! جَازَى اللهُ سَعْيَكَ عَنْ ... جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالإِسْلَامِ وَالحَسَبِ

بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا ... تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ ... مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ (٨)

---

(١) يقول : إن جيش العدو كان تسعين ألفا حل أجلهم قبل أن ينضج التين والعنب ، وفى هذا تهكم بقول المنجمين الذى ذكر فى أول القصيدة .

(٢) الحوباء : النفس ويعنى نفوس المسلمين وقد طابت بقطع دابر العدو بأكثر مما تطيب بالمسك .

(٣) المأزق : موضع الحرب . ولجج : ضيق . والكماة : الأبطال . وصغرا : أذلاء .

(٤) العارض الأول : السحاب . والثانى ما يعرض من الأسنان ، وشنب : رقيق لطيف .

(٥) يعنى بالمخدرة العذراء عمورية لأنها لم تفتح قبل . يقول : إن قطع الرقاب كان سببا فى فتح عمورية والضمير فى بها للحرب .

(٦) القضب : السيوف . ومصلتة : مشهورة . والقضب الثانية : الغصون . أى كم أحرزت هذه السيوف قدودا كالأغصان .

(٧) انتضيت : سلت . والحجب : الأغماد . يقول : إن هذه السيوف أحق أن تغمد فى صدور الأعداء البيض أبدانا من أن تغمد فى قرابها .

(٨) الذمام . الحرمة . ومنقضب . منقطع

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامِ «بَدْرٍ» أَقْرَبُ النَّسَبِ
أَبْقَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمِمْرَاضِ كَاسْمِهِمِ صُفْرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهَ الْعَرَبِ[1]

وقال يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَب .

وَرَكْبٍ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ[2]
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ[3]
عَلَى كُلِّ مَوَّارِ الْمِلَاطِ تَهَدَّمَتْ عَرِيكَتُهُ الْعَلْيَاءُ وَانْضَمَّ حَالِبُهْ[4]
رَعَتْهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ[5]
إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الْمُلْكِ كُلَّمَا هَبَطْنَا مَلًا صَلَّتْ عَلَيْكَ سَبَاسِبُهْ[6]
إِلَى سَالِبِ الْجَبَّارِ بَيْضَةَ مُلْكِهِ وَآمِلُهُ غَادٍ عَلَيْهِ فَسَالِبُهْ[7]

---

(١) بنو الأصفر : الروم . والممراض : الكثير المرض .

(٢) أطراف الأسنة : أسنة الرماح . عرسوا : نزلوا ليلا . يقول : إن هؤلاء الركب ركبوا على مثل أسنة الرماح وهى كور الجمال التى تشبه الأسنة فى الصلابة والمضاء . وغياهب الليل : ظلمته .

(٣) لأمر : متعلق بعرسوا : أى أن هؤلاء الركب ركبوا لأمر وهو نيل العطاء من الممدوح ولكن عليهم أوّله وهو السفر وتحمل التعب ليس عليهم تمامه وهو أن يفوزوا بمطلبهم .

(٤) على كل : متعلق بفعل محذوف وهو ساروا . والملاط : عضد البعير . والموار : المتحرك . والحالب : عرق يتصل بأسفل البطن وهو كناية عن الضمور .

(٥) الفيافى : فلوات لا ماء بها ، والواو للحال : أى أن هذه الإبل كانت ترعى الفيافى أيام نضارتها وهى الآن ترعاها الفيافى فتضعفها وتهزلها .

(٦) جزعنا الأرض : قطعناها عرضا . ومغرب الملك : الشام . وكان أبو تمام بها وكان ممدوحه بخراسان . والملا : الصحراء . وصلت عليه : أتت عليه . والسباسب : جمع سبسب . الأرض المستوية .

(٧) بيضة الملك : حوزته وأصله . وآمله : طالب العطاء منه : يقول : إنا سرنا إلى من يسلب الجبار ملكه ، وطالب العطاء منه يسلبه ماله ، فهو سالب ملك الجبار ومسلوب المال من الطالبين .

وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ ... وَسَهَّلَتِ الْأَرْضَ الْعِزَازَ كَتَائِبُهُ

سَمَا لِلْعُلَا مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا ... سُمُوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ(١)

فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ ... وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهْ

وَأَيْنَ بِوَجْهِ الْحَزْمِ عَنْهُ وَإِنَّمَا ... مَرَائِي الْأُمُورِ الْمُشْكِلَاتِ تَجَارِبُهْ(٢)

أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ ... مَهَايِعُهُ الْمُثْلَى وَمَحَّتْ لَوَاحِبُهْ(٣)

فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَائِرٍ ... مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهْيَ مَوَاهِبُهْ(٤)

إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بِرَبْعِكَ رَحْلَهُ ... فَقَدْ طَالَبَتْهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهْ(٥)

وقال يمدح أحمد بن المعتصم :

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا ... أَقْوَاتَهَا لِتَصَرُّفِ الْأَحْرَاسِ (٦)

فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قِرًى لَهَا ... وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ (٧)

الْقَوْمُ ظِلُّ اللهِ أَسْكَنَ دِينَهُ ... فِيهِمْ وَهُمْ جَبَلُ الْمُلُوكِ الرَّاسِي

فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِرِنْدٌ مُشْرِقٌ ... وَهُمُ الْفِرِنْدُ لِهَؤُلَاءِ النَّاسِ (٨)

---

(١) يريد بجانبي العلا الشجاعة فى الحرب والكرم . والعباب : معظم الماء . وجاشت : زخرت . وغواربه : أعلى أمواجه .

(٢) أين بوجه الحزم : أى كيف يشكل عليه الحزم . وتجاربه مرآة للمشكلات . ومرائى : جمع مرآة .

(٣) أرى الناس : بين لهم وأوضح . المهايع واللواحب : الطرق الواضحة . وعفت ومحت : درست .

(٤) لما علم الناس الكرم كانت هباتهم ليست منه وهى فى الحقيقة منه لأنه هو الذى علمهم .

(٥) أى من نزل عندك وألقى رحله بربعك ضمن نجح مطلبه .

(٦) الأحراس : جمع حارس .

(٧) الأرض مبتدا ومعروف مبتدأ ثان . وقرى خبر المبتدا الثانى والجملة خبر المبتدأ الأول ، ومعروف السماء : المطر . يقول ان الأرض قوتها المطر . وأهل الرجاء لهم بنو العباس يحققون لهم ما رجوا .

(٨) الفرند : رونق الشىء .

هَدأَتْ عَلَى تأْمِيلِ أحْمَدَ هِمَّتِي ... وَأَطَافَ تَقْلِيدِي بِهِ وَقِيَاسِي (١)

وَالحَمْدُ بُرْدُ جَمَالٍ اخْتَالَتْ بِهِ ... غُرَرُ الفِعَالِ وَلَيْسَ بُرْدَ لِبَاسِ

أَبْلَيْتَ هَذَا المَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ ... فِيهِ وَأَكْرَمَ شِيمَةٍ وَنِحَاسِ (٢)

إقْدَامُ عَمْرٍو فِى سَمَاحَةِ حَاتِمٍ ... فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ (٣)

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ ... مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلًا مِنَ المِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ (٤)

غَلَبَ السُّرُورُ عَلَى هُمُومِي بِالَّذِى ... أَظْهَرْتَ مِنْ بِرِّى وَمِنْ إِينَاسِي

عَدَلَ المَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ يَكُنْ ... مِنْ كَبْرَةٍ لَكِنَّهُ مِنْ بَاسِ (٥)

أَثَرُ المَطَالِبِ فِي الفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... أَثَرُ السِّنِينَ وَوَسْمُهَا فِي الرَّاسِ

وقال يمدح الحسن بن رجاء :

لمَّا وَرَدْنا سَاحَةَ الحَسَنِ انقَضَى ... عَنَّا تَعَجْرُفُ دَوْلَةِ الإِمْحَالِ (٦)

أحيَا الرجاء لنا برغمِ نوائبٍ ... كَثُرَتْ بِهِنَّ مَصَارِعُ الآمالِ (٧)

---

(١) يقول : إن همتى استقرت بعد أن أملت أحمد بن المعتصم ، وتقليدى للناس فى السعى اليه وتجاربه حققت آمالى .

(٢) تقول : أبليت فلانا نعمة اذا أسديتها اليه . والنحاس : الشيمة والطبع .

(٣) هو عمرو بن معديكرب ، وحاتم الطائى المشهور بالكرم ، و إياس بن معاوية كان قاضيا بالبصرة ، والأحنف بن قيس سيد بنى تميم .

(٤) إشارة الى الآية الكريمة « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

(٥) يقول : إن مشيبي تحول إلى شباب ولم يكن مشيبي من كبر ولكنه من يأس ، فلما قصدتك زال همي ووقف المشيب وسلكت طريق الشباب .

(٦) التعجرف : التكبر . الإمحال : الجدب .

(٧) مصارع . جمع مصرع : وهو الموت ، والمراد عدم تحققها .

أَغْلَى عَذَارَى الشِّعرِ أن مُهورَهَا ... عند الكِرامِ ـ وإنْ رَخُصْنَ ـ غَوالِى [١]

تَرِدُ الظنونُ بنا على تصديقِها ... ويُحَكِّمُ الآمالَ فى الأموالِ [٢]

ورأيتَنى فسألتَ نفسَك سَيْبَها ... لِى ثم جُدتَ، وما انتظرتَ سُؤالِى [٣]

كالغيثِ ليس لهُ ـ أُريدَ نوالُه ... أو لم يُرَدْ ـ بُدٌّ من التَّهطالِ [٤]

وقال فى وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات :

لكَ القلمُ الأعلَى الذى بِشَبَاتِهِ ... تُصابُ من الأمرِ الكُلَى والمَفاصِلُ [٥]

لُعابُ الأفاعِى القاتِلاتِ لُعابُهُ ... وأَرْىُ الجَنَى اشتارَتْه أيدٍ عواسِلُ [٦]

له ريقةٌ طَلٌّ ولكنَّ وقْعَها ... بآثارِه فى الشرقِ والغربِ وابلُ [٧]

فَصيحٌ اذا استنطقتَه وهو راكبٌ ... وأعجمُ إنْ خاطبتَه وهو راجلُ [٨]

---

(١) العذارى جمع عذراء : الفتاة ، والمراد بدائع الشعر التى لم تبتذل .

(٢) يقول : إن ما نظنه ونخاله من الخيرات يدفعنا اليه فنجده حقا ، ثم يعطينا من أمواله ما أملناه فيه .

(٣) السيب : العطاء . يريد أنك رأيتنى فاقتضيت نفسك إعطائى دون أن أسألك ذلك .

(٤) الغيث : المطر . التهطال : المطر المتتابع ، وهذا البيت دليل ما قبله ومثال له

(٥) الشباة : سن الرمح ، استعارها الشاعر لسن القلم وهو أسلته ، لأن الشباة أشكل بالمعنى الذى أراده . الكلى جمع كلية ، يريد أنه موفق إلى الحكمة والإصابة حتى لا يقع رأيه فى تدبير الأمور إلا فى الصميم .

(٦) الأرى : عسل النحل . واشتارته : استخرجته من شمعه . واللعاب : الريق . يريد أنه إذا غضب كان قوله كسم الأفاعى ، وإذا رضى كان فى حلاوة الشهد استخرجته أيد خبيرة باستخراجه .

(٧) الريقة : الريق . والطل المطر الخفيف . والوابل والوبل المطر الغزير . يريد أنه وإن لم يصب من المداد إلا يسيرا فان أثره فى شرق الأرض وغربها جليل عظيم .

(٨) يريد به راكبا حين تحمله الأنامل للكتابة . وراجلا : حين يلقى . والراجل : ضد الراكب ، لأنه انما يعتمد على رجليه .

اذا مَا امتطى الخمسَ اللطاف وأفرِغَت ... عليـــه شِعَابُ الفِكرِ وهى حَوافل (١)

أطاعتــه أطرافُ القنا، وتَقَوَّضتْ ... لنجواه تقويضَ الخِيام الجحافِـلُ (٢)

اذا استـــغْزَر الذهنُ الجليُّ وأقبلتْ ... أعاليه فى القِرطاس، وهى أسافِلُ (٣)

وقد رفَدتْهُ الخِنْصران، وسَـــدَّدتْ ... ثلاثَ نواحِيــه الثلاثُ الأناملُ (٤)

رأيتَ جَليــلًا شأنُه وهْوَ مُرهَفٌ ... ضَـنًى وسَمِينًا خَطبُــه وهو ناحِلُ (٥)

وقال يرثى محمد بن حُميد الطوسى :

كَذَا فليجِلَّ الخطبُ، وليَفدَحِ الأمرُ ... فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُــذْرُ (٦)

تُوفِّيت الآمالُ بعــدَ محمـــدٍ ... وأصبح فى شُغلٍ عن السفرِ السَّفْرُ (٧)

وما كانَ إلَّا مالَ من قــلّ مالُهُ ... وذُخرًا لمن أمسى، وليس له ذُخر (٨)

وما كانَ يَدرى مُجتَدِى جودِ كفِّهِ ... اذا ما استهلّت أنهُ خُــلِقَ العُسر (٩)

---

(١) يريد بالخمس اللطاف الأنامل . واللطاف : الدقاق . والشعاب : جمع شعبة وهى هنا مناحى التفكير . وحوافل : جمع حافلة أى ممتلئة زاخرة .

(٢) القنا جمع قناة وهى الرمح . وأطرافها أسنانها . والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش الكثير العدد .

(٣) القرطاس : ويجمع على قراطيس الورق . ويريد بأعالى القلم أسلفه (سنه) .

(٤) رفده : أعانه وأمدّه . ويريد بالخنصرين : الخنصر والبنصر من باب التغليب كما يطلق العمران على أبى بكر وعمر، والقمران على الشمس والقمر .

(٥) المرهف : المرقق الحاد . الضنى المرض . الخطب الشأن والقدر . الناحل : النحيف .

(٦) فدح الأمر يفدح صعب وثقل . والفوادح : النوازل .

(٧) السفر : المسافرون . يقول : إنه بموته انقطعت الآمال لأن الناس لم يكونوا يؤملون إلا فيه . وشغلت الناس الرزيئة فيه عن أسفارهم وقضاء حاجاتهم .

(٨) الذخر والذخيرة : ما يحفظ لوقت الحاجة .

(٩) اجتدى يجتدى : سأل العطية، والمراد بـ (استهلت) كفه : حتى إن سائليه ما كانوا يدرون أن العسر قد خلق .

ألَا فى سبيل اللهِ مَن عُطِّلَتْ له	فِجاجُ سبيلِ اللهِ ، وانثغرَ الثغرُ [1]
فتىً كلما فاضت عيونُ قبيلةٍ	دمًا ضحكت عنهُ الأحاديثُ والذكْرُ [2]
فتى دهرُه شطران فيما ينوبه	ففى بأسِه شطرٌ ، وفى جودِه شطرُ [3]
فتىً مات بين الطعنِ والضربِ ميتةً	تقومُ مقامَ النصرِ إذ فاته النصرُ [4]
وما ماتَ حتى ماتَ مضربُ سيفِه	من الضربِ ، واعتلَّت عليه القنا السُّمرُ [5]
وقد كانَ فوتُ الموتِ سهلا فردَّهُ	اليه الحفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوعْرُ [6]
ونفسٌ تعافُ العارَ حتى كأنما	هوَ الكُفرُ يومَ الرَّوعِ أو دُونَه الكفرُ [7]
فأثبتَ فى مستنقعِ الموتِ رجلَه	وقال لها : من تحتِ أخمَصِكِ الحشرُ [8]
غدَا غُدوةً ، والحمدُ نسجُ رِدائه	فلم ينصرِف إلَّا وأكفانُه الأجرُ [9]

(١) فجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين . والمراد بها هنا مجرد الطريق . وانثغر الثغر : أى اجتيزت الحدود .

(٢) يقول : إنه ما من قبيلة دحرت فى الحرب حتى فاض الدم من عيونها إلا ذكره الناس بالفخر لأنه هازمها .

(٣) ينوبه : يلم به ويشغله . والبأس : الشجاعة والقوة .

(٤) يقول : إنه قتل قتلة بطل شجاع حتى أضحت لكرمها وعزتها تعادل النصر حين فاته النصر .

(٥) مضرب السيف : حده . واعتلت : اعتذرت وتثاقلت . والقنا : جمع قناة وهى الرمح ونعتت بالسمرة كما نعتت السيوف بالبياض . يقول : إنه لم يقتل حتى تثلم حد سيفه من شدة ما ضرب به وحتى تقصفت الرماح فى يديه فلم تعد تغنى فى الطعان .

(٦) الحفاظ : الحمية والغضب عند حفظ الحرمة ، والوعر ضد السهل والمراد به هنا الشديد الأنفة يقول : إنه كان يستطيع أن يدفع الموت عن نفسه بالهرب ونحوه ، ولكنه آثر الموت أنفة من العار .

(٧) الروع هنا الحرب ، ويجوز أن يراد به الشدة بوجه عام .

(٨) جعل الموت مستنقعا كمستنقع الماء وهو مجتمعه فى بطن الوادى . وأخمص القدم ما لا يصيب الأرض من باطنها . يريد أنه قد ثبت للموت فلا تتحول رجله الى أن يموت حتى كأن الحشر من تحتها .

(٩) غدا : خرج فى أول النهار . يريد أنه عاش محمودا مشكورا ، ومات مثوبا مأجورا .

تَرَدَّى ثِياب الموت حُمرا ، فما دَجا ... لها الليلُ إلا وهْى من سُندسٍ خضرُ (١)

كأنَّ بَنِي نَبهانَ يوم وفاتِه ... نُجُومُ سماءٍ خرّ من بينها البدر (٢)

يُعزّون عن ثاوٍ تُعزَّى به العُلا ... ويبكى عليه البأسُ والجودُ والشعر (٣)

وأنَّى لهم صبرٌ عليه وقد مضى ... الى الموتِ حتى استُشهدا هوَ والصبرُ (٤)

فتًى كان عذبَ الروح لا مِنْ غَضاضةٍ ... ولكنَّ كِبرًا أن يقالَ به كِبرُ (٥)

فتًى سَلَبَتْهُ الخيلُ وهْو حِمًى لها ... وَبزّتْهُ نارُ الحرب وهْو لها جَمْرُ (٦)

وقد كانتِ البيضُ المآثيرُ فى الوغى ... بواتِرَ، فهْى الآن مِنْ بعدهِ بُترُ (٧)

أمِنْ بعد طَىِّ الحادثاتِ محمدا ... يكونُ لأثواب الندى أبدا نَشر (٨)

إذا شجرات العُرف جُذَّت أصولُها ... ففى أى فرعٍ يُوجَدُ الورق النضر؟ (٩)

لئن أُبغِضَ الدهرُ الخئونُ لفقده ... لَعَهدِى به ممنْ يُحَبُّ له الدهرُ (١٠)

---

(١) تردّى الثوب : لبسه . ودجا الليل : أظلم . والسندس : نسيج الحرير

(٢) بنو نبهان : قوم المرثى . بطن من طيئ .

(٣) ثاو : ثوى بالمكان يثوى فهو ثاو أى مقيم به . والميت ثاو لأنه مقيم فى قبره ما يبرحه .

(٤) استشهد الرجل بالبناء للمجهول : مات شهيدا يقول الشاعر : كيف لأهل القتيل بالصبر عليه وقد مات وماتت معه غريزة الصبر فى قومه واللائذين به .

(٥) الغضاضة هنا بمعنى الذلة . يقول : إنه كان كريم النفس لين الجانب لا من ذلة ولا استكانة بل أنفة من أن يقال إن فيه تكبرا . (٦) بزته : يقال بزه ثوبه وابتزه : سلبه .

(٧) المآثير : جمع مأثور . والسيف المأثور : القديم المتوارث . والوغى : الحرب . وبواتر : جمع باتر وهو القاطع . وبتر : جمع أبتر ؛ أى مقطوعة يريد أن السيوف كانت فى حياته حادّة قاطعة فلما مات تثلمت . والمراد أنه حين كان يحمل جيشه السيوف كانت تبلغ من الأعداء كل مبلغ ولما مات لم يبق لها قوة على النضال . (٨) يقال : طوى الردى فلانا يطويه طيا أى مات . والندى : الجود .

(٩) جذت : قطعت ، والنضر يقال : نضر الوجه واللون والشجر نضارة : فهو نضر أى حسن ونعم .

(١٠) يريد أن الدهر إذا كره لموته فإن الدهر كان يحب لأجله بما سجل له من عظائم ومفاخر فى الحياة .

لئن غدرتْ في الروعِ أيامُه به ... فما زالتِ الأيامُ شيمتُها الغدر[1]

لئن أُلبست فيه المصيبةَ طيّئٌ ... فما عُرّيتْ منها تميمٌ ولا بَكر[2]

كذلك ما تنفكّ نفقِدُ هالكا ... يُشاركُنا في فقده البدو والحضْر

سقى الغيثُ غيثًا وارتِ الأرضُ شخصَهُ ... وإن لم يكنْ فيه سَحابٌ ولا قَطر

وكيفَ احتمالي للغيوثِ صَنيعةً ... بإسقائها قبرًا ، وفي لحدِه البحرُ[3]

مضى طاهرَ الأثواب لم تبقَ روضةٌ ... غداةَ ثوى إلا اشتهت أنها قبر

ثوى في الثرى منْ كان يحيا به الثرى ... ويَغمُرُ صرفَ الدهرِ نائلُه الغمْر[4]

عليكَ سلامُ الله وقفًا فإنني ... رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليسَ له عُمرُ

(١٠) دِعْبِل[5]

قال :

أينَ الشبابُ ؟ وأيّةً سلكا ؟ ... لا ، أين يُطلبُ ؟ ضلَّ ، بل هلكا[6]

لا تعجَبي يا سَلْمُ من رَجُلٍ ... ضحِكَ المشيبُ برأسِه فبَكى[7]

---

(١) الشيمة : الخلق والطبيعة .

(٢) يريد أن المصيبة فيه لم تقتصر على طيء وحدها بل لقد (عمت بجلالة محله) تميما وبكرا .

(٣) كيف احتمل للطرجيلا هو سقيه هذا القبر مع أن فيه بحرا . ينكر الشاعر على نفسه دعوته للقبر بالسقيا . يعلل ذلك بأن فيه بحرا . (٤) الثرى : التراب . والنائل : العطاء . والغمر : الكثير .

(٥) دعبل بن على بن رزين يمنى من خزاعة ، نشأ بالكوفة متعصبا لقومه على العدنانية ، هجاء ، خبيث اللسان ، لا يسلم منه كبير ولا صغير حتى الخلفاء ، فعاش مكروها مرهوبا حتى توفى سنة ٢٤٦ هـ . وشعره من النوع المطبوع ذى الأسلوب القوى لتأثره بنزعته الجريئة في وجه الدولة ، وبتعصبه للطالبيين ، وبميله الى الإرهاب والتخويف ، يغلب على شعره الهجاء والمديح .

(٦) أية : أى سبيل . (٧) ضحك المشيب : ظهر الشيب ، وبين ضحك وبكى طباق .

يا ليت شعرى كيفَ يومكما ... يا صاحِبيَّ إذا دَمِى سُفِكا

لا تأخذا بظُلامتِي أحداً ، ... قلبي وطرْفِي فى دمى اشتَرَكا [1]

ومن قوله يرثى ابنَ عم له من خُزاعةَ :

كانتْ خُزاعةُ مِلءَ الأرض ما اتَّسَعَتْ ... فَقَصَّ مَرُّ الليالى من حَواشيها [2]

هذا أبو القاسِم الثاوى بِبَلقَعةٍ ... تَسفِي الرياحُ عليهِ من سَوافيها [3]

هبَّتْ وقد عَلِمَتْ أنْ لا هُبوبَ بِهِ ... وقد تكونُ حَسيرا إذْ يُبَارِيها [4]

أضحى قِرًى للمنايا إذ نزلنَ به ... وكان فى سالفِ الأيام يَقريها [5]

وقد سافر مرة فطال عليه السفر فقال :

أَلَمْ يأنِ للسَّفرِ الذينَ تحمَّلُوا ... إلى وَطنٍ قبلَ المماتِ رُجوعُ [6]

فقلتُ ولم أملكْ سَوابِقَ عَبرةٍ ... نَطقْنَ بما ضُمتْ عليه ضُلوعُ [7]

---

(١) الظلامة بضم الظاء : ما احتملته من الظلم ، والمراد هنا موته عشقا من أثر النظر بعينه والحب بقلبه .

(٢) الحواشى : الجوانب . والمفرد حاشية .

(٣) الثاوى : المقيم . والبلقعة : الأرض القفر جمعها بلاقع . وسفت الريح التراب : حملته . يريد أنه مدفون بأرض مقفرة تسفى بها الرياح على قبره .

(٤) الحسير : الضعيف الكليل . والمعنى : أن الريح هبت لما علمت بموته ، ولكنها فى حياته كانت تعجز عن مسايرته حين يسرع هو الى المكارم .

(٥) القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه ، والمعنى أنه أصبح طعمة الموت بعد ما كان وهو حى يقدم الى الموت ضحايا ه من قتلاه فى الحروب ، يصفه بالشجاعة .

(٦) يأنى : يقرب ويحضر ، والسفر : المسافرون ورجوع فاعل (يأن) والى وطن متعلق برجوع ، والاستفهام للإنكار .

(٧) العبرة بفتح العين : الدمعة . وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق الى الوطن والأهل .

تَبَيَّنْ ! فكم دارٍ تفرّق شملُها ! وشملٍ شَتِيتٍ عادَ وهوَ جميعُ (١)

كذاكَ الليالى صَرْفُهنّ كما تَرَى ؛ لِكلِّ أُناسٍ جَـدْبَةٌ وربيعُ (٢)

وكانت مودّةٌ بين دِعبل ومسلم بن الوليد أعقبتها جفوة، فكتب إليه دعبل :

أبا مَخْلَدٍ كُنّا عَقِيدَى مَوَدّةٍ هَـوَانا وقلبانا جميعًا معًا معَا (٣)

أَحوطُكَ بالغيبِ الذى أنت حائطى وأَجْزَعُ إشفاقًا مِنَ آن تَتَوجّعَا (٤)

فصيّرتَنِي بعـدَ ٱنتكاثِكَ مُتْهـمًا لِنفسِى، عليها أرهبُ الخلقَ أجمعًا (٥)

غَشَشْتَ الهوَى حتى تَداعتْ أُصولُه بِنا، وابتذلتَ الوصلَ حتى تقطّعَا (٦)

وأنزلتَ من بينِ الجوانحِ والحَشَا ذخـيرةَ وُدٍّ طالمـا قـد تمنّـعَا (٧)

فلا تَلْحَنِيَنّى ؛ ليس لى فيكَ مَطمعٌ تخرّقتَ حتى لم أَجِـد لك مَرْقَعًا (٨)

فَهبْـكَ يَمينِى اسـتأكلَتْ فقطعتُها وجشّمتُ قلبِي صَـبْرةً فتَشَجّعَا (٩)

---

(١) الشمل : ما اجتمع من الأمر أو ما تفرق منه . والشتيت : المتفرق . والجميع : المجتمع .

(٢) صرف الليالى : أحداثها . ومعنى جدبة وربيع : حالتا خير وشر .

(٣) العقيد : المعاقد والمعاهد ، والمعنى أننا كنا متعاهدين على الود متحدى الرغبات لا نتخالف .

(٤) أحوطك بالغيب الخ : أحفظ عهدك غائبا فأدفع عنك كما تدفع عنى كذلك ، وأخشى أن تتألم لشيء ما .

(٥) انتكاثك : انصرافك عنى ، ومعنى متهم لنفسى الخ : أنى أتهمها لشدة الخوف عليها من الناس جميعا بعد ما خنتنى وكنت مظنة الوفاء التام .

(٦) تداعت : تساقطت . وابتذلت الوصل : امتهنته .

(٧) الجوانح : الجوانب . والحشا : ما دون الحجاب من الكبد والطحال وغيرهما ، والمراد بما بينهما (القلب) . وتمنع : كان قويا لا يهن .

(٨) لحاه يلحاه و يلحوه : سبه وعابه . والمرقع : مكان ترقيع الثوب ، أى لا أمل فى إصلاحك .

(٩) يمينى : يدى اليمنى . استأكلت : أصابتها الأكلة وهى داء فى العضو يأتكل منه . ومعنى الشطر الثانى : صبرت قلبى على قطيعتك فصبر .

ومن قوله يذكر آل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وَلَيسَ حَيٌّ مِنَ الأحياءِ نَعلَمُه ... مِن ذِي يَمانٍ، ومن بَكرٍ، ومِن مُضَرِ (١)

إلّا وهُمْ شُركاءُ فى دِمائِهِم ... كما تَشارَكَ أيسارٌ على جُزُرِ (٢)

قَتلٌ، وأسرٌ، وتَحريقٌ، ومَنهَبَةٌ ... فِعلَ الغُزاةِ بأرضِ الرومِ والخزَرِ (٣)

أرَى أُمَيَّةَ مَعذورِينَ إن قَتَلُوا ... ولا أرَى لِبَنِي العباسِ مِن عُذُرِ (٤)

اِربَعْ بِطُوسَ على قبرِ الزَّكيِّ إذا ... ما كُنتَ تَربَعُ من دِينٍ علَى وطَرِ (٥)

قَبرانِ فى طُوسَ خيرُ الناسِ كُلِّهِم ... وقَبرُ شَرِّهِم؛ هذا من العِبَرِ

ما يَنفَعُ الرِّجْسَ من قُربِ الزَّكيِّ ولا ... علَى الزَّكيِّ بِقُربِ الرجسِ من ضَرَرِ (٦)

هيهاتَ! كُلُّ امرِئٍ رَهنٌ بما كَسَبَتْ ... له يداه؛ فَخُذْ ما شِئتَ أو فَذَرِ (٧)

---

(١) الأحياء : البطون والعشائر، مفردها : حى، والشطر الثانى : بيان للأحياء .

(٢) الأيسار : المقامرون . المفرد يسر، والجزر : النوق تذبح وتقسم أقساما للقامرة عليها ، يقول اشترك الأحياء فى قتل آل البيت كاشتراك المقامرين فى نحر الجزر .

(٣) الخزر : جيل من الناس يسكن سواحل بحر الخزر (طبرستان) .

(٤) يقول : إن الأمويين معذورون فى قتل الشيعة من آل البيت لأن أمية ليسوا كالعباسيين قرابة ، وهم بعد طلاب ملك يخافون عليه أصحابه .

(٥) طوس : عاصمة خراسان قديما ، بها قبر الرشيد وقبر على الرضا من آل على بن أبى طالب الذى مات أيام المأمون . واربع : أقم . والوطر : الحاجة والبغيـة أى إذا كنت محتاجا إلى أداء حق دينى فعرج على ذلك القبر (قبر على الرضا) .

(٦) الرجس : القبيح والقذر .

(٧) هيهات : بعد وفاعله محذوف ، أى بعد جدا تأثر أحد بعد الموت بعمل الآخر ... فكل امرئ محاسب على ما عمل .

وقال فى آل بيت الرسول :

مَدارِس آياتٍ خَلَتْ مِن تِلاوةٍ ... ومنزِلُ وَحْيٍ مُقفِرُ العَـــرَصاتِ [1]

لِآلِ رَسولِ اللهِ بالخَيفِ مِنْ مِنى ... وبالرُّكنِ والتعرِيفِ والجَمَـــراتِ [2]

ديارُ علىٍّ والحُسَــينِ وجَعفَـرٍ ... وحمـــزةَ والسَّجادِ ذى الثَّفِناتِ [3]

ديارٌ عفَاها كُلُّ جَونٍ مُبادِرٍ ... ولم تَعفُ للأيامِ والســـنواتِ [4]

قِفَا نسألِ الدارَ التى خَفَّ أهلُها : ... مَتى عَهدُها بالصَّومِ والصـــلواتِ

وأينَ الأُلَى شطَّت بهم غُربةُ النَّوى ... أفانينَ فى الآفاقِ مُفـــترِقاتِ [5]

وما النَّاسُ إلا حاســدٌ ومُكَذِّبٌ ... ومُضطغِنٌ ذو إحنـــةٍ وتِرَاتِ [6]

إذا ذَكَروا قَتلَى بِبَـدرٍ وخيبرٍ ... ويومِ حُنَينٍ أسـبَلُوا العَــبَراتِ [7]

---

(١) المقفر : الخالى من الناس . والعرصات : ساحات الدار ، المفرد عرصة . يقول : خلت ديار آل البيت وتشتت أهلها بعد ما كانت مدارس لتلاوة القرآن ، ومهبط وحى الرسول عليه السلام .

(٢) أسماء مواضع بمكة لا تزال قائمة لأداء الشعائر الدينية .

(٣) على بن أبى طالب ، ومن بعده من نسله وشيعته الذين نالهم الحكام بالتشتيت والقتل . والثفنة : الركبة ومجتمع الساق والفخذ ، والسجاد ذو الثفنات : على بن الحسين ، لأن طول السجود أثر فى ثفناته .

(٤) عفاها : محاها . والجون المبادر : السحاب الماطر .

(٥) شطت : بعدت وأفرطت . والنوى : البعد . والأفانين : الأنواع والأحوال ، جمع أفنون ، مفرده فن . والمعنى أن النوى ذهبت بهم مذاهب شتى .

(٦) مضطغن : حاقد . والإحنة : العداوة والحقد . والترات جمع ترة : الثأر .

(٧) بدر وخيبر وحنين : أسماء مواقع [illegible] الرسول وأعدائه فى الدعوة إلى الإسلام . وأسبلوا العبرات : أذرفوا الدمع ، وذلك لمحاربتهم النبى .

* * *

لَهُم كُلَّ حينٍ نومةٌ بمضاجع ... لهُم فى نَوَاحِى الأرض مُختلفاتِ

وقد كانَ منهمُ بالحجازِ وأهلِها ... مغاويرُ يَختارُون فى السَّرَواتِ (١)

مَلامَكَ فى أهلِ النبيِّ فإنَّهم ... أحبَّاىَ ماعاشوا وأهلُ ثِقَاتِى (٢)

تَخيَّرتُهم رُشدًا لأمرى فإنَّهم ... على كُلِّ حالٍ خِيرةُ الخِيرَاتِ (٣)

فيارِبِّ زِدْنى من يَقينى بصيرةً ... وزِدْ حُبَّهُم يا رَبِّ فى حسناتِى

بِنَفسِىَ أنتُمْ من كُهولٍ وفِتْيَةٍ ... لفَكِّ عُنَاةٍ أو لحملِ دِيَاتِ (٤)

أُحِبُّ قَصِىَّ الرِّحْمِ من أجلِ حُبِّكم ... وأهجرُ فيكُمْ أُسرتى وبَنَاتِى (٥)

وأكتُمُ حُبِّيكُمْ مَخافةَ كاشِحٍ ... عنيدٍ، لأهلِ الحقِّ غيرِ مُواتِ (٦)

لَقد حُفِّفتِ الأيامُ حولى بِشَرِّها ... وإنى لأرجُو الأمنَ بعدَ وفاتِى

ألَمْ تَرَ أنِّى مِن ثلاثين حِجَّةً ... أروحُ وأغدُو دائمَ الحسَراتِ

أرَى فَيْئَهُمْ فِى غيرِهِمْ مُتَقَسَّمًا ... وأيديَهِم مِنْ فَيْئِهم صَفِرَاتِ (٧)

---

(١) المغاوير: جمع مغوار، وهو كثير الغارات. والسروات: السادات، المفرد: سراة.

(٢) ملامك: أى دع لومك إياى، فى أهل النبي أى فى مدحهم والتعصب لهم.

(٣) الخيرات: جمع خيرة وهى من الشيء أو القوم الأفضل.

(٤) بنفسى أنتم: أفديكم بنفسى. والعناة: جمع عان وهو الأسير. والديات: جمع دية، وهى ما يدفع من المال فى دم القتيل، يريد أنهم يفكون الأسرى ويحملون الديات عمن تلزمه.

(٥) الرحم بكسر الراء وسكون الحاء: القرابة كالرحم. والقصى: البعيد، يقول: أحبكم وإن كانت صلتى بكم بعيدة فهو يمنى وهم مضرية.

(٦) الكاشح: من يضمر العداوة. المواتى: الموافق والمناصر.

(٧) الفيء: الخراج والغنيمة. وصفرات: خاليات، يريد أن مال الخراج لا يصل إليهم مع أن لهم فيه حقا.

فآلُ رَسولِ اللهِ نُحْفٌ جُسومُهمْ ... وآلُ زِيادٍ حُفَّلُ القَصَراتِ (١)

بَناتُ زِيادٍ فى القُصور مَصونَةٌ ... وآلُ رَسولِ آللهِ فى الفَلَواتِ (٢)

إذَا وُتِرُوا مَدُّوا إلى أَهلِ وِتْرِهِمْ ... أَكُفًّا من الأوتارِ مُنْقَبِضاتِ (٣)

فلولا الذى أرجوهُ فى اليومِ أو غَدٍ ... لَقَطَّعَ قلبى اثرَهم حَسَراتِ (٤)

(١١) على بن الجَهْم (٥)

قال فى الفراق

يَارَحْمَتَا لِلغَريبِ بِالبَلَدِ النَّا ... زِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا (٦)

فَارَقَ أَحْبَابَهُ فما آنتفعُوا ... بالعَيْشِ من بَعْدِه وَلَا آنتفعَا (٧)

---

(١) حفل القصرات : ضخام الأعناق ، كناية عن سمنهم .

(٢) الفلوات : الصحارى ، المفرد : فلاة .

(٣) وتروا : ظلموا . والوتر : الظلم والانتقام . والأوتار ، جمع وتر (كسبب) : معلق القوس ، أى لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم .

(٤) أى لولا ما أرجوه لهم من حسن الحال أو المثوبة لتمزق قلبى من الحسرة والحزن عليهم .

(٥) هو أبو الحسن علىّ بن الجهم . ولد بخراسان ثم انتقل الى بغداد وأقام بها واختص بالخليفة المتوكل وكان من خاصته . وأحبه المتوكل ثم ظهر له شىء من سوء أخلاقه لأنه كان واشيا نماما فنفاه الى خراسان سنة ٢٣٢ هـ . وأسلمه الى عامله طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ليصلبه نهارا كاملا فصلبه . ولما أنزله قال قصيدة جيدة فى ذلك . ولما اتهم فى أخلاقه وكراهة آل على وجفاء الناس ذهب الى الشام فى قافلة فخرج عليها جماعة من الأعراب فتقاتلوا فأصابته طعنة مات بسببها سنة ٢٤٩ هـ .

وكان ابن الجهم شاعرا مشهورا جيد الشعر وصافا قوى الأسلوب رائع المعانى حسن التعليل .

(٦) يارحمتا : دعاء بالرحمة . والبلد النازح . البعيد النائى .

(٧) العيش : الحياة .

وقال :

نَطَقَ الهَـوَى بجَوًى هُوَ الحَقُّ ... ومَلَكْـتني فَلْيَهنِـكَ الرِّقُّ (١)

رِفْقـا بِقَلْـبِى يا مُعَـذِّبَهُ ... رِفقًا وليس لظَـالِمٍ رِفْـقُ

وإذا رأيتُـكَ لا تُكَلِّمُـني ... ضَـاقَتْ عَلَيَّ الأرْضُ والأُفُقُ (٢)

وقال :

اعْلَمِي يا أحَبَّ شَيْءٍ إلَيَّـا ... أنَّ شَـوْقِي إلَيْكِ قَاضٍ عَلَيَّـا

إنْ قَضَى اللهُ لى رُجُوعًا إليكُمْ ... لا ذَكَرْتُ الفِرَاقَ ما دُمْتُ حيًّا

إنَّ حَرَّ الفِرَاقِ أنحَلَ جِسْـمِي ... وكَوَى القَلْبَ مِنِّيَ الشَّوْقُ كَيًّا

وقال :

لأَكْتُمَنَّ الذى فى القَلْبِ من حُرَقٍ ... حَتَّى أمُوتَ ولم يَعْـلَمْ بِهِ النَّـاسُ

وَلَا يُقَالُ شَـكَا مَن كَانَ يَعْشَـقُهُ ... إنَّ الشَّكَاةَ لِمَنْ تَهْوَى هِيَ اليَـاسُ (٣)

وَلَا أبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أكْتُمُهُ ... عِنْدَ الجُلُوسِ إذَا مَا دَارَتِ الكَاسُ (٤)

وقال :

النَّفْسُ بَعْـدَكَ لم تَنْظُرْ الى حَسَنٍ ... والنَّفْسُ بَعْدَكَ لم تَسْكُنْ الى سَكَنٍ (٥)

كَأنَّ نَفْسِي إذَا مَا غِبْتَ غَائِبَـةٌ ... حَتَّى إذَا عُدْتَ لِي عَادَتْ إلى بَدَنِي (٦)

---

(١) الجوى : شدّة الحرقة من العشق . فلهنك : فليسرك . والرق : العبودية ، ومنه الرقيق وهو العبد . فالشاعر يهنئ معشوقه على أنه ملكه فأصبح هو له عبدا .

(٢) الأفق : ما يرى من جانب السماء ما سا الأرض . (٣) الشكاة : الشكوى .

(٤) الجلوس : جمع جالس . يقول إنه لا يبوح بمكنون سره وما صنع به الهوى بجلاسه إذا شربوا الخمـر برغم أن الخمر تحل عقد الألسن ، وتستخرج دفين الأسرار .

(٥) السكن بفتح السين والكاف : البيت . والمراد أنها لا تستقر على حال .

(٦) البدن بفتح الباء والدال : الجسم .

وكتب من حبسه الى الخليفة المتوكل يستغيث به و يسأله العفو :

أَقِلْــنى أَقَالَكَ مَن لم يَزَلْ ... يَقِيكَ و يَصْرِفُ عَنْــكَ الرَّدَى (١)

وَيَغْـــذُوكَ بالنِّعَــمِ السَّابِغَا ... تِ وَلِيدًا وذا مَيْعَةٍ أَمْرَدَا (٢)

وَتَجْــرِى مَقَادِيرُهُ بِالذى ... تُحِبُّ إلى أن بَلَغْتَ المَدَى (٣)

ويُعليــكَ حتى لَوَانَّ السَّماءَ ... تُنَال لجاوزتَها مُصْـــعِدَا (٤)

فَشُكْــرًا لأَنْعُمِــهِ إِنَّــهُ ... إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَــةٌ جَــدَّدَا (٥)

وعَفْــوَكَ عن مُذْنِبٍ خَاضِــعٍ ... قَرَنْتَ المُقِــيمَ به المُقْعِـــدَا (٦)

إذا ادَّرَعَ اللَّيْــلَ أَفْضَى به ... الى الصُّبْحِ مِن قَبْــلِ أن يَرْقُدَا (٧)

عَفَا اللهُ عَنْــكَ أَلا حُرْمَــةٌ ... تَعُــوذُ بِفَضْــلِكَ أَنْ أَبْعَـــدَا (٨)

---

(١) أقاله : صفح عنه . والردى : الهلاك .

(٢) غذا الرجل يغذوه بالطعام : أعطاه إياه . والمراد هنا يمدك . والسابغات : الواسعات . وليدا : حديث عهد بالولادة . وميعة الشباب : أوله . والأمرد : الشاب الذى لم تنبت لحيته . يريد أن الله تعالى أفاض عليه نعمه من يوم ولد الى أن صارفتى .

(٣) المدى : الغاية . وفى هذا البيت يتم معنى البيت السابق فيقول . إن المقادير مازالت تجرى بكل ما يحب حتى وصل الى الغاية وهى الخلافة .

(٤) تنال بالبناء للمجهول يوصل اليها . و يقال أصعد فى الأرض فهو مصعد ذهب من أرض الى اعلى منها . والمراد هنا مجرد الارتفاع .

(٥) الأنعم : جمع نعمة بسكون العين . والشاعر فى [illegible] قول الله تعالى : «لئن شكرتم لأزيدنكم» .

(٦) المقيم المقعد : الهم الذى يوجب القلق والاضطراب .

(٧) ادرع بتشديد الدال المفتوحة وفتح الراء : لبس . والمراد [illegible] الليل الدخول فيه . وأفضى به أوصله وانتهى به . يريد أنه لم يذق النوم قط .

(٨) الحرمة : الذمة والحق . وعاذ به يعوذ عياذا ومعاذا معناه التجأ اليه .

لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ ولم أعْتَمِدْ ... لَأَنْتَ أَجَلُّ وأَعْلَى يَدَا (١)

أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ ... وَمَوْلًى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى (٢)

ومُفْسِدَ أَمْرٍ تَلافَيْتَهُ ... فَعَادَ فَأَصْلَحَ ما أَفْسَدَا (٣)

فَلَا عُدْتُ أَعْصِيكَ فِيما أَمَرْ ... تَ حتى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدَا (٤)

وإلَّا فَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ ... وخُنْتُ الصَّدِيقَ وعِفْتُ النَّدَى (٥)

وقال يذم مغنيا :

كُنتُ فى مَجْلِسٍ فَقَالَ مُغَنِّى الْـ ... ـقومِ كم بَيْنَنَا و بين الشِّتَاءِ

فَذَرَعْتُ البِسَاطَ مِنِّى اليهِ ... قُلتُ هذا المِقْدَارُ قَبلَ الغِنَاءِ (٦)

فَاذَا مَا عَزَمْتَ أَنْ تَتَغَنَّى ... آذَنَ الحَرُّ كُلُّهُ بِانْقِضَاءِ (٧)

---

(١) لم أعتمد : لم أعتمده ، أى لم أقصده . واليد : المعروف .

(٢) الطور : القدر والحد . وعدا طوره : تجاوز حده . والمولى : السيد ، وهو من الأضداد .

(٣) تلافى الأمر : تداركه .

(٤) الثرى : التراب . والملحد بضم الميم وفتح الحاء : الذى أدخل فى اللحد وهو القبر . يريد أنه سيقيم على طاعته حتى الممات .

(٥) عاف الشىء يعافه : كرهه فتركه . يقول إنه بعد هذا العهد إذا خرج عن طاعة الخليفة فقد عصى الله وخان الصديق و برئ من الفضل .

(٦) ذرع البساط يذرعه من باب فتح يفتح : قاسه بالذراع . يريد بالشتاء نفس المغنى لبرودة طبعه .

(٧) آذنه بالأمر : أعلمه . وآذنه بالحرب أنذره بها . يقول إنه إذا غنى فقد ولى الصيف وحل الشتاء .

(١٢) الحسين بن الضحاك[(١)]

قال :

أَيُّ دِيبَاجَةِ حُسْنٍ ... هَيَّجَتْ لَوْعَةَ حُزْنِي (٢)

إِذْ رَمَانِي القَمَرُ الزَّا ... هِرُ عَن فَتْرَةِ جَفْنِ (٣)

بِأَبِي شَمْسُ نَهَارٍ ... بَرَزَتْ فِي يَوْمِ دَجْنِ (٤)

قَرَّبَتْنِي بِالْمُنَى حَتَّـ ... ـى إِذَا مَا أَخْلَفَتْنِي (٥)

تَرَكَتْنِي بَيْنَ مِيعَا ... دٍ وَخُلْفٍ وَتَجَنِّي (٦)

مَا أَرَى فِيَّ مِنَ الصَّبْـ ... ـوَةِ إِلَّا حُسْنَ ظَنِّي (٧)

إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الغَدْ ... رِ لِمَا تَعْرِفُ مِنِّي (٨)

أَسْتَعِيذُ اللهَ مِن إِعْـ ... ـرَاضِ مَنْ أَعْرَضَ عَنِّي (٩)

---

(١) نشأ بالبصرة خليعا ماجنا ظريفا ثم انتقل إلى بغداد واتصل بالخلفاء اتصالا قويا ولا سيا الأمين، ثم عاد إلى البصرة أيام المأمون لسخطه عليه، ولكنه اتصل بالمعتصم وخلفائه بعده حتى توفى سنة ٢٥٠ هـ وقد استلزمت حياته الخاصة إجادة الخمريات والمديح فى أسلوب موسيقى متين ينم عن خلق متين ووفاء جميل مع عبث وفكاهة .

(٢) ديباجة الوجه : حسن بشرته . واللوعة : حرقة الوجد .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف ، وهى صفة تستحب فى عيون الملاح . ويقال رمى عن القوس أى جعل القوس ترمى بالسهم . وقد شبه الجفن الفاتر بذلك . ويريد بالقمر الزاهر محبوبته .

(٤) يقال بأبى أنت : أى أفديك بأبى . والدجن بفتح الدال وسكون الجيم : الظلمة .

(٥) المنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون ، وهى هنا بمعنى إدخال الأمل على نفسه .

(٦) التجنى على المرء : اتهامه بما لم يفعله فى دلال .

(٧) الصبوة : بفتح الصاد جهلة الشباب والنزوع الى اللهو . يريد أنه لم يبق من أسباب المتاع فى الشباب إلا رجاء فى حبيبته .

(٨) لما تعرف منى : أى من الصفاء فى هواها والثبات عليه كيفما صنعت .

(٩) يقال : استعاذ الله واستعاذ به وعاذ به : لجأ إليه ، واستجار به من المكروه .

ومن قوله :

وَصفَ البَدْرُ حُسْنَ وَجهِكَ حَتَّى ... خِلْتُ أَنِّى ، وَمَا أَرَاكَ ، أَرَاكَا (١)

وَإِذَا مَا تَنَفَّس النَّرْجِسُ الغَضُّ تَوَهَّمْتُهُ نَسِيمَ شَذَاكَا (٢)

خُدَعٌ لِلْمُنَى تُعَلِّلُنِي فِيكَ بِإِشْرَاقِ ذَا وَنَفْحَةِ ذَاكَا (٣)

لأَدُومَنَّ يَاحَبِيبِي عَلَى العَهْدِ لِهَذَا وَذَاكَ إِذْ حَكَيَاكَا (٤)

وقال :

إِذَا خُنْتُمُ بِالغَيْبِ وُدِّى فَمَا لَكُمْ ... تُدِلُّونَ إِدْلاَلَ المُقِيمِ عَلَى العَهْدِ (٥)

وَلِى مِنْكَ بُدٌّ فَاجْتَنِبْنِي مُذَمَّمًا ... وَإِنْ خِلْتَ أَنِّى لَيْسَ لِى مِنْكَ مِنْ بُدِّ (٦)

وقال وقد غضب عليه المعتصم وحجبه :

غَضَبُ الإِمَامِ أَشَدُّ مِن أَدَبِهْ ... وَقَدِ اسْتَجَرْتُ وَعُذْتُ مِن غَضَبِهْ (٧)

أَصْبَحْتُ مُعْتَصِمًا بِمُعْتَصِمٍ ... أَثْنَى الإِلٰهُ عَلَيْهِ فِي كُتُبِهْ (٨)

---

(١) يقول : إن البدر ليشبهك حتى إنى إذ رأيته حسبت أنى رأيتك مع أنى لم أرك .

(٢) الغض : النضير . والشذا : قوة الرائحة .

(٣) الخدع بضم الخاء وفتح الدال : جمع خدعة وهى ما يخدع به . والمنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون وهى ما يتمنى . وتعللنى : تصبرنى . وذا : إشارة إلى البدر فى البيت الأول . وذاك : إشارة الى النرجس فى البيت الثانى . (٤) حكياك : شابهاك .

(٥) بالغيب : من حيث لا أدرى . يقول : إن الثابت على العهد قد يكون له الحق فى أن يدل ويتيه . ولكن خائن العهد بغير سبب ليس له الحق فى ذلك .

(٦) لى منك بد : أى مخلص . والمذمم : المذموم . يقول : إنى مستطيع أن أتخلص من حبك فاجتنبنى مذموما وإن حسبت أنى لا أستطيع الخلاص من هواك .

(٧) أدبه : تأديبه . والإمام : الخليفة . يقول : إن غضب الخليفة أشد عليه ألما من تأديبه ولو بالجلد أو السجن أو النفى أو غير هذا من ألوان التعذيب .

(٨) اعتصم من الشىء : امتنع والتجأ . يريد أنه لا يلجأ من غضب الخليفة إلا اليه ولا يعوذ منه إلا به . وفى هذا ما فيه من لطف الجناس . ولعل الشاعر يريد بثناء الله على الخليفة المعتصم فى كتبه المنزلة ثناءه على آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

لَا والَّذِى لَمْ يُبْقِ لِى سَبَبًا ... أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ سِوَى سَبَبِهْ [١]

مَالِى شَفِيعٌ غَيْرُ حُرْمَتِهِ ... ولِكُلِّ من أَشْفَى عَلَى عَطَبِهْ [٢]

(١٣) ابن الرومى [٣]

قال يهجو خالدًا القحطبي :

أخالدُ ما أَغْراكَ بى من عداوةٍ ... ولا تِرَةٍ لولا الشقاءُ المُقَدَّرُ

حداكَ إلى الحَيْنُ حتى استثرتنى ... عليكَ، وإنى فى عرينى لَمُخْدِرُ [٥]

فدونكَ ما حاولتَه فبلغتَهُ ... ووردتَ، ولكنْ لا إخالكَ تصدُرُ [٦]

فقد كنتَ نِسْيًا لا تُمَسُّ ولا تُرى ... زمانًا طويلًا، فاصبرِ الآنَ تُذْكَرِ [٧]

---

(١) يحلف بالله تعالى على أنه لا سبيل له الى النجاة من غضب الخليفة سوى عفو الخليفة نفسه .

(٢) الحرمة : ما وجب القيام به من الحقوق . وأشفى : أشرف . ويقال أشفى المريض على الموت قاربه . والعطب : التلف . يحلف على أنه لا شفيع له عند الخليفة إلا حقه عليه بحكم الولاء له . وكذلك الشأن فى كل من أشرف على مثل هذا الهلاك .

(٣) ولد أبو الحسن على بن العباس الرومى ببغداد وعاش فيها متأثرا بمراجعه اليونانى وبالثقافة العربية كذلك ، فكان شعره صورة طريفة فى الأدب العربى من حيث الابتكار وسبق المعانى والاستقصاء فى أسلوب جزل متين ، وقد أجاد فنون الشعر وخاصة الوصف والهجاء مات سنة ٢٨٣ هـ .

(٤) الترة : الثأر .

(٥) حداك : ساقك . والحين : المحنة أو الهلاك . العرين : مأوى الأسد . ومخدر : مقيم يشبه نفسه بالأسد .

(٦) لا إخالك : لا أظنك . تصدر : أى تخرج من هذا الذى أنت واقع فيه .

(٧) أى اصبر على من الهجاء فسوف تذكر بهذا الشعر .

ستَروِى رُواة الشعر فيك قصائدا | يُغَنَّى بها ، ما نودىَ : الله أكبرُ (١)
سَداها مَخازيك التى قد علمتَها | ولُحْمتُها مِنِّى الكلامُ المحبَّرُ (٢)
وإن كنتُ لا أهجوكَ إلا كحالم | يَرى ما يَراهُ النائمون فيهجُرُ (٣)

وقال :

أأيامَ لَهوى هل مَواضيكِ عُوَّدُ | وهل لِشبابٍ ضَلَّ بالأمس مَنْشَدُ؟ (٤)
أقولُ وقد شابَت شَواتِى ، وقُوِّستْ | قَناتى ، وأضحتْ كِدْنَتِى تَتَخَدَّدُ (٥)
ولَذَّتْ أحاديثُ الرجالَ ، وأعرضَت | سُليمى و رَيّا عن حديثى ومَهْدَدُ (٦)
و بُدِّل إعجابُ الغَوانِى تَعَجُّباً ، | فهُنَّ رَوانٍ يعتَبِرنَ وصُدَّدُ (٧)
لِمَا تُؤْذِنُ الدنيا به من صُروفها | يكونُ بُكاءُ الطفلِ ساعةَ يُولَدُ (٨)
وإلا فما يُبكيه منها ، وإنها | لأفسحُ مما كان فيه وأرغَدُ ؟ (٩)

---

(١) ما نودى الخ : أى دائما مادام الناس .

(٢) السدى من الثوب : الخيوط الممدودة . واللحمة : مانسج عرضا . الكلام المحبر : المحسن .

(٣) يقول : إنى لا أكاد أشعر بك فى الصحو إلا كحالم إذ لا وجود لك . يهجر : يهذى .

(٤) منشد : مكان أنشده فيه وأطلبه .

(٥) الشواة : جلدة الرأس ، والمراد شاب شعرها والقناة هنا صلبه . الكدنة : الشحم واللحم يريد أن سمنته أضحت تهزل .

(٦) أى أصبحت أحاديثى تلذ الرجال بعد ما أعرض عنى الغوانى لشيبى وكان حديثى لذيذا لديهن .

(٧) الإعجاب بالشىء : السرور منه . والتعجب : الاستغراب والإنكار . روان دائمات النظر بسكون الطرف . صدد : معرضات . يقول : بعد ما كنت أسر الغانيات أصبحت منكرا لديهن فهن ينظرن الىّ متعجبات .

(٨) يعلل بكاء الطفل ساعة الولادة بما تعلمه به الدنيا من مصائبها .

(٩) أرغد : أطيب .

إذا أبصر الدُّنيا استهلَّ كأنَّه   بما سوف يلقى من أذاها يُهدَّدُ (١)

وللنفس أحوال تظلُّ كأنَّها   تُشاهِدُ فيها كُلَّ غيب سيُشهَد (٢)

وقال يرثى ابنه محمدًا :

بُكاؤُكُما يَشفِى وإنْ كانَ لا يُجدِى   فجُودَا فقدْ أودَى نَظيرُكُما عِندِى (٣)

ألَا قاتَلَ اللهُ المنايَا ورَمْيَها   مِنَ القَومِ حَبَّاتِ القُلوبِ علَى عَمْدِ

توَخَّى حِمامُ الموتِ أوسطَ صِبيَتِى   فَلِلَّهِ كيفَ اختارَ واسِطةَ العِقْدِ (٤)

على حِينَ شِمْتُ الخَيرَ مِن لَمَحاتِهِ   وآنسْتُ مِنْ أفعالِهِ آيةَ الرُّشْدِ (٥)

طَواهُ الرَّدَى عَنِّى فأضحَى مَزارُهُ   بَعيدًا علَى قُرْبٍ قَريبًا علَى بُعْدِ (٦)

لقَدْ أنجزَتْ فِيهِ المنايَا وَعِيدَها   وأخلَفَتِ الآمالُ ما كانَ مِنْ وَعْدِ

لقَدْ قَلَّ بينَ المهْدِ واللَّحْدِ لُبْثُهُ   فلَمْ يَنسَ عَهْدَ المهْدِ إذْ ضُمَّ فِي اللَّحْدِ

ألَحَّ عليهِ النَّزْفُ حتَّى أحالَهُ   الى صُفْرةِ الجَادِىِّ عَنْ حُمْرةِ الوَرْدِ (٧)

وظَلَّ علَى الأيْدِى تَساقَطُ نفسُهُ   ويَذْوِى كما يَذْوِى القَضيبُ مِنَ الرَّنْدِ (٨)

---

(١) استهل الصبي : رفع صوته بالبكاء .

(٢) يورد هذا البيت تأكيدا لحسن تعليله إذ يقول إن النفس قد تشعر بما سيحدث فكذلك شأن الطفل . وتجد ابن الرومى فى شعره كأنه يعرض أقيسة منطقية .

(٣) بكاؤكما : الخطاب لعينيه . ولا يجدى : لا ينفع . وأودى : هلك .

(٤) توخى : تحرى .

( ) شمت الخير : توقعته .

(٦) يريد بالقرب قرب المكان . وبالبعد بعد اللقاء .

(٧) الجادىّ : الزعفران . وهو أصفر . يقول : إن النزيف أحاله من حمرة الورد الى صفرة الزعفران .

(٨) الرند : العار . وقد يسمى به الآس وهو نوع من الريحان .

فيالكِ مِنْ نفسٍ تساقطُ أنفسًا ... تساقُطَ درٍّ مِنْ نظامٍ بلا عِقْدِ
عجبتُ لقلبي كيف لم ينفطرْ له ... ولو أنَّه أقسى مِنَ الحجرِ الصَّلْدِ
وا سرَّني أنْ بِعتُه بثوابهِ ... ولو أنَّه التخليدُ في جنَّةِ الخُلْدِ
ولا بِعتُه طوعًا ولكن غُصِبتُه ... وليسَ على ظُلمِ الحوادثِ مِنْ مُعْدِ (١)
وإنّي وإنْ مُتِّعتُ بابنيَّ بعدَهُ ... لذاكِرُه ما حنَّتِ النِّيبُ في نجدِ (٢)
وأولادُنا مثلُ الجوارحِ أيُّها ... فقدناه كانَ الفاجعَ البيِّنَ الفقدِ (٣)
لكلٍّ مكانٌ لا يسدُّ اختلالَهُ ... مكانُ أخيهِ من جزوعٍ ولا جَلْدِ
هلِ العينُ بعدَ السمعِ تكفي مكانَهُ ... أمِ السمعُ بعدَ العينِ يهدي كما تهدي
لعمري لقد حالتْ بيَ الحالُ بعدَهُ ... فيا ليتَ شعري كيف حالتْ به بعدي
ثكِلتُ سروري كلَّه إذ ثكِلتُهُ ... وأصبحتُ في لذّاتِ عيشي أخا زُهدِ
أريحانةَ العينينِ والأنفِ والحشا ... ألا ليتَ شعري هل تغيّرتَ عن عهدي
سأسقيكَ ماءَ العينِ ما أسعدتْ بهِ ... وإنْ كانتِ السُّقيا منَ الدمعِ لا تُجدي (٤)
أعينيَّ جودا لي فقد جُدتُ للثرى ... بأنفسِ ممّا تُسألانِ منَ الرِّفْدِ (٥)
كأنّيَ ما استمتعتُ منكَ بضمّةٍ ... ولا شمّةٍ في ملعبٍ لكَ أو مهدِ
أُلامُ لِما أُبدي عليكَ منَ الأسى ... وإنّي لأُخفي منكَ أضعافَ ما أُبدي
محمّدُ ما شيءٌ تُوُهِّمَ سلوةً ... لقلبيَ إلّا زادَ قلبي مِنَ الوجدِ

---

(١) معد من أعدى بمعنى نصر وأعان . يقول ليس هناك من معين على ظلم الحوادث .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهو الناقة المسنة . (٣) الجوارح : أعضاء الإنسان .

(٤) أسعدت العين بالبكاء : أعانت . (٥) الرفد : العطاء والصلة .

أرَى أخَوَيْكَ البَاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَا   يَكُونَانِ للأحْزَانِ أوْرَى مِنَ الزَّنْدِ

اذا لعبا فى مَلْعَبٍ لَكَ لَذَّعا   فُؤَادِى بمِثْلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ

فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوةٌ بل حَزَازَةٌ   يَهِيجَانِهَا دُونِى وأشْقَى بهَا وَحْدِى

وأنْتَ وإنْ أُفْرِدْتَ فى دار وَحْشَةٍ   فإنِّى بِدَارِ الأُنْس فى وَحْشَةِ الفَرْدِ

عليك سلامُ الله منى تحيةً   ومِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ البَرْقِ وَالرَّعْدِ

قال يعاتب أبا القاسم التَّوَّزى الشَّطْرَنجى ويَمْدَحه:

يا أخِى أيْنَ عَهْدُ ذَاكَ الإخَاءِ   أيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءِ؟

كَشَفَتْ مِنْكَ حَاجَتِي هَنَوَاتٍ   غُطِّيَتْ بُرْهَةً بِحُسْنِ اللِّقَاءِ[1]

تَرَكَتْنِي ولَمْ أكُنْ سَيِّئَ الظَّنِّ أسِيءُ الظُّنُونَ بِالأصْدقاءِ

يَا أخِى هَبْكَ لَمْ تَهَبْ لِي مِنْ سَعْـ   ـيِكَ حَظًّا كَسَائِرِ البُخَلَاءِ

أفَلَا كَانَ مِنْكَ رَدٌّ جَمِيلٌ   فِيهِ لِلنَّفْسِ رَاحَةٌ مِنْ عَنَاءِ

أجَزَاءُ الصَّدِيقِ إيطَاؤُهُ العُشْـ   ـوَةَ حَتَّى يَظَلَّ كَالعَشْوَاءِ[2]

تَارِكًا سَعْيَهُ اتِّكَالًا عَلَى سَعْـ   ـيِكَ دُونَ الصِّحَابِ وَالشُّفَعَاء

كَالَّذِي غَرَّهُ السَّرَابُ بِمَا خَيَّـ   ـلَ حَتَّى هَرَاقَ مَا فِي السِّقَاءِ.

يَا أبَا القَاسِمِ الَّذِي كُنْتُ أرْجُو   هُ لِدَهْرِى قَطَعْتَ مَتْنَ الرَّجَاءِ

لَا أجَازِيكَ عَنْ غُرُورِكَ إيَّا   يَ غُرُورًا وُقِيتَ سُوءَ الجَزَاءِ

---

(١) الهنوات: جمع هنة، وهى الشيء الصغير. يقول إن طلبى منك أشياء صغيرة كشف لى عن حقيقتك التى كنت تغطيها بحسن لقائك إياى.

(٢) العشوة: النار. وأوطأه العشوة: كناية عن أنه أضله ولم يهده. والعشواء: ناقة لا تبصر أمامها.

بَلْ أَرَى صِدْقَكَ الحَدِيثَ وَمَا ذَا ... كَ لِبُخْلٍ عَلَيْكَ بِالإِغْضَاءِ
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي ... غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الأَقْذَاءِ
مَا بِأَمْثَالِ مَا أَتَيْتَ مِنَ الأَمْـ ... ـرِ يُحِلُّ الفَتَى ذُرَا العَلْيَاءِ
بَذَلَ الوَعْدَ لِلأَخِلَّاءِ سَمْحًا ... وَأَبَى بَعْدَ ذَاكَ بَذْلَ العَطَاءِ
فَغَدَا كَالخِلَافِ يُورِقُ لِلعَيْـ ... ـنِ وَيَأْبَى الإِثْمَارَ كُلَّ الإِبَاءِ (١)
لَيْسَ يَرْضَى الصَّدِيقُ مِنْكَ بِبِشْرٍ ... تَحْتَ مَخْبُورِهِ دَفِينُ جَفَاءِ

✦ ✦ ✦

رُبَّمَا هَالَنِي وَحَيَّرَ عَقْلِي ... أَخْذُكَ اللَّاعِبِينَ بِالبَأْسَاءِ (٢)
وَرِضَاهُمْ هُنَاكَ بِالنِّصْفِ وَالرُّبْـ ... ـعِ وَأَدْنَى رِضَاكَ فِي الإِرْبَاءِ
وَاحْتِرَاسُ الدُّهَاةِ مِنْكَ وَإِعْصَا ... فُكَ بِالأَقْوِيَاءِ وَالضُّعَفَاءِ
عَنْ تَدَابِيرِكَ اللِّطَافِ اللَّوَاتِي ... هُنَّ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسِرِّ الهَبَاءِ
بَلْ مِنَ السِّرِّ فِي ضَمِيرِ مُحِبٍّ ... أَدَّبَتْهُ عُقُوبَةُ الإِفْشَاءِ
فَإِخَالُ الَّذِي تُدِيرُ عَلَى القَوْ ... مِ حُرُوبًا دَوَائِرَ الأَرْحَاءِ
وَأَظُنُّ افْتِرَاسَكَ القِرْنَ فَالقِرْ ... نَ مَنَايَا وَشِيكَةَ الإِرْدَاءِ
وَأَرَى أَنَّ رُقْعَةَ الأَدَمِ الأَحْـ ... ـمَرِ أَرْضًا عَلَّتْهَا بِدِمَاءِ
غَلِطَ النَّاسُ لَسْتَ تَلْعَبُ بِالشِّطْـ ... ـرَنْجِ لَكِنْ بِأَنْفُسِ اللُّعَبَاءِ
لَكَ مَكْرٌ يَدِبُّ فِي القَوْمِ أَخْفَى ... مِنْ دَبِيبِ الغِذَاءِ فِي الأَعْضَاءِ

---

(١) الخلاف : شجر من الصفصاف يحسن مرأى ولا يثمر شيئا يؤكل .

(٢) انتقل الى وصف أبى القاسم فى إجادة لعب الشطرنج وقد قيل إنه كان يجيد اللعب ويغلب ولو أدار للرقعة ظهره وأشار من غير نظر إلى تحريك القطع كما سيذكره فى القصيدة .

أَوْ مسير القَضاءِ في ظُلَمِ الغَيْـ … ـبِ إلى مَنْ يُريدُهُ بالتّوَاءِ [١]

تَقْتُلُ الشّاهَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الرُّقْـ … ـعَةِ طِبًّا بالقِتْلَةِ النّكْراءِ [٢]

غَيْرَ ما ناظِرٍ بِعَيْنَيْكَ في الدَّسْـ … ـتِ وَلا مُقْبِلٍ عَلَى الرُّسَلاءِ [٣]

بَلْ تَراها وَأَنْتَ مُسْتَدْبِرُ الظَّهْـ … ـرِ بِقَلْبٍ مُصَوَّرٍ مِنْ ذَكاءِ

ما رَأَيْنا سِواكَ قِرْنًا يُوَلِّي … وَهْوَ يُرْدِي فَوارِسَ الهَيْجاءِ

وَالفُؤادُ الذَّكِيُّ لِلطُّرُقِ المُعْـ … ـرِضِ عَيْنٌ يَرَى بِها مِنْ وَراءِ

تَقْرَأُ الدَّسْتَ ظاهِرًا فَتُؤَدِّيـ … ـهِ جَميعًا كَأَحْفَظِ القُرّاءِ

وَتُلَقَّى الصَّوابَ فِيما سِوَى ذا … كَ إذا جارَ جائِرُ الآراءِ [٤]

فَتَرَى أَنَّ بُلْغَةً مَعَها الرّا … حَةُ خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةٍ في شَقاءِ

وَقَدِيمًا رَغِبْتَ عَنْ كُلِّ مَضْحُو … بٍ مِنَ المُتْرَفِينَ وَالأُمَراءِ

وَرَفَضْتَ التِّجارَةَ الجَمَّةَ الرِّبْـ … ـحِ وَما في مِراسِها مِنْ جَداءِ [٥]

لَمْ تَبِعْ طِيبَ عِيشَةٍ بِنُضُوبٍ … دُونَهُ خُبْثُ عِيشَةٍ كَدْراءِ

تَعَبُ النَّفْسِ وَالمَهانَةُ وَالذِّلَّـ … ـةُ وَالخَوْفُ وَاطِّراحُ الحَياءِ [٦]

---

(١) التواء : الهلاك .

(٢) طبا : طبعا .

(٣) الدست : رقعة الشطرنج . والرسلاء : جمع رسيل ، وهو الموافق لك في النضال .

(٤) انتقل من الكلام على مهارته في لعب الشطرنج الى شرح صفاته العامة فهو يريد بما سوى ذاك ما سوى اللعب .

(٥) ما في مراسها من جداء : أي ما في مزاولتها من غنى وثراء .

(٦) تعب النفس : بدل من خبث عيشة في البيت قبله .

بل اطَعْتَ النُّهى ففُــزتَ بحظٍّ قَصَّرتْ عنْــهُ فِطْنَــةُ الْأَغْنِيَاءِ

رَاحَــةِ النَّفسِ والصِّــيَانَةِ وَالعِفَّـ ـةِ وَالْأَمْن فِي حَيَـاءٍ رُواء [1]

عَالِمًا بِالَّذِي أَخَــذْتَ وَأَعْطَيْـ ـتَ حَكِيماً فِي الْأَخْــذِ وَالْإِعْطَاءِ

جِهْبِــذُ الْعَقْلِ لَا يَفُوتُكَ شَيْءٌ مِثْــلُهُ فَاتَ أَعْيُنَ الْبُصَرَاءِ

قَائِلًا لِلْمُشِــيرِ بِالْكَذِبِ مَهْلًا مَا اجْتِهَادُ اللَّبِيبِ بَعْــدَ اكْتِفَاءِ

قَرَّبَ الْحِــرْصُ مَرْكَبًا لِشَــقِيٍّ إِنَّمَــا الْحِرْصُ مَرْكَبُ الْأَشْــقِيَاءِ

مَرْحَبَــا بِالْكَفَافِ يَأْتِي هَنِيئًا وَعَــلَى الْمُتْعِبَاتِ ذَيْلُ الْعَفَاءِ

ضَــلَّةً لِامْرِئٍ يُشَــمِّرُ فِي الْجَمْـ ـعِ لِعَيْشٍ مُشَــمِّرٍ لِلْفَنَــاءِ

دَائِبًــا يَكْنِزُ الْقَنَاطِيرَ لِلْــوَا رِثِ وَالْعُمْرُ دَائِبٌ فِي انْقِضَــاءِ

حَبَّــذَا كَثْرَةُ الْقَنَاطِيرِ لَوْ كَا نَتْ لِرَبِّ الْكُنُوزِ كَنْزَ بَقَاءِ

يَحْسَبُ الْحَظَّ كُلَّهُ فِي يَدَيْهِ وَهْوَ مِنْــهُ عَلَى مَــدَى الْجَوْزَاءِ

لَيْسَ فِي آجِــلِ النَّعِيمِ لَهُ حَـ ـظٌّ وَمَا ذَاقَ عَاجِــلَ النَّعْمَاءِ

ذلك الخائب الشــقيُّ وإنْ كَا نَ يُرَى أَنَّهُ مِنَ السُّــعَدَاء

حَسْبُ ذِي إِرْبَةٍ ورأى جَــلِيٍّ نَظَــرَتْ عَيْنُــه بِــلَا غُلَوَاءِ [2]

صِحَّــةُ الدِّينِ وَالْجَوَارِحِ وَالْعِـرْ ضِ وإِحْرَازُ مُسْــكَةِ الْحَــوْبَاءِ [3]

تلك خيرٌ لعَــارِفِ الْخَــيْرِ مِمَّــا يَجْمَعُ النَّــاسُ مِنْ فُضُــولِ الثَّرَاءِ

---

(١) راحة النفس : بدل من حظ فى البيت قبله . وحياء رواء أى جميل .

(٢) الإربة : العقل .

(٣) الحوباء : النفس ومسكة الحوباء مايحفظ حياتها : وصحة الدين مبتدأ خبره حسب فى البيت قبله .

لَيسَ لِلمُكثِرِ المُنَغَّصِ عَيشٌ … إنما عيش عائِشٍ بِالْهَناءِ

يا أبا القاسِمِ الّذِي لَيسَ يَخفَى … عَنــهُ مَكنُونُ خُطَّةٍ عَوجاءِ

أتَرى كلّ ما ذَكَرتُ جَلِيًّا … وَسِواهُ مِن غامِضِ الأشياءِ

ثُمَّ يَخفَى عَلَيكَ أنِّي صَدِيقٌ … رُبَّما عَزَّ مِثلُهُ بِالفَلاءِ

لا لَعَمرُ الإلهِ لكِن تَعاشَيـ … ـتَ بَصِيرًا فِي لَيلَةٍ قَمراءِ[1]

ظالِمًا لِي بِمَعَ الزَّمانِ الّذِي ابتَـ … ـزَّ حُقُوقَ الكِرامِ لِلّؤماءِ

ثَقُلَتْ حاجَتِي إلَيكَ فَأضحَتْ … وَهيَ عِبءٌ مِن فادِحِ الأعباءِ

قَد تَوانَيتَ والتَّوانِي وَطِيءُ الظَّـ … ـهرِ لَكِنَّهُ زَنِيمُ الوِطاءِ[2]

كُنتَ مِمَّن يَرَى التَّشَيُّعَ لَكِن … مِلتَ فِي حاجَتِي إلى الإرجاءِ[3]

ظُلِمَتْ حاجَتِي فَلاذَتْ بِحَقوَيـ … ـكَ فَأسلَمتَها لِكَفِّ القَضاءِ[4]

وَقَضاءُ الإلهِ أحوَطُ لِلنّا … سِ مِنَ الأُمّهاتِ وَالآباءِ

غَيرَ أنّ اليَقِينَ أضحَى مَرِيضًا … مَرَضًا باطِنًا شَدِيدَ الخَفاءِ

ما وَجَدتُ امرَأً يَرَى أنّهُ يُو … قِنُ إلا وَفِيهِ شَوبُ امتِراءِ

لَو يَصِحُّ اليَقِينُ ما رَغِبَ الرّا … غِبُ إلا إلى مَلِيكِ السَّماءِ

و..... بُلُوغُ هاتِيكَ جِدًّا … تِلكَ عَلْيا مَراتِبِ الأنبِياءِ

---

(١) ادعيت عدم الإبصار .

(٢) الزنيم : الدعى [illegible] . [illegible] الوطاء : لئيم الموطئ

(٣) التشيع : مذهب دينى يرى تفضيل [illegible] على سائر الصحابة والإرجاء مذهب آخر يرى الوقوف على الحياد بالنسبة للفرق المتقاتلة لا يحكمون على أحد بشىء فى الدنيا بل يرجئون الحكم الى يوم القيامة فالشاعر يورى و يقول كنت متشيعا لى ثم لما طلبت منك معاذا وجفت الى الحياد وأرجأت الحكم على مطلبى .

(٤) الحقو : الكشح . ولاذت بحقويه : التجأت اليه .

وعزيزٌ عليك عضّيك باللّو ... مِ ولكنْ أصبتَ صدرى بداءِ

أنتَ أدويتَ صدرَ خِلّكَ فاعذِرْ ... هُ على النّفثِ إنّهُ كالدّواءِ

قد قضينا لُبانةً من عِتابٍ ... وجميلٌ تعاتُبُ الأكفاءِ

والّذى أطلقَ اللّسانَ فعاتبْـ ... ـتُكَ عدّيكَ أوّلَ الفُهَماءِ

وأنا المرءُ لا أسُومُ عتابى ... صاحِباً غيرَ صفوةِ الأصفياءِ

ذا الحِجا مِنهُمُ وذا الحِلمِ والعِلْـ ... ـمِ وجهلٌ ملامةُ الجُهَلاءِ

إنّ مَنْ لامَ جاهِلاً لَطبيبٌ ... يتعاطى عِلاجَ داءٍ عَياءِ

وقال يصف العنب الرّازقى (1) :

ورازقىٌّ مُخْطَفُ الخُصورِ ... كأنّهُ مخازنُ البلّورِ (2)

قد ضُمِّنتْ مِسكاً إلى الشُّطورِ ... وفى الأعالى ماءُ وردٍ جورى (3)

لم يُبقِ مِنهُ وهَجُ الحَرورِ ... إلّا ضِياءً فى ظُروفِ نُورِ (4)

لو أنّهُ يَبقى على الدُّهورِ ... قرّطَ آذانَ الحِسانِ الحُورِ

لهُ مذاقُ العسلِ المَشورِ ... ونكهةُ المِسكِ معَ الكافورِ

باكرتُهُ والطّيرُ فى الوُكورِ ... وعُذَرُ اللذّاتِ فى البُكورِ (5)

بِفتيةٍ مِن وَلَدِ المنصورِ ... أملأَ للعينِ مِنَ البُدورِ

---

(١) العنب الرازقى : نوع من العنب أبيض طويل الحب .

(٢) مخطف الخصر : هزيله .

(٣) الجورى : منسوب الى جور مدينة بفارس ينسب اليها الورد و يعمل فيها ماؤه .

(٤) الحرور : حر الشمس .

(٥) أصل عذرة الفرس ناصيته وأراد بعذر اللذات بوادرها وأول ما يظهر منها .

حَتَّى أَتَيْنَا خَيْمَةَ النَّاطُورِ ... قَبْلَ ٱرْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّرُورِ [١]

ثُمَّ جَلَسْنَا مَجْلِسَ المَحْبُورِ ... عَلَى حِفَافَيْ جَدْوَلٍ مَسْجُورِ [٢]

أَبْيَضَ مِثْلَ المُهْرَقِ المَنْشُورِ ... أَوْ مِثْلَ مَتْنِ المُنْصُلِ المَشْهُورِ [٣]

يَنْسَابُ مِثْلَ الحَيَّةِ المَذْعُورِ ... بَيْنَ سِمَاطَيْ شَجَرٍ مَسْطُورِ [٤]

فَنِلْتِ الأَوْطَارَ مِنْ سُرُورِ ... تَعِلَّةً عَنْ يَوْمِنَا المَنْظُورِ

وَمُتْعَةً مِنْ مُتَعِ الغُرُورِ

(١٤) البُحْتُرِي [٥]

قال يصف خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر من قصيدة :

بالبِرِّ صُمْتَ وأنت أفضلُ صائمٍ ... وبسُنَّةِ اللهِ الرَّضِيَّةِ تُفطِر

فانعَمْ بيوم الفِطر عيدًا إنه ... يومٌ أغرُّ من الزمان مُشَهَّر

أظهرتَ عِزَّ المُلكِ فيه بجحفلٍ ... لَجِبٍ، يُحاطُ الدينُ فيه ويُنصَر [٦]

---

(١) الناطور : حارس العنب . والذرور : مصدر ذرت الشمس طلعت .

(٢) حفافا النهر أو الجدول : جانباه . والمسجور : المملوء .

(٣) المهرق : الصحيفة . والمنصل : السيف .

(٤) السماطان : مثنى سماط وهو الشيء المصطف . يقال طل نفسه بتعلة أى شغل نفسه بشيء .

(٥) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ . وتنقل فى قبائل طيء وغيرها من البدو الضاربين فى شواطئ الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان محترما حتى قتلا ، وقد مات هو سنة ٢٨٤ هـ . ويمتاز شعره برقة الأسلوب وحسن الخيال ، إجادة الوصف والرثاء والعتاب والغزل والمديح .

(٦) الجحفل : الجيش الكثير . لجب : ذو لجب أى صياح وجلبة .

خِلْنا الجبالَ تسير فيه وقد غدت ... عُدَدًا يسير بها العديدُ الأكثر
فالخيل تصهَل، والفوارس تدّعي، ... والبيض تلمع، والأسنّةُ تزهر [(١)]
والأرضُ خاشعةٌ تميد بثقلها، ... والجو معتكر الجوانب أغبرُ [(٢)]
والشمس ماتعةٌ توقّدُ بالضحا ... طورًا، ويطفئها العجاجُ الأكدر [(٣)]
حتى طلعتَ بضوءِ وجهك فانجلتْ ... تلك الدُّجى وانجابَ ذاك العِثْيَرُ [(٤)]
وافتنّ فيك الناظرون: فأصبعٌ ... يومَى إليك بها، وعينٌ تنظُر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من أنعُم الله التي لا تُكفَر
ذكروا بطلعتك النبيَّ، فهلّلوا ... لما طلعتَ من الصفوف، وكبّروا
حتى انتهيتَ الى المصلّى لابسا ... نورَ الهدى، يبدو عليك ويظهر
ومشيتَ مِشيةَ خاشعٍ متواضعٍ ... لله لا يُزهَى، ولا يتكبّر
فلو انّ مشتاقا تكلّفَ فوق ما ... في وُسعه لَسعى إليك المِنبر

ومن قوله يصف الربيع:

أتاكَ الربيعُ الطلْقُ يختالُ ضاحكا ... من الحُسن حتى كادَ أن يتكلّما
وقد نبّه النيروزُ في غَسقِ الدجى ... أوائلَ وَرْدٍ كُنّ بالأمس نُوّما [(٥)]

---

(١) البيض: السيوف. والأسنة: جمع سنان: نصل الرمح. تزهر: تضيء وتلمع.

(٢) تميد تتحرك وتضطرب. والجو معتكر أي من صحامة الجيش أو من غباره.

(٣) ماتعة: مرتفعة. والعجاج: الغبار. والأكدر: الشديد الكدرة وهي ضد الصفاء.

(٤) الدجى: جمع دجية: الظلمة. ويقصد ظلمة العثير الذي هو الغبار.

(٥) النيروز عند الفرس أول أيام السنة الشمسية. غسق الدجى: ظلمة الليل. والمعنى أن مقدم الربيع يصحبه تفتح الورد.

فتقها بردُ النـدَى فكأنه ... يَبُثُّ حديثًا كان قبـلُ مُكتَّمَا (١)

مِن شجـرٍ ردَّ الربيـعُ لباسَـهُ ... عليـه كما نشَّرتَ وشيًا مُنَمْنَما (٢)

أحَلّ فأبدَى للعُيون بَشاشةً ... وكان قَذًى للعـين إذ كان مُحرِما (٣)

ورقّ نسيمُ الريح حتى حسبتُه ... يجيءُ بأنفاس الأحِبَّة نُعَّما

وقال يمدح محمد بن على بن عيسى القُمِّى :

ذاكَ وادى الأراكِ فاحبِس قليلا ... مُقْصِرًا مِن صَبابةٍ أو مُطيلا (٤)

قِف مَشُوقًا ، أو مُسعِدًا ، أو حَزينا ... أو مُعينًا ، أو عاذِرًا ، أو عَذُولا (٥)

إنّ بينَ الكَثيبِ فالجِزْعِ فالآ ... رامِ ، رَبْعًا لِآلِ هِند مُحيلا (٦)

أبلتِ الريحُ والـروائحُ والأيّـ ... ـامُ منـهُ مَعالِيا وطُلـولا (٧)

وخِلافُ الجميـلِ قولُك لِلـذا ... كِرِ عهدَ الأحبابِ : صَبرًا جَميلا

---

(١) يشبه انتشار الأريج على أثر [illegible] الورد [illegible]

(٢) الوشى : نقش الثوب . [illegible] بالنقش الجميل .

(٣) أحل هنا بمعنى لبس [illegible] ، والإحرام [illegible] يقع فى العين فيؤلمها ويسيل دمعها من [illegible] أو نحوه .

(٤) وادى الأراك : واد [illegible] موضع [illegible] راحلتك أو نفسك مثلا . والصبابة : الشوق والولع الشديد ، يطلب الى صاحبه [illegible] لأهلها الراحلين عنها .

(٥) مشوقا : مولعا يقال شاقه الحب إذا هاجه . ومسعدا : معينا [illegible] حرارة الشوق ، ومعينا أى على الحزن . يقول له قف معى مهما [illegible] شأنك [illegible] من ذلك .

(٦) الكثيب : قرية بالبحرين [illegible] . والجزع : [illegible] واد باليمامة ، والآرام : دارة . والربع المحيل : الدار [illegible] .

(٧) الروائح : جمع رائحة وهى السحابة التى تجىء [illegible] والمعالى [illegible] ما يستدل بها على الطريق أو هى المعاهد . المفرد : معلم . والطلول [illegible] الآثار .

لا تَلُمْــهُ عَلَى مُواصــلةِ الدَّمْـ ـعِ، ولُؤْمٌ لَوْمُ الخليــلِ الخليــلا
عــلَّ ماءَ الدموعِ يُخمِــدُ نارًا مِن جَوَى الحُبِّ أو يَبُلُّ غَليلا (١)
وبُكَاءُ الدِّيارِ ممــا يَــرُدُّ الـ ـشَّوقَ ذِكْرًا والحُبَّ نِضوًا ضَئيلا (٢)
لم يَكُنْ يومُنا طــويلًا بنَعما نَ، ولكنْ كانَ البُكاءُ طــويلا
قَــد وجَــدْنا محمَّــدَ بنَ عَلِيٍّ غَايةَ المجــدِ قائــلًا وفَعُــولا
ولَقِيــنَا شمائــلا تَنْــشُرُ المِسْـ ـكَ سَحِيقًا كما لَقِينا الشَّــمولا (٣)
ورأَينا سِــيمَا نَــدًى وسَمَــاحٍ لم نُرِدْ بعــدَها عليــهِ دَليــلا
أَشْعَرِيٌّ، كَفاهُ عِيسى بنُ موسى شَرَفًا باتَ للسِّماكِ رَسِــيلا (٤)
خَلَّفَ البُهْــرَ للجِيــادِ، وأَلْقَى فى مَدَى المجدِ، غُرَّةً، وحُجُولا (٥)
وَبَنُو الأشْــعرِ الذى مَلأَ الأر ضَ رِجالًا، ونَجــدةً، وخُيولا
شَوكــةٌ ما أَصابَتِ الدهرَ إلَّا تَركَتْ فى الغِــرارِ منــهُ فُلولا (٦)

---

(١) الغليل : شدّة العطش ، والمراد هنا حرقة الشوق .

(٢) يرد الشوق ذكرا : يجعله ذكريات للماضى فقط . والنضو : الكليل المتعب ، يريد أن بكاء الديار يشفى النفس من آلام الحب ويخفف لوعته . (٣) الشمول : الخمر أو الباردة منها والمراد الأخلاق الجيدة . والمسك السحيق : المسحوق ، يشبه به آثار الخلق الطيب .

(٤) أشعرى : منسوب الى الأشعر جدّه . والسماك : اسم لكل من كوكبين نيرين : أحدهما السماك لأعزل ، والثانى الرامح . ورسيلا : قرينا ، أى كفاه شرف آبائه السامى .

(٥) البهر : انقطاع النفس من الإعياء . والجياد : الخيل . والمدى : الغاية والمنتهى ، والغرة : بياض فى جبهة الفرس ، ومن كل شىء أوّله ومعظمه . وغرة القوم : سيدهم . والحجول : جمع حجل وهى البياض فى رجل الفرس ، يريد أنه لا يكل ولكنه وصل الى غاية المجد بكريم أفعاله التى تشبه غرة الخيل السابقة وحجولها . (٦) الشوكة هنا : العزة والسلطان . وغرار السيف : حدّه . والفلول : جمع فل وهو الثلمة فى حدّ السيف . يقول : إن صولتهم قوية حتى على صروف الدهر .

بَلَغَ المكرُماتِ طُولا وعَرْضًا ... وتناهَتْ اليـه عَرْضًا وطُولا (١)

رَادةُ الحمد أوّلًا وأخيرا ... وأُولو المجد واحدا وقبيلا (٢)

وكأنَّ الأصولَ كانت فروعًا ... وكأنَّ الفروعَ كانت أُصُولا (٣)

ونُجومٌ إذا تَوَقَّدْنَ فى الخطـ ... ـب تَوَهَّمْتَ فِي النُّجوم أُفولا (٤)

ومُحِبُّونَ للنَّبِيِّ وأهلِ الـ ... ـبَيتِ حُبًّا يُرضُون فيه الرسولا

سَلَبُوا البِيضَ بَزَّها وأقاموا ... بِظُبَاها التأويلَ والتنزيلا (٥)

تحسبُ الشِّيبَ فى الوَقِيعةِ شُبَّا ... نًا إذا صافَحُوا الصفيحَ الصَّقيلا

فإذا حارَبُوا أذَلُّوا عزيزًا ... وإذا سالَمُوا أعَزُّوا ذَليلا (٦)

وإذا عِزُّ معشَرٍ زَالَ يومًا ... مَنَعَ السيفُ عِزَّهُمْ أن يَزولا

يا أبا جعفرٍ، لقد رَاحَ إفضا ... لُكَ خَطْبًا عَلَى الكِرامِ جَليلا (٧)

رَدَّ معروفُكَ الكثيرَ قليلا ... وأرَى جُودُكَ الجَوادَ بَخيلا

---

(١) تناهت اليه : بلغت غايتها عنده .

(٢) رادة الحمد : سابقون اليه .

(٣) يقول : إنهم متساورن فى المجد لا تكاد تفرق بين طبقاتهم فيه ، فكأن [illegible] الأبناء هم الآباء وكأن الأبناء من الآباء هم الأبناء .

(٤) نجوم الأولى : رجال كالنجوم سموا وهدادا ونباهة . [illegible] الثانية : نجوم السماء . يقول : يظهرون فى الشدائد فيحفون من عداهم حتى كأن نجوم السماء [illegible] .

(٥) البيض : السيوف . والبز : الثياب من الكتان أو القطن ، والمراد أغمادها أو بهائها ومضاؤها . والظبي : جمع ظبة : حد السيف أو السنان . والتأويل : التفسير (يريد تفسير مسائل الدين) . والتنزيل : القرآن الكريم ، والمراد أنهم حموا الدين [illegible] .

(٦) أى هم فى الحروب ليوث وفى السلم يحبون الذليل ويكرمونه .

(٧) يقول : [illegible] كرمك بعض الكرام لأن [illegible] عطاء [illegible] يظهر لهم فضل .

لا أظنُّ البُخّالَ يُوفُونَكَ الشُّكْـ ـرَ ولو كانَ بُكرةً وأَصيلا

جعلتْهم مِن غيرِهِم دفعُ منْـ ـكَ أفادتْ حَمْدًا وأعطتْ جزيلا (١)

كَمْ لِجدواكَ مِن مَقامٍ، لَعَمرِى كانَ من رَيِّقِ السحابِ بَدِيلًا! (٢)

عنـدَ وجهٍ طَلْقٍ إذا ما تبـدَّى لِحُزونِ الخُطُوبِ عادتْ سُهولا

يئِسَ الحاسـدون منـكَ وكانُوا أَسَـفًا ينظُرون نحـوكَ حُولًا (٣)

ورأَوْا أنَّهـم إذا وَصَلوا تِلْـ ـكَ المساعِى بِالفِكرِ ذابُوا نُحولا (٤)

فَثَنَـوْا عَنـكَ أعيُنًا وقُلوبًا لم يَرُدُّوا إلا حَسيرًا كَليـلا (٥)

وكفانِى على الذى يوجَدُ الفَضْـ ـلُ لديهِ بِالحاسِـدينَ دَليـلا (٦)

---

(١) أى أن عطاياك جعلت البخال كغيرهم ممن كانوا يوصفون بالكرم ، لأنها نزلت بهؤلاء الى درجة البخلاء .

(٢) الجدوى : العطاء . وريق السحاب : أفضله وأوّله ، أى ان عطاياك لها أثر فى النعمة والخير كأثر السحاب الماطر .

(٣) حولا : ذوى عيون حولاء . والحول : ميل إحدى الحدقتين الى الأنف والأخرى الى الصدغ ، وهذه الحال تدل على الحسرة والأسف .

(٤) يقول : رأوا أنهم لا يستطيعون الوصول إلى محامدك حتى بمجرّد تفكيرهم فيها ولو حاولوا ذلك ذابت جسومهم ضعفا دون الغاية .

(٥) وكانت نتيجة ذلك أن انصرفوا عنك لا يمكنهم النظر الى محامدك السامية ولا التفكير فى إدراكها ، لأن أبصارهم ضعيفة ، وقلوبهم معيبة .

(٦) أى يكفينى الحاسدون فى الدلالة على صاحب الفضل أين هو ، لكثرة حديثهم عنه وذلك قول أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وقال يمدح المتوكل :

لِي حبيبٌ قَدْ لَجَّ فى الهَجرِ جِدّا ... وأعادَ الصدودَ منه وأبْدَى (١)

ذُو فُنُونٍ يُرِيكَ فى كُلِّ يومٍ ... خُلُقًا من جَفَائِهِ مُستَجِدّا

يتأبَّى مَنْعًا، ويُنْعِمُ إسْعَا ... فًا، ويدنو وَصْلًا، وَيبْعُدُ صَدّا (٢)

أغْتَدِى رَاضِيًا وقد بِتُّ غضبا ... نَ، وأُمسِى مَولًى، وأُصبِحُ عَبدا (٣)

وبِنَفسِى أَفدِى على كُلِّ حَالٍ ... شَادِنًا، لو يُمَسُّ بالحُسنِ أَعدَى (٤)

مَرَّ بى خالِيًا فأطمَعَ فى الوَصْـ ... ـلِ وعَرَّضْتُ بالسلام فَرَدّا

وثَنَى خَدَّه إلَيَّ عَلَى خَو ... فٍ فقَبَّلْتُ جُلَّنَارًا ووَرْدا (٥)

سَيِّدِى أنتَ، ما تَعرَّضتُ ظُلمًا ... فأُجازَى بِهِ، ولا خُنْتُ عهدا

رِقَّ لِي مِن مدامعٍ ليس تَرْقَا ... وارْثِ لِي مِن جَوانحٍ ليس تَهْدا

أتُرانِي مُسْتَبدِلًا بِكَ ما عِشْـ ... ـتُ بَدِيلًا، أو واجِدًا مِنكَ نِدّا (٦)

حاشَ لِلّه، أنتَ أفتَنُ ألحا ... ظًا، وأحلَى شَكلًا، وأحسنُ قَدّا (٧)

خَلَقَ اللهُ جَعْفَرًا قَيِّمَ الدُّنْـ ... ـيا سَدَادًا، وقَيِّمَ الدِّينِ رُشْدا (٨)

---

(١) لج فى الهجر : تمادى فيه ولزمه .

(٢) يتأبى : يأبى ويمتنع . وينعم : [illegible] . والإسعاف : [illegible] قليلا فى بعض الأحيان .

(٣) المولى : السيد أو الصاحب . [illegible] .

(٤) الشادن : ولد الظبية [illegible] عدوى الحسن .

(٥) الجلنار : زهر [illegible] .

(٦) الند : المثل والنظير .

(٧) حاش لله : تنزه الله ، ويريد [illegible] .

(٨) القيم : المستقيم ، يريد أنه حسن الدنيا والأخرى لسداده وهدايته .

أكرَمَ الناس شيمةً وأتمَّ النّـ ... ـاس خُلقًا، وأكثرَ الناسِ رِفْدا [١]

مَلِكٌ حَصَّنَتْ عزيمتُه المُـ ... ـلكَ، فأضحتْ لَـهُ مُغاثًا وَرِدًّا [٢]

أظهرَ العدلَ، فاستنارتْ بِهِ الأر ... ضُ، وعمَّ البلادَ غَوْرا ونَجْدا [٣]

وحكَى القَطرَ بل أبرَّ على القَطْـ ... ـرِ بِكفٍّ على البريَّةِ تَنْدَى [٤]

هُوَ بحرُ السَّماحِ، والجودِ، فازدَدْ ... مِنه قُرْبا، تَزدَدْ من الفقرِ بُعدا

يا ثِمالَ الدُّنيا عطاءً وبَذْلا ... وجمالَ الدنيا ثناءً ومَجْدا [٥]

وشَبيهَ النَّبيِّ خُلقًا وخَلقًا ... ونسيبَ النَّبي جَدًّا بِجَدَّا

بِكَ نَستَعتِبُ الليالي ونَستَعْـ ... ـدِي علَى دَهرِنا المُسِيءِ فَنُعْدَى [٦]

فابقَ عُمرَ الزمانِ حتى تُؤدِّي ... شُكرَ إحسانِك الذي لا يُؤدَّى

وقال يصفُ الذئبَ حين لَقِيه :

سلامٌ عليكم، لا وفاءٌ، ولا عَهدُ ... أمَا لكُمُ مِن هَجرِ أحبابِكُمْ بُدُّ؟

أأحبابَنا قد أنجزَ البينُ وَعدَهُ ... وَشيكًا، ولم يُنجَزْ لنا مِنكُمُ وَعْدُ! [٧]

---

(١) أكرم : أفضل . الشيمة : الخلق والطبيعة . والرفد : العطاء .

(٢) مغاثا : ملجأ . وردا : عمادا .

(٣) الغور : ما انحدر واطمأن من الأرض وضده النجد، يريد أن عدله شمل جميع البلاد .

(٤) القطر : المطر، أي يشبه بكرمه المطر . وأبر : زاد . تندى : تعطى كثيرا .

(٥) الثمال : الملجأ والمعتمد . وثمال القوم : الذي يقوم بأمرهم .

(٦) تستعتب الليالى : نطلب منها العتبى (الرضا) أو نعطيها العتبى ونسترضيها (ضد) والأول هو الظاهر هنا أي نطلب من الليالى أن تكون وفق آمالنا . ونستعدى على الدهر : نستعين بك عليه . فنعدى : فنعان ونغلب .

(٧) وشيكا : سريعا . وأنجز البين وعده : فرقنا البعد ووعدهم . هو القرب .

أَأَطلالَ دارِ العامريَّةِ باللِّوَى سقَتْ رَبْعَكِ الأنواءُ! مافعلَتْ هِندُ؟(١)

أدارَ اللِّوى بينَ الشقيقةِ فالحِمَى أَمَا لِلنَّوى إلّا رسيسَ الهوَى قَصْدُ؟!(٢)

بنفسِيَ مَنْ عَذَّبْتُ نفسي بِحُبِّهِ وإنْ لَمْ يَكُنْ مِنهُ وِصالٌ ولا وُدُّ

حبيبٌ، عنِ الأحبابِ شَطَّتْ بهِ النَّوى وأَيُّ حبيبٍ ما أتَى دونَهُ البُعدُ؟

إذا جُزْتَ صحراءَ الغُوَيْرِ مُغَرِّبًا وجازَتْكَ بطحاءُ السواجيرِ ياسعدُ(٣)

فَقُلْ لِبَنِي الضَّحاكِ مَهلًا؛ فإنّني أنا الأُفعُوانُ الصِّلُّ، والضَّيْغَمُ الوَرْدُ(٤)

بَنِي ناهلٍ مَهلًا، فإنَّ ابنَ أُختِكُمْ لهُ عزَمَاتٌ هَزْلُ آرائِها جِدُّ(٥)

متَى تَهْجُموهُ لا تَهِيجُوا سِوَى الرَّدَى وإن كانَ خَرْقًا ما يُحَلُّ له عَقْدُ(٦)

مَهِيبٌ كَنَصْلِ السيفِ لو ضُرِبَتْ بهِ ذُرا أَجإٍ ظَلَّتْ وأعلامُها وَهْدُ(٧)

يَوَدُّ رِجالٌ أنَّنِي كنتُ بعضَ مَنْ طَوَتْهُ الليالِي لا أَروحُ ولا أَغدو(٨)

ولولا احتمالي ثِقْلَ كُلِّ مُلِمَّةٍ تَسوءُ الأعادِي، لم يَوَدُّوا الّذي وَدُّوا

---

(١) اللوى : ما التوى من الرمل أو مسترقه . والربع : الموضع . والأنواء : الأمطار .

(٢) الشقيقة والحمى : موضعان . ورسيس الهوى : حرقته وثباته .

(٣) الغوير : ماء لبنى كلب .

(٤) الأفعوان : ذكر الأفعى (الحية الخبيثة) . والصل : الداهية من الحيات . والضيغم : الاسد والورد : الشجاع الجرىء من الأسود .

(٥) أضعف همه قوية نافذة .

(٦) الردى : الهلاك . الخرق : الكريم ، ما يحل الخ أى لا يرجع عما اعتزمه .

(٧) أجإ وسلمى : هما جبلا طيء المشهورين فى الشمال من جزيرة العرب . وذراه : أعاليه وأعلامها : أعاليها . وهد : محمصة جمع وهدة .

(٨) طوته الليالى : هلك .

ذَرِينِي وإيَّاهم فَحسْبِي صَرامَتِي ... إذا الحربُ لم يُقدَح لخمِيدِها زَنْدُ (١)

ولي صاحبٌ عَضْبُ المضارِبِ صارِمٌ ... طَوِيلُ نِجادٍ، ما يُفَلُّ لَهُ حَدُّ (٢)

وباكِيةٍ تشكو الفِراقَ بأدمعٍ ... يُبادِرْنَها سحًّا كما انتَثَرَ العِقدُ

رَشادَكِ، لا يُحزِنْكِ بينُ ابنِ هِمَّةٍ ... يَتُوقُ إلى العَلياءِ لَيسَ لَهُ نِدُّ (٣)

فمَن كانَ حُرًّا فهو للعَزْمِ والسُّرَى ... ولِلَّيلِ من أفعالِهِ والكَرَى عَبدُ (٤)

ولَيلٍ كأنَّ الصُّبحَ في أُخرَياتِهِ ... حُشاشَةُ نَصْلٍ ضَمَّ إفرِندَهُ غِمدُ (٥)

تَسَربَلتُهُ والذئبُ وَسْنانُ هاجِعٌ ... بِعَينِ ابنِ ليلٍ، مالَهُ بالكَرَى عَهدُ (٦)

أُثِيرُ القَطا الكُدْرِيَّ عن جَثَماتِهِ ... وتألَفُنِي فيهِ الثعالِبُ والرُّبْدُ (٧)

وأطلَسَ مِلءِ العينِ يَحمِلُ زَورَهُ ... وأضلاعَهُ من جانِبَيهِ شَوًى نَهْدُ (٨)

لَهُ ذَنَبٌ مثلُ الرِّشاءِ يَجُرُّهُ ... ومَتْنٌ كمَتْنِ القَوسِ أعوَجُ مُنْأدُّ (٩)

---

(١) الصرامة : قوة العزيمة والمضاء، ولم يقدح الخ ، أى لم ينجح أحد فى إخمادها .

(٢) الصاحب هو السيف، عضب : قاطع . والنجاد : حمائل السيف، كناية عن طول قامته .

(٣) رشادك : قلت لها : الزمى رشادك . والند : المثل والنظير .

(٤) عبد خبر فهو .

(٥) حشاشة نصل : بقية سيف . وافرند السيف : جوهره ووشيه . يشبه الصبح حين يبدو خطا رفيعا عند الأفق المظلم ببقية سيف أغمد إلا نصلا .

(٦) تسربلته : صاحبته وسرت فيه . ابن ليل : دائم السهر . والكرى : النوم الخفيف .

(٧) الكدر : المائل الى السواد والغبرة . وجثماته جمع جثمة كضربة ، أى أثير القطا عن مجاثمه ومراقده بسيرى فيه . والربد : جمع أربد الأسد .

(٨) وأطلس : ورب ذئب أطلس أى أغبر إلى سواد . ملء العين : طويل مهيب . والزور : العزم . والشوى : الأطراف مفرد فى لفظه جمع فى معناه . ونهد : بارز .

(٩) الرشاء : الحبل أو حبل الدلو خاصة . والمتن : الظهر . ومنأد : معوج .

طَواهُ الطَّوىَ حتَّى استمَرَّ مَرِيرُه ... فَمَا فيهِ إلا العَظْمُ والرُّوحُ والجِلْدُ (١)

يُقَضْقِضُ عُصْلًا فى أَسِرَّتِهَا الرَّدى ... كقَضْقَضَةِ المقْرُورِ أرعَده البَرْدُ (٢)

سَمَا لِى وَبِى من شِدَّةِ الجُوعِ ما بِهِ ... بِبَيْدَاءَ لم تُعرَفْ بها عِيشَةٌ رَغْدُ (٣)

كلانَا بِهَا ذئبٌ يُحَدِّث نَفسَهُ ... بِصَاحِبِهِ، والجَدّ يُتْعِسُه الجَدُّ

عَوَى ثم أَقعَى فارْتَجزتُ فهِجتُه ... فأقبَلَ مِثلَ البَرقِ يَتْبعه الرَّعْدُ (٤)

فَأَوجَرتُه خَرْقاءَ تَحسَبُ رِيشَها ... على كوكب يَنقضُّ والليلُ مُسْوَدُّ (٥)

فما ٱزدادَ إلّا جُرأةً وصَرامةً ... وأيقنتُ أنّ الأمرَ منهُ هو الجِدُّ

فَأَتبعتُها أُخرى فأضلَلْتُ نَصلَها ... بحيث يكون اللُّبُّ، والرُّعبُ، والحِقْدُ (٦)

فَخَرَّ وقد أوردْتُهُ مَنْهَلَ الرَّدَى ... عَلَى ظَمأٍ لو أنَّهُ عَذُبَ الوِرْدُ

وقُمتُ فَجَمَّعتُ الحصَى فاشتَوَيْتُه ... عليه، وللرَّمضاءِ مِن تحتِه وَقْدُ (٧)

ونِلتُ خَسيسا مِنه ثُم تركتُه ... وأقلعتُ عَنهُ وهو مُنعَفِرٌ فَرْدُ (٨)

---

(١) الطوى : الجوع . واستمر مريره : استحكم عليه .

(٢) يقضقض عصلا : يصوت بأسنان صلبة معوجة . وأسرتها : أوساطها . والردى : الهلاك . والمقرور : من أصابه القر أى البرد .

(٣) سما لى : ظهر لى وقصدنى . والبيداء : الصحراء . والعيش الرغد : الطيب المتسع .

(٤) أقعى : جلس على مؤخره ، ارتجزت : رفعت صوتى أو قلت رجزا .

(٥) أوجرته : طعنته ، والخرقاء : المرماة أو السهام . ثم شبهها بالكوكب المنقض إذ يقول : تحسب ريشها على كوكب .

(٦) أضللت نصلها : أدخلته ، بحيث الخ ... أى فى القلب .

(٧) الرمضاء : الأرض الحامية ، وقد : نار .

(٨) منعفر : ممرغ فى التراب .

لَقَــدْ حَكَمَتْ فِينَـا الليالى بجَوْرِها ... وَحُكْمُ بَنَاتِ الدهرِ ليسَ لَهُ قَصــدُ(١)

أَفِى العَــدْلِ أن يشقَى الكريمُ بجَوْرِها ... ويأخذَ منْها صفوَها القُعـــدَدُ الوَغْدُ(٢)

ذَرِينِى مِنْ ضَربِ القِداحِ على السُّرَى ... فَعَزمِى لا يَثْنِيــه نَحْسٌ ولا سَــعدُ(٣)

سأحمِلُ نفسِى عنــدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... عَلَى مِثلِ حَدِّ السيفِ أخلَصَهُ الهِندُ(٤)

لِيَعلَمَ مَن هابَ السُّرَى خَشيَةَ الرَّدى ... بِأَنَّ قضــاءَ اللهِ ليس له رَدّ

فان عِشتُ محمودًا فَمِثْــلِى بغَى الغِنَى ... لِيكسِبَ مالا أو يُنَثَّ له حَمــدُ(٥)

وإن مِتُّ لم أظفَر، فليسَ على امرِئٍ ... غَدَا طالبًــا إلّا تَقَصِّيه والجُهــد(٦)

وقال يمدح أبا نهشل :

هَا هُوَ الشَّيبُ لَائِمًــا فأَفِيقِى ... واتْرُكِيــهِ إن كانَ غيرَ مُفِيقِ(٧)

فَلَقَــدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ المُعَنَّى ... وتَلافَى من اشتِياقِ المَشُوقِ(٨)

عَذَلَتْنَا فى عِشقِها أُمُّ عَمْــرٍو ... هل سَمِعتُمْ بِالعَاذِلِ المَعْشُوقِ

---

(١) بنات الدهر : نوازله ، والقصد : الاعتدال .

(٢) القعدد : الجبان أو اللئيم ، والوغد : الأحمق الدنىء .

(٣) ضرب القــداح على السرى : استخبار القداح أ أسير أم أقعد ، وكان للعرب قداح يجيلونها فى كيس ثم يخرجون أحدها فان كان مكتوبا عليه صيغة الأمر مضى صاحبه فيما يعتزم ، وإن كان النهى قعد ، فالشاعر يقول : لا يعنينى هذا لقوة عزمى الذى لا يبالى سعدا ولا نحسا .

(٤) أخلصه الهنــد : سيف أجادت الهنــد صنعه وطبعه ، يقول : سأحمل نفسى على الشدائد اذا حزبت الأمور . (٥) ينث : يذاع ويفشى .

(٦) التقصى : بلوغ الغاية فى البحث ، ومعنى البيت أنى اذا لم أظفــر بما أبغى من الغنى أو الحمد فلا لوم على مادمت قد سعيت الى الخير جهدى .

(٧) لائما : يلوم العاشق على التمادى فى العشق مع شيبه . والمفيق : الصاحى من سكرة العشق ، والمراد نفسه هو . (٨) كف : منع وخفف ، وفاعله يعود على الشيب .

ورأت لمةً ألمّ بها الشّيْـ ـبُ فريعت من ظُلْمَةٍ في شُروقِ (١)

ولَعَمْري لولا الأقاحي لأبصَرْ تَ أنيقَ الرِّياضِ غيرَ أنيقِ (٢)

وسَوادُ العيونِ لو لم يُحجَّر ببَياضٍ ، ما كانَ بالموموقِ (٣)

ومِزاجُ الصّهْباءِ بالماءِ أملَى بِصَبُوحٍ مُستحْسَنٍ وغَبُوقِ (٤)

أيُّ ليلٍ يَبهَى بغيرِ نُجومٍ أو سَحابٍ تَنْدَى بغيرِ بُروقِ (٥)

وَقْفَةً في العَقيقِ أطرحُ ثِقْلًا مِنْ دُموعي بِوقْفَةٍ في العَقيقِ (٦)

ماثِلٌ بينَ أربُعٍ ماثلاتٍ يَنزِعُ الشوقَ من فؤادٍ عَلُوقِ (٧)

أزْجُرُ العيْنَ عن بكاهُنَّ والعيـ ـسَ الى المُبتَغى بِكلِّ طَريقِ (٨)

واستَشَفَّتْ محمدَ بنَ حُمَيدٍ ما سَحيقٌ مِنَ الغِنَى بِسَحيقِ (٩)

---

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن . ريعت : فزعت . ظلمة في شروق : سواد شعر الشباب في بياض المشيب .

(٢) الأقاحي : جمع أقحوان : نبات زهره أبيض ، أي لولا الأقحوان لذهبت بهجة الرياض ، وكذلك الشيب زينة الرأس .

(٣) يحجر : يحاط . والموموق : المحبوب .

(٤) الصهباء : الخمر . وأملى : أمتع . والصبوح : شراب الغداة وعكسه الغبوق ، فالشيب في الرأس كالماء للخمر .

(٥) كذلك يزدان الليل بالنجوم ، وتمطر السحب البارقة ، فالشيب بهاء الشباب ... كل تلك الصور لقصد تحسين المشيب .

(٦) العقيق : اسم لمواضع عدة في بلاد الحجاز ونجد وغيرهما ، وقفة مفعول لفعل محذوف ؛ تقديره أتمنى أوقف .

(٧) ماثل : قائم . يعني نفسه . وأربع جمع ربع : الدار . وفؤاد علوق : شديد التعلق بأحبته .

(٨) العيس : النوق . والمبتغى : المقصود .

(٩) استشفته : نظرت ما وراءه أي قصدته ، ومعنى الشطر الثاني أن الغنى مهما بعد مكانه فلا يعد بعيدا لحب السعي إليه .

سَابِقُ النفعِ يستقِي جُهدَ نفسٍ ... تُستزادُ آستزادَةَ المسبُوقِ (١)

قلّبتْــهُ الأَيدى قَديمًا وللحلْـ ... ـبَةِ تُنْضى الجيـادُ بالتَّعرِيقِ (٢)

كُلّمـا أُجرِيَتِ آلخلائقُ أُوفَى ... رادِعًا فى خلائِقٍ كالخَـلُوقِ (٣)

صَافياتٍ على قُلوبِ المُصَافيـ ... ـنَ، رِقاقٍ فى فَهمِهنَّ الرقيقِ (٤)

لو تَصَفَّحتَها لأخرجتَ مِنها ... ألفَ مَعنًى من حاتمٍ مَسرُوقِ (٥)

ليسَ يَخلُو مِنْ فِكرةٍ فى جَليلٍ ... مِن أفانينِ مَجدِه أَوْ دقيقِ (٦)

يَنظِمُ المجدَ مِثلَ ما تَنظِمُ العِقـ ... ـدَ يَدُ الصانِـعِ الصَّنَاعِ الرَّفيقِ (٧).

وقال يرثى المتوكل على الله عاشر خلفاء بنى العباس وكان حاضرا مقتله :

مَحَـلٌّ عَلَى القَاطُولِ أخلَقَ دَاثِرُهْ ... وَعَادتْ صُروفُ الدَّهرِ جَيشًا تُغاوِرُهْ (٨)

كأنَّ الصَّبَا تُوفِي نُذُورًا إذَا آنبَرتْ ... تُرَاوِحُــهُ أذيَالَهَـا، وتُبَاكِـرُه (٩)

---

(١) سابق النفع : يسبق إلى المحامد، وإن رويت بالقاف كان المعنى سابقا الى الحروب، ويستق الخ أى يستخرج من جهد نفسه كلما أراد كأنه مسبوق يضاعف جهده ليلحق بغيره أو يسبقه .

(٢) قلبته الأيدى : أحكمته التجارب كالسيف يقلب لمعرفة جودته . والحلبة : ميدان السباق، تنضى الجياد : تتعب وتمرن . والتعريق : التضمير .

(٣) أجرت : فوضت . الخلائق : المخلوقات والثانية بمعنى الطبائع . والخلوق : ضرب من الطيب فيه زعفران . رادعا : مضمخا .

(٤) المصافون : المخلصون، وصف لأخلاقه الجيدة .

(٥) حاتم : هو حاتم الطائى المشهور بالكرم، يصفه بالكرم المضاعف .

(٦) الأفانين جمع فنون جمع فن : النوع، يريد أنه يفكر دائما فى عمل مجيد مهما تكن درجته .

(٧) الصناع : الماهر الحاذق .

(٨) القاطول : موضع على دجلة حيث قصر جعفر المتوكل المسمى القصر الجعفرى . وأخلق : بلى . والداثر : الماحى البالى . وصروف الدهر : نوازله . وتغاوره : تحاربه .

(٩) الصبا : ريح شرقية . تراوحه : تنتابه فى الرواح (عشيا) . وتباكره : تهب عليه بكرة (صباحا)، أى كأن ذلك نذر عليها لهذا القصر .

وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ ثَمَّ عَهْدُهُ ... تَرِقُّ حَوَاشِيهِ، ويُورِقُ نَاضِرُه (١)

تَغَيَّرَ حُسْنُ الجَعْفَرِيِّ وأُنْسُهُ ... وقُوِّضَ بَادِي الجَعْفَرِيِّ وحَاضِرُه (٢)

تَحَمَّلَ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فُجَاءَةً ... فَعَادَتْ سَوَاءً دُورُهُ ومَقَابِرُه (٣)

إذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لَنَا الأَسَى ... وقَدْ كَانَ قَبْلَ اليَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُه (٤)

وَلَمْ أَنْسَ وَحْشَ القَصْرِ إذْ رِيعَ سِرْبُهُ ... وإذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُه وجَآذِرُه (٥)

وإذْ صِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهُتِّكَتْ ... عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارُه وَسَتَائِرُه

وَوَحْشَتُهُ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يُقِمْ بِهِ ... أَنِيسٌ، ولَمْ تَحْسُنْ لِعَيْنٍ مَنَاظِرُه

كَأَنْ لَمْ تَبِتْ فِيهِ الخِلَافَةُ طَلْقَةً ... بَشَاشَتُهَا، والمُلْكُ يُشْرِقُ زَاهِرُه (٦)

وَلَمْ تَجْمَعِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بَهَاءَهَا ... وبَهْجَتَهَا، والعَيْشُ غَضٌّ مَكَاسِرُه (٧)

فَأَيْنَ الحِجَابُ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمَنَّعَتْ ... بِهَيْبَتِهَا أَبْوَابُهُ ومَقَاصِرُه (٨)

---

(١) زمان ناعم: ناعم أهله. حواشيه: جوانبه. وترق حواشيه: تسعد أوقاته. والشجر الناضر: الحسن. والمراد أنه عهد جميل.

(٢) الجعفرى: قصر المتوكل. وقوض: تهدم. وباديه: ظاهره. وحاضره: داخله.

(٣) سواء: متساوية فى إقفارها وخلوها من الأحياء.

(٤) أجدلنا الأسى: جدّد لنا الحزن.

(٥) وحش القصر: نساؤه الشبيهات بالبقر الوحشى فى جمال العيون. وريع: أفزع. والسرب: القطيع. والأطلاء: الظباء. المفرد طلا وطلو. والجآذر: أولاد البقرة الوحشية. المفرد جؤذر، يشبه بها أبناء القصر لما فزعوا وشتتوا لمصرع الخليفة.

(٦) طلقة: بهية ضاحكة. والزاهر: الحسن والمشرق من الألوان، أى تروع مظاهره.

(٧) مكاسره جمع مكسر: جذع الشجرة حيث تكسر الأغصان أو هو المخبر. يقال: فلان طيب المكسر أى محمود عند الخبرة.

(٨) المقاصر جمع مقصورة: الحجرة أو الدار الواسعة المحصنة.

وأينَ عَمِيدُ النَّاسِ فى كُلِّ نَوْبَةٍ ... تَنُوبُ وَنَاهِي الدَّهرِ فِيهِمْ وآمِرُه (١)

تَخَفَّى لَـهُ مُغْتَالُـهُ تحتَ غِرَّةٍ ... وأَوْلَى لِمنْ يَغتالُه لَوْ يُجاهِرُه (٢)

فما قاتلَتْ عنهُ المنايَا جُنُودُه ... ولا دافعتْ أمْلاكُه وذخائرُه

ولا نَصَرَ المعتَزَّ مَنْ كانَ يُرتَجَى ... له ، وعزيزُ القومِ مَنْ عزَّ ناصِرُه (٣)

تَعَرَّضَ نَصلُ السيفِ مِنْ دونِ فَتْحِهِ ... وغُيِّبَ عنهُ فى خُراسانَ طاهِرُه (٤)

ولَو عَاشَ مَيْتٌ أو تَقَرَّبَ نَازِحٌ ... لدارتْ مِنَ المكرُوهِ ثَمَّ دوائرُه (٥)

وَلَوْ لِعُبيدِ اللهِ عونٌ عليهمُ ... لَضَاقَتْ عَلَى وُرَّادِ أمْرٍ مَصادِره (٦)

حُلُومٌ أَضَلَّتها الأمَانِي ، ومُدَّةٌ ... تناهَتْ ، وحَتْفٌ أوشكَتْهُ مقادِرُه (٧)

وَمُغْتَصَبٌ للقَتْلِ لم يُخْشَ رَهطُهُ ... ولم تُحْتَشَمْ أسبابُهُ وأَوَاصِرُه (٨)

---

(١) عميد الناس : سيدهم ، أي الخليفة . والنوبة : النازلة . وناهي الدهر الخ أي المتصرف النافذ الحكم كأنه يملي على الدهر إرادته .

(٢) مغتاله : قاتله غيلة ، وكان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم والد المتوكل ، والغرة : الغفلة .

(٣) المعتز : العزيز أو من يعدّ نفسه عزيزا بسواه فيكون معتزا به ، ومعنى عز ناصره : قوى معينه .

(٤) فتحه : الفتح بن خاقان نديم المتوكل الذى قتل معه أيضا . وطاهره : عبيد الله بن طاهر والى خراسان ذلك الحين .

(٥) أى لو عاش هذا النديم أو كان ذلك الغريب حاضرا لحدثت أمور عظيمة وانتقم للمقتول .

(٦) أى لو يعان على قتلته لأخذهم فلا يفلتون من عقابه . والوراد : الذين يردون الماء أو الأمر . وضاقت مصادره : عز الخلاص منه .

(٧) حلوم : عقول ، يشير الى المنتصر بن المتوكل وشيعته من الأتراك الذين تآمروا على قتل الخليفة رغبة من المنتصر فى الخلافة . والحتف : الموت . وأوشكته : قربته .

(٨) الرهط : القبيل والجماعة . وتحتشم : يستحي بها (الأسباب والأواصر) التى هى الصلات بينه وبين قاتله .

صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ السيوفُ حُشَاشةً ... يَجودُ بها ، والموتُ حُمْرٌ أظَافِرُه (١)

أُدافِعُ عَنهُ باليَدَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَثْنِي الأعادِي أعْزَلُ اللّيلِ حَاسِرُه (٢)

ولَو كانَ سَيفِي سَاعةَ الفتكِ في يَدِي ... دَرَى الفَاتِكُ العَجْلانُ كيفَ أُسَاوِرُه (٣)

حَرَامٌ عَلَيَّ الراحُ بَعدَكَ أوْ أَرَى ... دَمًا بدَمٍ يَجري عَلى الارضِ مَائِرُه (٤)

وهَلْ أرتجِي أن يَطلبَ الدمَ واترٌ ... يَدَ الدهْرِ ، والمَوْتُورُ بالدّمِ وَاتِرُه (٥)

أكَانَ وَلِيُّ العَهدِ أضْمَرَ غَدْرَةً ... فَمِنْ عَجَبٍ أن وُلِّيَ العهدَ غادِرُه (٦)

فَلا مُلِّيَ البَاقِي تُراثَ الذي مَضَى ... وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدُّعاءَ مَنَابِرُه (٧)

ولَا وَأَلَ المشكوكُ فِيهِ ولا نَجَا ... مِنَ السيفِ ناضِي السَّيفِ غَدْرًا وشاهِرُه (٨)

لَنِعمَ الدمُ المسفوحُ لَيلةَ جَعفَرٍ ... هَرَقْتُم وجُنحُ الليلِ سُودٌ دَيَاجِرُه (٩)

---

(١) تقاضاه السيوف : تأخذ منه ، يقال : تقاضاه الدين اذا طلبه وقبضه منه . والحشاشة : البقية من الروح .

(٢) أعزل الليل : أعزل فى الليل . والأعزل : من لاسلاح معه ، يعنى نفسه . وحاسره : لادرع معه فى هذه الليلة .

(٣) العجلان : المسرع ، وأساوره : أواثبه وأدافعه .

(٤) أو أرى : الى أن أرى ، ومائره : جاريه ومار الدم على الأرض جرى فتردد عرضا واضطرب فى جريانه .

(٥) الواتر : الظالم . والموتور : من قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه أحد . يقول : كيف أرتجى الثأر للخليفة مع أن صاحب الثأر هو ابنه المنتصر الذى قتله فهو واتر وموتور معا؟ استفهام للنفى .

(٦) ولى العهد : المنتصر الذى خاف أن يحوز أخوه المعتز بالخلافة دونه .

(٧) ملى التراث : تمتع به طويلا ، يدعو على المنتصر ألا ينعم بميراث أبيه . ثم دعا عليه ألا يخلفه ويدعى له على المنابر .

(٨) وأل : نجا . ناضى السيف : استله من غمده .

(٩) الدياجر : جمع ديجور وهو الظلام .

كأنكمُ لم تعلَموا مَن وَليُّهُ ... وَباغيهِ تحتَ المرهَفاتِ وَثائرُه (١)

وَإنّي لَأَرجو أَن تُرَدَّ أُمورُكُم ... الى خَلَفٍ من شخصه لَا يُغَادِرُه (٢)

مُقلِّبُ آراءٍ تُخافُ أَناتُهُ ... إِذَا الأخرقُ العجلانُ خِيفَتْ بَوادِرُه (٣)

وقال يصف إيوان كسرى بالمدائن ويرثى دولة الفرس :

صُنْتُ نَفسي عَمّا يُدَنِّسُ نَفسي ... وترَفَّعتُ عَنْ جَدا كُلِّ جِبْسِ (٤)

وَتَمَاسَكتُ حِينَ زعزَعَنِي الدَّهـ ... ـرُ التِماسًا مِنهُ لِتَعسِي وَنَكسِي (٥)

بُلَغٌ مِنْ صُبابَةِ العَيشِ عِندي ... طَفَّفَتْها الأَيّامُ تطفِيفَ بَخْسِ (٦)

وَبَعِيدٌ مابينَ وَارِدِ رِفْهٍ ... عَلَلٍ شُربُهُ، ووارِدِ خِمْسِ (٧)

وكأنَّ الزَّمانَ أَصبَحَ مَحْمُو ... لًا هَوَاهُ مَعَ الأخَسِّ الأخَسِّ (٨)

---

(١) وليه : صاحبه المطالب به . و باغيه : سافكه . والمرهفات : السيوف المرققة . وثائره : باعثه .

(٢) أى أرجو : أن يبق الحكم فى خلفه لا يخرج منه .

(٣) مقلب آراء : ينظر فى وجوه المسائل ويختير أحكمها . والأناة : التأنى . وتخاف أناته : يرهب تدبيره فى أناة . والأخرق : ضعيف الرأى ، خيفت بوادره : يخشى من عجلتـه التى تكون خطرا على الأمور .

(٤) الجدا : العطاء . والجبس : الجبان اللئيم .

(٥) تماسكت : ثبت واعتصمت . زعزعنى : حركنى بعنف أى حين نالنى خطوبه . التماسا منه : طلبا منه ومحاولة . التعس : الهلاك أو الشر . والنكس : أن ينقلب الرجل على رأسه ، أى الهزيمة والسقوط .

(٦) بلغ : جمع بلغة وهى ما يكفى من العيش ولا يفضل . والصبابة : البقية . طففتها : نقصتها . والبخس : الغبن والظلم .

(٧) الرفه من العيش : الطيب اللين . والعلل : الشرب تباعا . والخمس بالكسر من أظماء الإبل وهى أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، يمثل بها الشاعر حال عيشه البئيس القانع .

(٨) يقول : كأن الزمان ينصف الأنذال ، ويجور على الأخيار .

واشْـتراني العِراقَ خُطَّةَ غَبْنٍ بَعْدَ بَيْعِي الشَّآمَ بَيْعَـةَ وَكْسِ (١)

لَا تَرُزْنِي مُزاوِلًا لِاخْتِبارِي عِنْدَ هَـذِي البَلْوَى فَتُنْكِرَ مَسِّي (٢)

وَقَدِيمًا عَهِـدْتَنِي ذَا هَنَاتٍ آبِيَـاتٍ عَلَى الدَّنِيَّـاتِ شُمْسِ (٣)

ولَقَـدْ رَابَنِي نُبُـوُّ ابنِ عَمِّي بَعْدَ لِينٍ مِنْ جانِبَيْهِ وَأُنْسِ (٤)

وَإِذَا مَا جُفِيتُ كُنْتُ حَرِيًّا أَنْ أُرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي (٥)

حَضَرَتْ رَحْلِيَ الهُمُومُ فَوَجَّهْـ ـتُ إِلَى أَبْيَضِ المَدائِنِ عَنْسِي (٦)

أَتَسَـلَّى عَنِ الحُظُوظِ وَآسَى لِمَحَـلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ (٧)

ذَكَّرَتْنِيهِـمُ الخُطُوبُ التَّوَالِي ولقد تُذْكِرُ الخُطُوبُ وَتُنْسِي (٨)

---

(١) اشتراني العراق : إقامتي بها . و بيعي الشآم : رحلتي عنها مع أنها موطني الأصلي .

(٢) رازه : جرّبه وقدره . فتنكر مسي : تجدني أبيا عنيفا منكر الجانب .

(٣) الهنات : خصال (شر) . شمس : عنيـدة لا تذل ، وآبيـات على الدنيات : لا ترضى بالخسيس الدون فتأنف منه .

(٤) رابني : أوقعني في الريب (الشك) أو أراني ما أكره . والنبو : النفور والجفوة . وابن عمه : هو الخليفة المنتصر ، فالبحتري قحطاني والخليفـة عدناني . وقحطان وعدنان كأنهما أخوان لأنهما أبوا شعبي العرب ، وهذا يدل على أن البحتري قال هذه القصيدة بعد مقتل المتوكل واعراض المنتصر عنه لهجائه إياه في رثاء أبيه كما مضى .

(٥) حريا : خليقا . يقول إذا جفيت تنقلت فلا أصبح في مكان حتى أمسي في سواه ، وهذا تمهيد لذكر رحلته الى المدائن حيث القصر الأبيض (قصر الأكاسرة) .

(٦) حضرت رحلي الهموم : طرأت على الأحزان من هذه الحال السيئة . والعنس : الناقة القوية .

(٧) آسى : أحزن . وآل ساسان : أكاسرة الفرس الذين أزال الفتح الاسلامي دولتهم زمن عمر ابن الخطاب . درس : دارس .

(٨) التوالي : المتتالية . ولعله يريد الخطوب التي ألمت بالدولة العباسية في خلفائها من تحكم العناصر الأجنبية والسيطرة على الخلفاء والتنكيل بهم .

وَهُمُ خَافِضُونَ فِى ظِـلٍّ عَالٍ ... مُشْرِفٍ يُحْسِرُ العيونَ وَيُخْسِى (١)

مُغـلَقٍ بَابُهُ عَلى جَبَـلِ القَبْـ ... ـقِ إلى دَارَتَىْ خِلَاطٍ ومُكْسِ (٢)

حِلَلٌ لم تَكُنْ كأطلالِ سُعدَى ... فى قِفَارٍ من البَسَابِسِ مُلْسِ (٣)

ومَسَاعٍ لولا المُحَـابَاةُ مِنِّى ... لم تُطِقْهَا مَسْعَاةُ عَنْسٍ وعَبْسِ (٤)

نَقَلَ الدَّهرُ عَهْدَهُنَّ عن الجِدَّ ... ةِ حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسِ (٥)

فَكأنَّ الجِرْمازَ مِنْ عَدَمِ الأُنْـ ... ـسِ وإِخْلَالِهِ بَنِيَّـةُ رَمْسِ (٦)

لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أنَّ اللَّيَالِى ... جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَمًا بَعدَ عُرْسِ

وهو يُنْبِيكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ ... لَا يُشَابُ البَيَـانُ فِيهِم بِلَبْسِ (٧)

فإذا مَا رأيتَ صُـورةَ أَنْطَـا ... كِيَّةَ ارتَعْتَ بَيْنَ رُومٍ وفُرْسِ (٨)

---

(١) هم : آل ساسان ، خافضون : رغيدو العيش. فى ظل عال : فى قصر مرتفع (القصر الأبيض) يحسر العيون : يضعفها اذا نظرت تتبين ارتفاعه . يخسى : يؤلم .

(٢) القبق : جبل هو المسمى الآن (جبال القوقاز) فيه أمم مختلفة ولغات متعددة . ويسمى أيضا جبل القبج والقبجاق . وخلاط ومكس من مدن أرمينية الوسطى . يريد أن هذا القصر لاتساعه وكثرة مافيه من الجوارى والخدام والأتباع المختلفى اللغات كأنه مغلق على جبال وبلاد اشتهرت بتعدد أممها .

(٣) هنا يذكر فضل الفرس على العرب . الحلل : جمع حلة وهى المكان ينزل فيه الناس ويقيمون . والبسابس : القفار. ماس : خالية . يقول : آثار هى خير مما فى جزيرة العرب من الأطلال والقفار.

(٤) مساع : مكارم جمع مسعاة ، لم تطقها : لا تقدر عليها وتساميها . وعنس : قبيلة يمنية . وعبس : قبيلة عنترة العبسى من مضر .

(٥) انضاء جمع نضو : المهزول من الحيوان أو الثوب البالى ، ولبس : استعمال ، أى أبلاها الدهر بعد الجدة .

(٦) الجرماز : بناء كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره ، وكان عظيما بجوار القصر. والرمس : القبر.

(٧) البيان : المنطق الفصيح . واللبس : عدم الوضوح .

(٨) أنطاكية : بلد بالشام حيث وقعت معركة بين الفرس والروم وقد صورت فى الايوان ، وارتعت : فزعت .

والمنايا مواثل وأنو شر وان يزجى الصفوف تحت الدرفس[١]

فى اخضرار من اللباس على أصـ ـفر يختال فى صبيغة ورس[٢]

وعراك الرجال بين يديه فى خفوت منهم واغماض جرس[٣]

من مشيح يهوى بعامل رمح ومليح من السنان بترس[٤]

تصف العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم إشارة خرس[٥]

يغتلى فيهم ارتيابى حتى تتقراهم يداى بلمس[٦]

* * *

وكأن الإيوان من عجب الصنـ ـعة جوب فى جنب أرعن جلس[٧]

يتظنى من الكآبة أن يبـ ـدو لعينى مصبح أو ممسى[٨]

مزعجا بالفراق عن أنس إلف عز، أو مرهقا بتطليق عرس

---

(١) مواثل: قائمات تنتظر العمل وقت الحرب. وأنو شروان: أحد الأكاسرة. يزجى: يسوق. والدرفس: العلم الكبير.

(٢) الورس: نبات ذو صبغة حمراء.

(٣) خفوت: سكون صوت. والجرس: الصوت.

(٤) المشيح: الحذر. والمليح: الذى يخاف ويحذر أيضا. والترس: المجن.

(٥) تصف العين: يخيل اليها.

(٦) يغتلى الخ: يزيد ارتيابى: شكى فى حياتهم، تتقراهم: تتبعهم، أى حتى ألمسهم فى الصورة بيدى لأتبين: أهم أحياء حقا كما يخيل الى.

(٧) الجوب: الخرق. والأرعن: الجبل ذو الرعن وهو أنف يتقدم الجبل. الجلس: الجبل العالى، فكأن الإيوان بالنسبة الى القصر الأبيض العظيم الذى يشمل الإيوان وغيره من الغرف والمقاصير — خرق فى جانب جبل ارعن وجعل الجبل ارعن لما فيه من الاجنحة والأنف والأبيات الآتية توضح هذا التشبيه.

(٨) يتظنى: يظن. ومفعوله الثانى مصدر أن يبدو، ومزعجا حال من فاعل يبدو، أى أن كآبته تجعله يبدو للعين كأنه مزعج بفراقه أليفا أو عروسا.

عَكَسَتْ حظَّهُ الليالِي وبَاتَ المُشْـ ... ـتَرِي فِيهِ وهو كوكبُ نَحسِ (١)

فهو يُبدِي تَجلُّدًا وعليه ... كَلْكَلٌ مِنْ كَلاكِلِ الدهرِ مُرْسِي (٢)

لم يَعِبْه أنْ بُزَّ مِنْ بُسُطِ الدِّيـ ... ـبَاجِ واسْتُلَّ مِنْ سُتُورِ الدِّمَقْسِ (٣)

مُشْمَخِرٌّ تعلُو لَهُ شُرُفَاتٌ ... رُفِعَتْ فِي رُءُوسِ رَضْوَى وقُدْسِ (٤)

لابِسَاتٌ من البَيَاضِ فَمَا تُبْـ ... ـصِرُ مِنْهَا إلَّا غَلَائِلَ بُرْسِ (٥)

لَيسَ يُدرَى أصُنْعُ إنْسٍ لِجِنٍّ ... سَكَنُوهُ أمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسِ

غَيرَ أنِّي أراهُ يَشْهَدُ أنْ لَمْ ... يَكُ بانِيهِ فِي المُلُوكِ بِنِكْسِ (٦)

* * *

عُمِرَتْ لِلسُّرُورِ دَهرًا فصارت ... لِلتَّعَزِّي رِبَاعُهُمْ والتَّأَسِّي

فلها أنْ أُعِينَها بِدُمُوعٍ ... مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبابَةِ حُبْسِ

ذَاكَ عِندِي وليست الدَّارُ دارِي ... باقترابٍ منها، ولا الجنسُ جِنْسِي

غيرَ نُعمَى لأهلِهَا عِندَ أهلِي ... غرسُوا مِن زَكَائِها خَيرَ غَرْسِ (٧)

أيَّدُوا مُلْكَنا، وشَدُّوا قُوَاهُ ... بِكُمَاةٍ تحتَ السَّنَوَّرِ حُمْسِ (٨)

---

(١) المشترى: كوكب سعد، ولكنه تحوّل نحسا فى هذا القصر بتأثير القصر فيه.

(٢) التجلد: تكلف الجلد والصبر. والكلكل: الصدر. أى نازلة.

(٣) بز: سلب. واستل: أخرج وانتزع. والديباج: الثوب سداه ولحمته حرير. والدمقس: الحرير الأبيض.

(٤) مشمخر: عال. شرفات القصر: ما أشرف من بنائه. ورضوى: جبل. وقدس: جبل عظيم بنجد، يشبه القصر فى ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين.

(٥) الغلائل جمع غلالة: وهى شعار يلبس تحت الثوب. والبرس: القطن أو ما يشبهه.

(٦) النكس: الضعيف الدنىء. (٧) زكائها: نمائها.

(٨) السنور: كل سلاح من حديد. وحمس: شجعان. يشير إلى بلاد فارس.

وأعانوا على كتائب أريا ... ط بطعنٍ على النحور ودعسِ [1]

وأراني من بعدُ أكلَفُ بالأشـ ... ـراف طُرًّا من كلِّ سِنخٍ وجِنسِ [2]

(١٥) ابنُ المعتزّ [3]

قال يصفُ الروض :

وعلى الأرض اصفرارٌ ... واخضرارٌ واحمرارُ

فكأن الروضَ وشيٌ ... بالغتْ فيه التجّار [4]

نقشُهُ آسٌ ونسري ... نٌ وورد وبهار [5]

وقال فى سُرَّ مَن رأى بعدَ تهدُّمها :

قد أقفرتْ سُرَّ من را ... فما لشيء دوامُ [6]

فالنقضُ يُحمَلُ منها ... كأنها الآجامُ [7]

---

(١) أرياط . قائد حبشى فتح اليمن قديما ، ثم خلفه القائد أبرهة صاحب الفيل وأبناؤه ، ثم طرد سيف بن ذى يزن الاحباش بمعونة الفرس . والدعس . الذود والطعن . (٢) أكلف بالاشراف . أولع بهم . والسنخ . الأصل والمنبت .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسى ولد سنة ٢٤٩ هـ . وقد نشأ وتربى تربية الخلفاء وأخذ العلم والأدب عن علماء عصره وأولع بالشعر ونبغ فيه ، ولما خلع المقتدر لعسف الأتراك من شيعته بويع عبد الله هذا بالخلافة . ولكن جند المقتدر الأتراك حملوا على دار ابن المعتز وقاتلوا أصحابه حتى هزموهم وقبضوا على هذا الخليفة الجديد وقتلوه أول ليلة من حكمه سنة ٢٩٦ هـ . وقد برع فى الشعر ولا سيما الأوصاف . ويمتاز شعره بطابع الترف ورقة الأسلوب مع تكلف للبديع فهو ثالث أبى تمام ومسلم بن الوليد فى ذلك .

(٤) الوشى : الثوب المحسن بالألوان . التجار : جمع تاجر

(٥) أسماء أزهار مختلفة الألوان . (٦) سر من رأى : مدينة قديمة كانت تسمى سامرا جددها المعتصم وأقام بها . أقفرت : تخرب وخلت من مظاهر الحياة .

(٧) النقض : البناء المهدم . الآجام جمع أجمة : الشجر الكثير الملتف . يريد أن الناس يحملون أنقاضها كما يحملون فروع الشجر من الغابات .

ماتَتْ كما مَاتَ فِيـلٌ   تُسَـلُّ منـه العِظَامُ (١)

وقال يصف هلالَ شوّال :

أهلًا بفطرٍ قد أنافَ هِـلَالُهُ   فالآنَ فاغْدُ على المُدَامِ وبكِّرِ (٢)

وانظُرْ اليهِ كزَورَقٍ مِن فِضَّةٍ   قد أثقلتْهُ حُمولَةٌ من عَنْبَرِ (٣)

قال يصف سحابة :

وَسَارِيَةٍ لا تَمَـلُّ البُكَا   جَرَى دَمعُها فى خُدودِ الثَّرى (٤)

سرت تقدَحُ الصُّبحَ فى ليلِها   بِـبَرقٍ كهِنـدِيَّةٍ تُنْتَضَى (٥)

فلمَّـا دنَت جلْجَلتْ فى السما   ءِ رعدًا أجَشَّ بجَرْسِ الرَّحا (٦)

تَمَلَّنَ عليهَا ارْتِدَاعُ اليَفَاعِ   بأنـوارِهَا واعتِجَارُ الرُّبَا (٧)

فَمَـا زالَ مَدمَعُها باكِيـاً   علَى التُّربِ حَتَّى اكتسَى ما اكتسَى (٨)

فأضحتْ سَـواءً وجوهُ البِلادِ   وَجُنَّ النَّبَاتُ بهـا والتقَى (٩)

---

(١) أى أن أنقاض المدينة تستخرج كما تستخرج عظام الفيل للانتفاع بها . (٢) أناف : أطل وأشرف . غدا : بكر . المدام : الخمر . يدعو الى الشراب بعد الحرمان منه طول رمضان .

(٣) الزورق : السفينة الصغيرة . يشبه الهلال وسط الغلمة بزورق فضى حولته العنبر تشبيه تمثيل .

(٤) السارية : السحابة تسرى ليلا . و يريد بالبكاء الأمطار . الثرى : الأرض .

(٥) تقدح : تبرق . والأصل قدح بالزند : حاول إخراج النار منه . هندية : سيوف منسوبة الى الهند ، لأنها كانت تجيد طبعها . تنتضى : تستل . يقول إن برقها يلمع فى الليل كأنه صباح ، والبرق يشبه السيوف المصلتة شكلا و بريقا .

(٦) جلجلت : رعدت . أجش : غليظا . الجرس : الصوت .

(٧) اليفاع : ما ارتفع من الأرض . الاعتجار : لف العمامة . الربا جمع ربوة : الأرض المرتفعة . الأنوار جمع نور بفتح النون : الزهر . كأن السحابة تكفلت باكتساء الأرض بالأزهار

(٨) اكتسى ما اكتسى : أى اكتسى رداء جديدا .

(٩) وجوه البلاد : جوانبها ونواحيها . جن النبات : نما وطال

وقال يصف سيفه :

وَلِى صَارِمٌ فيـهِ المنَايَا كَوامِنٌ ... فما يُنتَضَى إلا لِسفكِ دِماءِ [١]

تَرى فوقَ مَتنَيـهِ الفِرِندَ كأنَّهُ ... بقِيَّةُ غيم رَقَّ دُون سَماءِ [٢]

وقال يصف غديرا :

غَـدِيرٌ تُرَجرِجُ أمـواجَه ... هُبُوبُ الرياحِ ومَرُّ الصَّبا [٣]

اذا الشمسُ من فوقِه أشرقَتْ ... تَوهَّمتَـهُ جَوشَنًا مُذْهَبا [٤]

وقال يحذّر الطالبيين من طَلَبِ الخلافة ويتوعدهم :

أَبى اللهُ إلّا ماتَرَوْنَ فما لَكُمْ ... عِتابٌ على الأقدارِ يا آلَ طَالِبِ [٥]

تركناكُمُ حِينًا فهلّا أخذتُمُ ... تُراثَ النبيِّ بالقَنَا والقواضِبِ [٦]

زمانَ بنو حَربٍ ومروانَ مُمسِكو ... أَعِنَّـةِ مُلْكٍ جائرِ الحُكْمِ غاصِبِ [٧]

ألا رُبَّ يومٍ قد كسوكُمْ عمائمًا ... من الضَّربِ فى الهاماتِ حُمْرَ الذَّوائِبِ [٨]

فلمّا أراقوا بالسُّيوفِ دِماءَكُمْ ... أبيتُمْ ولم نَملِكْ حَنينَ الأقارِبِ

فحِينَ أخذنا ثأرَكُمْ من عدوِّكُمْ ... قَعدتُم لنا تُورُونَ نارَ الحُباحِبِ [٩]

---

(١) الصارم : السيف القاطع . المنايا جمع منية : الموت . كوامن : ساكنة . (٢) فرند السيف : وشيه وجوهره . دون : أسفل . فالفرند للسيف : كالغيم للسماء . (٣) الصبا : ريح شرقية .

(٤) الجوشن : الدرع . مذهب : مموّه بالذهب . وأشعة الشمس فوق صفحة الماء كماء الذهب فوق الدرع .

(٥) يريد أن الله أبى عليكم أن يوليكم أمر المسلمين ويجعل الخلافة بكم

(٦) التراث : الميراث . والقنا : الرماح . والقواضب : السيوف .

(٧) زمان : مضاف الى الجملة الاسمية بعده . ويريد بنى حرب ومروان دولة بنى أمية .

(٨) الهامات : الرءوس . والدوائب : صفائر الشعر . يقول : إن بنى أميـة كانوا يضربون رءوسكم بالسيوف فتحمر من دمائكم .

(٩) الحباحب : ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة ونحوها ، وأورى نار الحباحب كناية عن الفتن التى لا تفيد شيئا .

وحُزْنَا الَّتِي أَعْيَتْكُمُ قَدْ عَلِمْتُمُ ... فما ذَنْبُنَا ؟ هل قاتلٌ مثلُ سَالِبِ ؟

عَطِيَّةُ مُلْكٍ قَدْ حَبَانَا بِفَضْلِهِ ... وَقَدَّرَهُ رَبٌّ جَزِيلُ المَوَاهِبِ

وَلَيْسَ يُرِيدُ النَاسُ أن تَمْلِكُوهُمُ ... فلا تَثِبُوا فِيهِمْ وُثُوبَ الْجَنَادِبِ (١)

وإِيَاكُمُ إِيَاكُمُ وَحِذَارِ مِن ... ضَرَاغِمَةٍ فِي الْغَابِ حُمْرِ الْمَخَالِبِ (٢)

أَلَا إِنَّهَا الْحَرْبُ الَّتِي قَدْ عَلِمْتُمُ ... وَجَرَّبْتُمُ وَالْعِلْمُ عِنْدَ التَّجَارِبِ

وقال فى الطَّرَد : (٣)

لمَا تَعَرَّى الأُفُقُ بِالضِّيَاءِ ... مِثْلَ ابتسام الشَّفَةِ اللَّمْيَاءِ (٤)

وشَمِطَتْ ذَوَائِبُ الظَّلْمَاءِ ... وَهَمَّ نَجْمُ الليل بالإغْفَاءِ (٥)

قُدْنَا لِعِينِ الوحش والظِّبَاءِ ... دَاهِيَةً مَحْذُورَةَ اللِّقَاءِ (٦)

شَائِلَةً كالعَقْرَبِ السَّمْرَاءِ ... مُرْهَفَةً مُطْلَقَةَ الأَحْشَاءِ (٧)

كَمَدَّةٍ من قَلَمٍ سَوْدَاءِ ... أو هُدْبَةٍ مِنْ طَرَفِ الرِّدَاءِ (٨)

تَحْمِلُهَا أَجْنِحَةُ الْهَوَاءِ ... تَسْتَلِبُ الخَطْوَ بلا إِبْطَاءِ

---

(١) الجنادب : جمع جندب : حيوان كالجراد كثير القفز .

(٢) الضراغمة : الأسود . والغاب : مأوى الأسد . والمخالب : الأظفار . و يريد بالضراغمة العباسيين وجنودهم . (٣) الطرد بفتحتين : مزاولة الصيد وهو باب من أبواب الأدب أكثر القول فيه كثير من الشعراء كأبي نواس وابن الرومى وابن المعتز .

(٤) تعرى : تكشف . يريد لمـا استهل الصباح ، والشفة اللياء المشربة سمرة فى حسن .

(٥) شمطت : اختلط سوادها ببياضها .

(٦) العين : جمع أعين وهو ثور بقر الوحش ، و يريد بالداهية كلبة الصيد يقول لمـا أصبح الصباح خرجنا للصيد ومعنا كلبة تخشى الحيوانات لقاءها . (٧) شائلة : مرتفعة الذنب . ومرهفة : مدببة .

(٨) المدة : الخط الممتد والهدبة الطرف .

وَمُخْطَفًا مُوَثَّقَ الأَعْضَاءِ خَالَفَهَا بِجِلْدَةٍ بَيْضَاءِ (١)

كَأَثَرِ الشِّهَابِ فِي السَّمَاءِ وَيَعْرِفُ الزَّجْرَ مِنَ الدُّعَاءِ

بِأُذُنٍ سَاقِطَةِ الأَرْجَاءِ كَوَرْدَةِ السُّوسَنَةِ الشَّهْلَاءِ (٢)

ذَا بُرْثُنٍ كَمِثْقَبِ الحَذَّاءِ وَمُقْلَةٍ قَلِيلَةَ الأَقْذَاءِ (٣)

صَافِيَةٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ يَنْسَابُ بَيْنَ أُكَمِ الصَّحْرَاءِ

مِثْلَ انْسِيَابِ حَيَّةٍ رَقْطَاءِ آنَسَ بَيْنَ السَّفْحِ وَالفَضَاءِ (٤)

سِرْبَ ظِبَاءٍ رُتَّعِ الأَطْلَاءِ فِي عَازِبٍ مُنَوِّرٍ خَلَاءِ (٥)

أَحْوَى كَبَطْنِ الحَيَّةِ الخَضْرَاءِ فِيهِ كَنَقْشِ الحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ (٦)

كأنه ضَفَائِرُ الشَّمْطَاءِ يَصْطَادُ قَبْلَ الأَيْنِ وَالعَنَاءِ (٧)

* خَمْسِينَ لا تَنْقُصُ فِى الإِحْصَاءِ *

---

(١) المخطف : الضامر ، وهو عطف على داهية السابقة : يريد أنه خرج الى الصيد بكلبة وصفها وكلب شرع يصفه فقال : إنه موثق الأعضاء أى شديدها محكمها ، وأنه يخالف الكلبة بما فيه من بقعة بيضاء كأثر الشهاب فى السماء .

(٢) الأرجاء : الانحاء . والسوسن : الزنبق .

(٣) البرثن : الناب . والحذاء : الاسكاف .

(٤ و ٥) السفح : عرض الجبل . وآنس : أبصر . والفاعل : ضمير يعود على المخطف . وسرب ظباء فى البيت بعده مفعوله : أى أن هذا الكاب أبصر سرب غزلان ترتع أطلاؤها أى أولادها فى عازب : أى مرعى خصيب مزهر .

(٦) الأحوى : شديد الخضرة فى سواد وهو وصف للعازب قبله .

(٧) الأين : التعب . يقول : إن هذا الكاب يصيد ما لا يقل عن خمسين قبل أن يدركه التعب .

الأندلس

(١) النـــثر

النـــثر الفنى

١ — نبذة من الرسالة الجدية لابن زيدون [١]

وهى التى كتبها لأبى الحزم بن جهور أمير قرطبة
وهو فى سجنه يستعطفه

« يامولاى وسيدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتدادى به ، ومن أبقاه الله تعالى ماضى حد العزم ، وارى زند الأمل ، ثابت عهد النعمة . إن سلبتنى — أعزك الله — لباس إنعامك ، وعطلتنى من حلى إيناسك ، وأظمأتنى إلى برود [٢] إسعافك ، ونفضت بى كف حياطتك ؟ وغضضت عنى طرف حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلى لك . وسمع الأصم ثنائى عليك ، وأحس الجماد باستحمادى إليك . فلا غرو قد يغص [٣] بالماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفى به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منية المتمنى فى أمنيته ، والحين [٤] قد يسبق جهد الحريص :

كل المصائب قد تمر على الفتى — وتهون غير شماتة الحساد

---

(١) هو ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون القرطبي وزير آل جهور بقرطبة ثم آل عباد بأشبيلية وصاحب الرسالتين الجدية والهزلية توفى سنة ٤٦٣ هـ

(٢) البرود : الماء البارد ، أى إسعافك الذى هو كالماء البارد فى رواية الغليل

(٣) يغص يشرق — (٤) الحين الهلاك .

وإنى لأتجلد ، وأرى الشامتين أنى لريب الدهر لا أتضعضع ؛ فأقول : هل أنا إلا يد أدماها سوارها ، وجبين عض به اكليله ، ومشرفى[1] ألصقه بالأرض صاقله ، وسمهرى[2] عرضه على النار مثقفه ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذى يقول :

فقسا ليزدجروا ؛ ومن يك حازماً　　فليقس أحياناً على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة[3] غمرة ثم تنجلى ، وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع[4] ولن يريبنى من سيدى أن أبطأ سيبه[5] ، أو تأخر غير ضنين غناؤه ، فأبطأ الدلاء فيضا أملؤها ، وأثقل السحائب مشيا أحفلها ، وأنفع الحيا ما صادف جدبا ، وألذ الشراب ما أصاب غليلا . ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب . له الحمد على اهتباله[6] ، ولا عتب عليه فى إغفاله .

فإن يكن الفعل الذى ساء واحدا　　فافعاله اللائى سررن ألوف

---

(١) المشرفى : السيف ينسب إلى مشارف الشام .

(٢) السمهرى : الرمح ينسب إلى سمهر وهو صانع للرماح وزوجه ردينة كانت تعمل معه السلاح وإليهما تنسب الرماح .

(٣) النبوة : الجفوة .

(٤) تقشع : تتكشف وتزول .

(٥) السيب : العطاء .

(٦) الاهتبال الاغتنام ، أى اغتنام معروفه .

وَأعودُ فأقول : ما هذا الذنبُ الذى لم يَسَعْهُ عفوكَ ، والجهلُ الذى لم يأت مِن ورائِهِ حِلمك ؟ والتطاول الذى لم يستغرقْه تَطَوُّلُك[١] ، والتحامل الذى لم يَفِ به احتمالك ؟ ولا أخلُومِن أن أكونَ بَرِيئا ، فأين العـدل ؟ أو مسيئاً ، فأيْنَ الفضل ؟

إلاَّ يكن ذَنْبٌ فعدلُك واسِعٌ أو كان لى ذنبٌ ففضلُك أوْسَع

ومنها :

وهل لَبِسَ الصَّبَاحُ إلاّ بُردًا طَرَّزْتُه بفضائلك[٢] ؟ وَتَقَلَّدت الجوزاء إلاّ عِقْدًا فَصَّلْتَه بمآثرِك ؟ واسْتَمَلَ الربيع إلاّ ثَنَاءً ملأتُه بمحاسِنِك ؟ وبَثَّ المسكُ إلا حَديثا أذعتُـه فى محامِدك ؟ ما يَوْمُ حليمة[٣] بِسِرٍّ ! وإن كُنتُ لم أكْسُكَ سَليباً ، ولا حليتك عطلا ، ولا وسمتك غفلا ؛ بل وجدت آجرا وجِصا فبنيت ، ومكان القول ذا سَعةٍ فقلت .

(٢) الفتح بن خاقان

قال فى كتابه قلائد العقيان فى ترجمة أبى الفضل بن حَسْداى[٤] :

ولمـا أعرس المستعينُ بالله بِبِنت الوزير الأجل أبى بكر بن عبد العزيز احتفل أبوه المؤتمن بالله فى ذلك احتفالا شَهَره ، وأبدع فيه إبداعا راقَ مَن حضَره وبَهَره ،

---

(١) التطوّل : التكرم .

(٢) يبالغ فى أن بياض الصبح مستعار من مشهور شانه عليه وكذلك العبارات الآتية .

(٣) هذا مثل يضرب للأمر المتعالم المشهور . وحليمة هذه : هى بنت الحارث بن أبى شمر الغسانى وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السماء فصمختهم بالطيب جميعا فقيل : ما يوم ... الخ .

(٤) ابن حسداى : كان وزيرا للمؤتمن والمستعين من ملوك الطوائف . وكان يهوديا وأسلم وله كتابة بليغة موجزة تظهر عليها مسحة الفلسفة .

فأنه أحضر فيه من الآلات المبتدعة ، والأدوات المخترعة ، ما بهر الألباب ، وقطع دون معرفتها الأسباب ، واستدعى إليه جميع أعيان الأندلس من دان وقاص ، ومطيع وعاص ، فأتوه مسرعين ، ولبوه متبرعين ، وكان مدير تلك الإراغة[1] ومدبرها ، ومنشئ مخاطباتها ومحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل ، وصدرت عنه في ذلك الوقت كتب ظهر إعجازها ، وبهر اقتضابها وإيجازها . فمن ذلك : ما خاطب به صاحب المطالم أبا عبد الرحمن بن طاهر :

"محلك أعزك الله في طي الجوانح ثابت وإن نزحت الدار ، وعيانك في أحناء الضلوع باد وإن شحط المزار ، فالنفس فائزة منك بتمثيل الخاطر بأوفر الحظ ، والعين نازعة إلى أن تتمتع من لقائك بظفر اللحظ ، فلا عائدة أسبغ بردا ، ولا موهبة أسوغ وردا ، من تفضلك باللحوق إلى مأنس يتم بمشاهدتك التئامه ، ويتصل بمحاضرتك انتظامه . ولك فضل الإجمال ، بالإمتاع عن ذلك بأعظم الآمال . ولنا (أعزك الله) على شرف سؤددك حاكم ، وعلى مشرع سنائك حائم . وحسبي ما نتحققه من نزاعي وتشوقي ، ونتيقنه من تطلعي وتتوقي . وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة ، واعترض الاقتراح ، بارتقاب الصلة . وأنت وصل الله سعدك بسماحة شيمك ، وبارع كرمك ، تنشئ للمؤانسة عهدا ، وتوري بالمكارمة زندا ، وتقتضي بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا . لا زلت مهنأ بالسعود المقتبلة ، مسوغا اجتلاء غرر الأماني المتهللة بمنه .

---

(١) الإراغة : الإرادة والطلب والدعوة .

(٣) الوزير الكاتب أبو عمرو الباجى[١]

كتب رحمه الله تعالى يصف مطرا نزل بعد قحط قال :

إن لله تعالى قضايا واقعةً بالعــدل ، وعطايا جامعةً للفضــل ، ومنحًا يبسطها إذا شاءَ ترفيهًا وإنعاما ، ويقبضها إذا أراد تنبيها وإلهاما ، ويجعلها صــلاحًا وخيرًا ، وعلى آخرين فسادا وضيرا : ﴿وهو الذى يُنزلُ الغيثَ مِن بَعْدِ ماقنطوا وَيَنْشُرُ رحمته وهو الولىُّ الحميد﴾ . وإنه بعــد ما كان من امتساك الحَيا[٢] ، وتوقُّف السُّقيا الذى رِيعَ[٣] به الآمِن ، واستُطيرَ له الساكن ، ورَجَفت الأكباد فزَعًا ، وذَهِلت الألبــابُ جَزَعا ، وأذكتْ ذُكاءُ[٤] حَرَّها ، ومَنَعتِ السماءُ دَرَّها ، واكتسَت الأرضُ غُبْرةً بعــد خُضرة ، ولبِسَتْ شُحوبا بعد نَضْرَة ، وكادت بُرودُ[٥] الأرض تُطوَى ، ومُدُودُ[٦] نِعَم الله تُزْوَى[٧] — نشرَ اللهُ تعالى رحمتَه ، وبسَطَ نِعمتَه ، وأَتاحَ[٨] مِنَّتَه ، وأزاح مِحْنتَه ، فبعثَ الرياحَ لواقِحَ ، وأرسل الغمامَ سَوابغ ، بمــاء دَفِق ، ورَواء[٩] غَدَق ، مِن سمــاء[١٠] طَبَق ،

---

(١) هو أحد كتاب الأندلس البلغاء ، خدم بالكتابة فى عدة دول من ملوك الطوائف وأخصهم المقتدر ابن هود صاحب سرقسطة .

(٢) الحيا : المطر . (٣) ريع : خوّف .

(٤) ذكاء : اسم للشمس .

(٥) البرود : الثياب ، يريد بها ما يكسو الأرض من الخضرة .

(٦) المدود : جمع مدد بمعنى المعونة .

(٧) تزوى : تمنع وتطوى .

(٨) أتاح : هيأ وقدر .

(٩) الرواء : المطر الذى يروى . وغدق : كثير شامل .

(١٠) السماء هنا : المطر . والطبق : المطر العام .

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسى الأزدى . ولد بأشبيلية بالأندلس ، ونشأ بها فقال الشعر وفاق كل أدباء المغرب فى عصره . ولازم وهو شاب أمير أشبيلية ، فمدحه بمدائح تعالى فيها ، حتى اتهموه

استهلّ جفنُها فدمع، وسحّ دمعُها فهمع، وصابَ وبلُها فنقع، فاستوفت الأرض ريًّا، واستكملت من نباتها أثاثا ورِئْيا (١)، فزينةُ الأرض مشهورة، وحُلّةُ الرّوض منشورة، ومِنة الربِّ موفورة، والقلوبُ ناعمةٌ بعد بُؤسها، والوجوهُ ضاحكةٌ بعد عُبوسها، وآثارُ الجزَع ممحوَّةٌ، وسُوَرُ الحمد مَتْلُوّة، ونحن نستزيدُ الواهبَ نعمةَ التوفيق، ونستهديه فى قضاء الحقوق إلى سواءِ الطريق، ونستعيذُ به من المِنّة أن تصيرَ فِتْنة، ومن المِنْحة أن تعودَ مِحْنة. وهو حسبنا ونعم الوكيل!

(٤) ابن خفاجة (٢)

فصل من رسالة فى وصف رياض غبّ مطر.

ولما أكبَّ الغمامُ إكبابًا، لم أجد منه إغبابًا (٣)، واتّصلَ المطرُ اتصالا، لم آلف منه انفصالا، أذنَ اللهُ تعالى للصّحْو أن يُطلِعَ صفْحتَه، ويَنْشُرَ صحيفتَه، فقشعتِ الريحُ السحابَ، كما طوى السِّجلُّ الكتاب، وطَفِقت السماءُ تخلعُ جِلبابها، والشمسُ تُميطُ نِقابَها، وطلَعت الدُّنيا تبتهِجُ كأنّها عَرُوسٌ تجلَّتْ، وقد تحلّتْ، فذهبْتُ فى لُمّة من الإخوان نَستَبِقُ الى الراحةِ رَكْضًا، ونَطوِى للتّفرّج أرضًا، فلا أندفِع إلا إلى غَدِير نَمير، قد استدارتْ منه فى كلّ قرارةِ ماءٍ سحابةٌ غمّاء (٤)، وانسابَ فى تلَعَةٍ حَبابٍ. فتردّدْنا بتلك الأباطِح نتهادَى تهادِىَ أغصانها، ونتضاحكُ تضاحُكَ أقحوانِها،

(١) ارئى: الثوب، جمال المنظر.

(٢) هو أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجه شاعر شرقى الأندلس وأشهر وصاف الطبيعة بالأندلس، وكان قليل التكسب بشعره، توفى سنة ٥٣٣ هـ.

(٣) الاغباب: أن يجىء المرء القوم يوما و يغيب يوما. والمعنى أن الغمام لم يغب يوما بل بقى هاطلا.

(٤) الغماء: السحابة لا فرجة فيها أى أشبهت الأرض السماء فقرارات الغدران أشبهت سحب السماء الملتئمة.

وللنسيم ، أثناءَ ذلك المَنظر الوَسيم تَرَسُّلُ[1] مشى ، على بِساط وَشْى ؛ فاذا مَرَّ بِغَديرٍ نَسَجَهُ دِرعا ، وأحكَمَهُ صُنْعًا[2] ، وإن عَثَرَ بجدولٍ شَطَبَ[3] مِنه نَصْلًا ، وأخلَصَه صَقْلا ؛ فلا تَرى إلا بِطاحا ، مملوءَةً سِلاحا ؛ كأنَّما آنهزمتْ هنالك كَتائبُ ، فألقَتْ بما لَبِسَتْهُ مِن دِرعٍ مَصْقُول ، وسَيفٍ مسلول .

(٥) وهذا فصل للأديب أبى عامر بن عقال[4]

كتب به عن الأمير ابراهيم يصف اجتياز أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه (أيده الله تعالى) من مرسى جزيرة طريف على بَحْرٍ ساكنٍ قد ذَلَّ بَعْدَ استصعابه ، وسهُلَ بعد أن رأى الشامِخَ من هِضابه ، وصارَ حَيُّه مَيْتًا ، وهَدْرُه صَمْتا ، وجبالُه لا تَرى فيها عِوَجا ولا أمْتًا ، وضَعُفَ تعَاطيه ، وعقَدَ السِّلمَ بين مَوجه وشَاطيه ، فعبَرَ آمنا مِن سطَواته ، مُتَمَلِّكًا لصَهَواتِه ، على جَوادٍ يَقطَعُ الحروفَ نَحْـا ، ويكادُ يسبِقُ الريحَ سَبْحًا ، لم يحمِل لِجاما ولا سَرْجا ، ولا عَهِدَ غيرَ اللجة الخَضراءِ مَرْجا ، عِنانُه فى رِجْله[5] ، وهُدْبُ العَين يَحكى بَعْضَ شَكْلِه ، فلله درُّه مِن جَواد ، له جِسم وليس له فُؤاد ، يخرِق الهواءَ ولا يرهَبُه ، ويَركَبُ المـاءَ ولا يَشْرَبُه .

---

(١) الترسل : المشى على مهل وهوادة . (٢) أى أن النسيم يجعد صفحة المـاء فيجعلها كنسج حلق الدرع المجلوة . (٣) شطب الحداد السيف : جعل فيه حروزا غائرة على طوله . وفيه تشبيه الجدول فى صفائه وانحنائه بالسيف الحربى .

(٤) كان أديبا شاعرا كاتبا من كتاب بنى قاسم من ملوك الطوائف . ثم لمـا ملك المرابطون الأندلس وأزالوا ملك الطوائف اتصل بالأمير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين ؛ فكان كاتب إنشائه .

(٥) رجل السفينة : سكانها (دفتها) أى لأن له مجاديف متراصة متقاربة من الجانبين كأنها الأهداب .

(ب) النثر العلمى

باب ما يهمز فيكون له معنى، فاذا لم يهمز كان له معنى آخر من كتاب "المخصص"(١)

يقال : قد روّأت فى الأمر، وقد روّيتُ رأسي بالدّهن. وقد تملّأت من الطعام والشّراب، وقد تملّيتُ العيش : إذا عشتُ مليا أى طويلا . وتقول : قد تخطّأتُ له فى هذه المسألة، وقد تخطّيتُ القدمَ؛ لأنه من الخطوة . وقد قرأتُ القرآنَ وماقرأَتِ الناقةُ سَلًا قطّ ، أى لم تُلق وَلدًا أراد أنها لم تحمل. وقد قَرَيْتُ الضيف ، وقد سَوّأت عليه ما صنع، اذا قلتُ له : أسأتَ، وقد سوّيت الشيءَ . والعرب تقول : إن أصبتُ فصَوّبني، وإن أخطأتُ فخطّئني، وإن أسأتُ فسوِّئْ عليّ . وقد خَبَأ الشّيءَ يَخْبَؤه خَبْئا — وقد خَبَتِ النارُ خُبوًّا — اذا ذهب لَهَبُها، وقد برأتُ من المرض أبرأُ بُرْءًا، وقد بَرَيْتُ القَلَم . وقد بارأتُ شريكى — إذا فارقته — وقد بارأ الرجل امرأته، وباريتُ فلانا اذا كنتَ تفعلُ ما يَفعلُ؛ وفلان يُبارِى الريحَ سخاءً .

---

(١) صاحبه أبو الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الضرير المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ عن ٦٠ سنة .

(١) ابن هانئ الأندلسي (١)

قال من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله ويصف أسطوله وكان يومئذ أقوى أسطول فى البحر الأبيض المتوسط :

أَمَا وَالجوارِى المنشآتِ التى سَرَتْ لقد ظاهَرَتها عُدَّةٌ وعَديدُ

قِبابٌ كما تُزْجَى القِبابُ على المَها ولكنَّ مَن ضُمَّتْ عليه أُسود (٢)

ولِلّهِ — مِمّا لا يَرَوْنَ — كَتَائبُ مُسَوَّمةٌ تَحْدُو بها وجُنود (٣)

أطاعَ لها أن الملائكَ خلفَها كما وقفَتْ خلْفَ الصُّفوف رُدود (٤)

وأن الرِّيَاحَ الذاريات كَتائبٌ وأنَّ النجومَ الطالعاتِ سُعود

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسى الأزدى . ولد بأشبيلية بالأندلس ، ونشأ بها فقال الشعر وفاق كل أدباء المغرب فى عصره . ولازم وهو شاب أمير أشبيلية ، فدحه بمدائح تغالى فيها ، حتى اتهموه بالكفر ، فخرج الى عدوة المغرب . وهناك الدولة الفاطمية مستولية عليه ، فاتصل بالمعز ومدحه وأعجب به . ولما فتح القائد جوهر مصر وبنى القاهرة انتقل اليها المعز ، وبعد مدة لحق به شاعرنا ، فات فى الطريق ولم يبلغ الأربعين سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) أى على الحسان اللاتى يشبهن المها .

(٣) ولله كتائب مسومة : أى من الملائكة تحدوها .

(٤) أطاع لها : أى دان لها وتهيأ وانقاد . وأن الملائك وما عطف عليه فاعل أطاع . والردود : جمع ردّ بالكسر وهو ما يعتمد عليه ويرجع اليه .

وما راعَ مَلْكَ الرُّوم إلا اطّلاعُها تُنَشَّرُ أعــلامٌ لهـا وبُنــود

عليهـا غمامٌ مُكْفَهِرٌ صَــبيرُهُ له بارقاتٌ جَمَّــةٌ ورُعــود (١)

مواخرُ فى طامِى العُبابِ كأنهـا لِعَزْمِك بأسٌ أو لكفِّك جُود

أَنافتْ بها أعلامُها ، وسَمَا لهـا بناءٌ على غــير العَراءِ مَشــيد

وليس بأعلى شاهقٍ ، وهو كوكبٌ ، وليس من الصُّفَّاح ، وهو صَلود

من الراسياتِ الشُّمِّ لولا انتقالُها فمنهـا قِنانٌ شُمَّــخ ورُبــود (٢)

من الطــيرِ إلا أنهن جــوارحٌ فليس لهـا إلّا النفوسَ مَصيدُ

من القادحاتِ النار تُضْرَمُ للصِّلَى فليس لها يومَ اللقــاء خُمــود

إذا زَفَرَتْ غيْظا ترامتْ بمارجٍ كما شُبَّ من نار الجحيم وَقــود

فأفواهُهُنّ الحاميــاتُ صواعقٌ وأنفاسهن الزافراتُ حَديد

يُشَبُّ لآلِ الجاثليق سَــعيرُها وما هى من آل الطــريد بَعِيــد

لهـا شُــعَلٌ فوق الغِمار كأنَّهـا دماءٌ تَلقَّتْهـا ملاحِفُ سُــود

تُعانِقُ مَوْجَ البحــرِ حتى كأنّه سَليطٌ لهـا فيــه الذُّبالُ عَتيــد

ترى المــاءَ فيها ، وهو قانٍ عُبابُه كما باشرتْ رَدْعَ الخَلوقِ جُلود (٣)

فليس لهـا إلا الرياحَ أعِنَّــةٌ وليس لهـا إلا الحَبــابَ كَديدُ (٤)

---

(١) الصبير : السحابة فوق أخرى ، أو السحاب المتراكم . يريد به دخان مقذوفاتها ونيرانها وأصواتها .

(٢) الربود : جمع ربد وهو القطعة من الجبل . والقنان : جمع قنة .

(٣) الردع : الزعفران أو أثر الطيب فى الجسد . والخلوق : ضرب من الطيب .

(٤) الحباب : يراد به هنا الموج . والكديد : الأرض الصلبة .

وغيرُ المَذاكِى نجرُها غيرَ أنها ... مُسَوَّمةٌ تحت الفوارس قُودُ (١)

ترى كُلَّ قَوْداءِ التَّليلِ إذا انْثَنَتْ ... سوالفُ غِيدٍ بالمها وقُدُود (٢)

رحيبةَ مَدّ الباع وهى نضيحة ... بغير شَوًى ، عذراءُ وهى ولود (٣)

تَكَبَّرْنَ عن نَقْع يُثار، كأنها ... مَوالٍ، وجُرْدُ الصافناتِ عَبيد

لها من شُفوفِ العبقرىِّ ملابسٌ ... مُفَوَّفةٌ فيها النُّضارُ جَسيد (٤)

كما اشتملتْ فوق الأرائك خُرَّدٌ ... أو التفعتْ فوق المنابرِ صِيد (٥)

ليُوثٌ تَكُفُّ المَوجَ، وهو غُطامِط ... وتدرأ بأسَ اليَمِّ، وهو شديد (٦)

فمنه دروعٌ فوقها وجواشنٌ ... ومنه خَفاتينٌ لها وبُرود

ألا فى سبيل الله تبذل كُنْهَ ما ... تَضِن به الأنواءُ وهى جُمود

فلا غَرْوَ إن أعززتَ دينَ مُحمّد ... فأنتَ له دون الملوك عَقيدُ

---

(١) المذاكى : الخيل . والنجر والنجار : واحد وهو الأصل . والقود : جمع أقود أو قوداء، وهو الذلول المقاد : أى تنسب لغير الخيل مع أن ركابها فرسان .

(٢) قوداء التليل : طويلة العنق : أى إذا انثنت شعور سوالف الغيد الحسان الشبيهات بالمها على أعناقهن ، أو تمايلت قدودهن كانت السفينة من هذه السفن تشبهها بانثناء عنقها على صدرها . وكانوا يجعلون فى مقدم السفينة صورة رأس ثور أو كبش أو نعامة .

(٣) يريد بالباع المجاديف ؛ فهى تمد باعها ، وليس لها شوى أى أطراف . وقوله وهى ولود أى أنه يتبعها أو يكون لها زوارق صغار .

(٤) أى لها من النقوش الجميلة الألوان مايشبه شفوف الثياب العبقرية الملونة أى المخططة بالياس المذهبة .

(٥) أى انها تشتمل بهذه النقوش كما تشتمل الجوارى الخرد بالثياب ، وهن جالسات على الأرائك ، أو يلتفع الخطباء الصيد وهم فوق المنابر .

(٦) بحر غطامط وموج غطامط : عظيم هائج .

وقال من قصيدة يمدح بها القائد جوهرًا ويذكر توديعه عند خروجه من القيروان الى مصر ويصف الجيش وخروجه للتشييع وكان الزحام قد أفاته مقابلة القائد جوهر حتى لحقه ليلا :

رأيتُ بعيْني فوقَ ما كنتُ أسمعُ ... وقد راعني يومٌ من الحشرِ أروعُ
غداةَ كأنّ الأفقَ سُدّ بمثلِه ... فعادَ غروبُ الشمسِ من حيثُ تطلُعُ
فلم أدرِ إذ سلّمتُ كيفَ أشيّعُ ... ولم أدرِ إذ شيّعتُ كيفَ أودّعُ
وكيفَ أخوضُ الجيشَ والجيشُ لُجّةٌ ... وإنّي بمَن قادَ الجيوشَ لَمُولَعُ
وأينَ؟ وما لي بينَ ذا الجمعِ مَسْلَكٌ، ... ولا لِجَوادِي في البسيطةِ موضِعُ
ألا إنّ هذا حَشْدُ مَن لم يذُقْ له ... غِرارَ الكرى جَفْنٌ، ولا باتَ يَهجَعُ
نصيحتُه للمُلكِ سَدّتْ مذاهبي ... فما بينَ قيدِ الرمحِ والرمحِ إصْبَعُ
فقد ضرَعَتْ حتى الرَّواسي لما رأتْ ... فكيفَ قلوبُ الإنسِ؟ والإنسُ أضْرَعُ
فلا عسكرٌ من قبلِ عسكرِ جوهرٍ ... تَخُبُّ المطايا فيه عشْرًا، وتُوضِعُ[1]
تَسيرُ الجبالُ الجامداتُ لسَيْرِه ... وتسجُدُ من أدنى الحفيفِ وتركَعُ
إذا حلّ في أرضٍ بناها مدائنًا ... وإن سارَ عن أرضٍ ثَوَتْ وهي بَلْقَعُ[2]
سَمَوْتُ له بعدَ الرحيلِ، وفاتني ... فأقسمتُ أن لا لا يلائمُ مضجَعُ
فلما تداركْتُ السُّرادِقَ في الدُّجى ... عشَوْتُ إليه، والمشاعلُ تُرفَعُ

---

(١) الخبب والإيضاع : نوعان من السير . أى أن المطايا تسير فى امتداده عشر ليال ، مبالغة فى طوله

(٢) إذا حل أى جوهر ، أو نفس الجيش يحتاج الى بناء مدينة . وكذلك كانت القاهرة فى أول بنائها معقلا للعساكر .

بِتُّ ، وباتَ الجيشُ جَمًّا سَمِيرُه ... يُؤَرِّقُنِي ، والجِنُّ فى البِيد هُجَّعُ
فَتَخرِقُ جَيْبَ المُزْنِ والمُزْنُ دائمٌ ... وتُوقِدُ مَوْجَ اليَمِّ ، واليمُ أَصْقَعُ(١)
وهَمْهَمَ رعدٌ آخرَ الليلِ قاصِفٌ ... ولاح مع الفجر البوارقُ تلمعُ
وأوحتْ إلينا الوحْشُ : ما اللهُ صانعٌ ... بِنَا وبِكُم من هَوْل ما نتسمَّعُ؟
ولم تعلَمِ الطيرُ الحوائمُ فوقَنا ... إلى أينَ تَسْتذرِى ولا أين تَفْزَعُ(٢)
إلى أن تبدَّى سيفُ دَولةِ هاشمٍ ... على وجهه نُورٌ من الله يسطَعُ

وقال من قصيدة يمدح بها يحيى بن على .

فَتكاتُ طَرْفِك ، أم سيوفُ أبيكِ ... وكُئوسُ خمرٍ ، أم مَراشفُ فيكِ
أَجِلادُ مُرهَفَةٍ وفَتْكُ مَحاجِرٍ؟ ... ما أنتِ راحمةٌ ولا أهلوكِ!
يا بنتَ ذى البُرْدِ الطويلِ نِجادُهُ ... أكذا يجوزُ الحُكْمُ فى ناديكِ؟(٣)
قد كانَ يدعُونى خيالُكِ طارقًا ... حتى دعانى بالقَنا داعيكِ
عَيْناكِ أم مَغْناكِ مَوْعِدُنا ؟ وفى ... وَادِى الكَرى أَلْقاكِ أم واديكِ؟
منعُوكِ من سِنَةِ الكَرى ، وسَرَوْا ، فلو ... عثَرُوا بِطَيْفٍ طارقٍ ظَنُّوكِ
ودَعَوْكِ نشوى ، ما سَقَوْكِ مُدامةً ! ... لمّا تمايلَ عِطفُكِ اتَّهمُوكِ
حسِبوا التَّكحُّلَ فى جُفونكِ حِلْيَةً ... تاللهِ ما بِأَكُفِّهم كَحَلُوكِ!

---

(١) فتخرق أى المشاعل المتقدمة : أى ضوء المشاعل يخترق السحاب الدائم أى المتسع العظيم ، ويمتد الى البحر فيجعله كأنه متقد مع أن البحر بارد أصقع أى كأنه مغطى بالصقيع .

(٢) تستذرى : تطلب ذرا لتلتجئ اليه أى كنفا .

(٣) يريد أنها بدوية أبوها يلبس البرد .

وَجَـلَوْكِ لِي إذ نحن غُصنا بَانَةٍ ... حتى إذا ٱحْتَفَل الهَـوَى حَجَبُـوك!

ولَوَى مُقَبَّـلَكِ اللِّثَـامُ ، وما دَرَوْا ... أَنْ قد لُثِمتِ بِهِ ، وقُبِّلَ فُوك

فَضَعِي القِنَاعَ فَقَبلَ خدِّك حُمِّرَتْ ... رايَاتُ يحـيَي بالدَّمِ المسـفوك

وقال يرثي والدة يحيي وجعفر ٱبني على :

إنَّا ، وفِي آمالِ أَنْفُسِـنا ... طُولٌ ، وفي أعمـارِنا قِصَر

لَـنَرَى بأَعْيُنِنَا مَصارِعَنا ... لو كانتِ ٱلألبـابُ تعتـبِر !

مِمَّـا دَهـانا أَنَّ حاضِرَنا ... أجفانُنا ، والغـائِبُ الفِـكَرُ

و إذا تَـدَبَّرْنا جَـوارِحَنا ... فأَكَلُّهن العَيْنُ والنَّظَـر

لو كان للألبـاب مُمْتَحَنٌ ... ما عُدَّ مِنْهَا السَّمْعُ والبَصَرُ (١)

أيُّ الحيـاةِ ٱلَذُّ عِيشَـتَها ... مِن بَعْـدِ عِلْمِي ا . ا بَشَر ؟

خَرِسَتْ لَعَمْرُ اللهِ أَلْسُنُنَا ... لمَّـا تَكلَّمَ فَـوْقَنا القَـدَر

(٢) ابن بُرْد الأصغر من شعراءِ الأندلس

قال يصف السحب والبرق :

ومازِلتُ أَحسَبُ فيه السَّحابَ ... ونارُ بَـوَارِقِهـا تَلْتَهِب

بَخَـاتِيَّ تُوضِعُ فى سَـيْرِها ... وقد قُرِعَتْ بِسِيَاطِ ٱلذَّهب

---

(١) أى ما عدّ من الألبـاب : السمع والبصر ، لأن السمع يسمع المواعظ فلا يتعظ ، والبصر يبصر العبر فلا ينزجر .

(٣) أحمد بن عبد ربه الأندلسي [١]

قال في الوصف ، يصف حماما :

ونائحٍ في غُصون الدَّوح أَرَّقَنِي ... وما عُنِيتُ بِشَيْء ظَـلَّ يَعْنِيه

مُطَـوَّقٍ بعقُـودٍ ما تُزايِلُهُ ... حتى تُزايِله إحدى تَراقِيـه [٢]

قدبات يَبكي بشَجْوٍ مادَرَيْتُ به ... وبتُّ أَبكي بشَجْوٍليس يَدريهِ

وقال في المدح :

كريمٌ على العِلَّات جَزْلٌ عطاؤه ... مُنِيلٌ وإن لم يُعْتَمَدْ لِنَـوالِ

وما الجودُ مَن يُعطِي إذا ما سأَلْتَهُ ... ولكنَّ مَن يُعطي بغير سُؤالِ

وقال يصف سيفا :

وذى شُطَبٍ تَقْضِي المنايا بِحُكْمِه ... وليس لمـا تَقْضِي المنيةُ دافِـعُ [٣]

فِـرِنْدٌ إذا ما اعْتَنَّ للعين راكدٌ ... وبَرْقٌ إذا ما اهتزّ بالكفّ لامِـعُ [٤]

يُسَـلِّلُ أرواحَ الكُماةِ انسلالُهُ ... ويَرْتاعُ منه الموتُ والموتُ رائعُ

اذا ما التقتْ أمثاله في وَقِيعـةٍ ... هُنالِكَ ظَنُّ النفْسِ بالنَّفْسِ واقِـعُ [٥]

---

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر الوشاح المؤلف أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد الذى يعدّ من أركان الأدب العربي توفى سنة ٣٢٨ هـ .

(٢) يريد بالعقود ما يرى من الألوان في عنقه .

(٣) الشطب : الحزوز في جانبي السيف طولا .

(٤) اعتن : ظهر وبدا .

(٥) أى ما تظنه النفس من الهلاك واقع لا محالة .

وقال أيضا :

بكلّ مأثورٍ على متنه ... مِثلُ مدبّ النَّمل فى القاعِ [1]
يرتدّ طرفُ العَيْنِ عن حَدِّه ... عن كوكبٍ للموت لمّاعِ

(٤) ابن زيدون [2]

قال :

أضحى التنائى بديلًا من تدانينا ... وناب عن طيبِ لُقيانا تجافينا
بِنتُمْ وبِنّا، فما ابتلّتْ جوانحُنا ... شوقًا إليكم، ولا جفّتْ مآقينا [3]
يكادُ حينَ تُناجيكمْ ضمائرُنا ... يقضى علينا الأسى لولا تأسّينا [4]
حالَتْ لفقدِكُم أيامُنا فغدتْ ... سُودًا، وكانتْ بكمْ بيضًا ليالينا [5]
إذْ جانبُ العَيْشِ طلقٌ من تألُّفِنَا ... ومَوْرِدُ اللهوِ صافٍ من تصافينا
وإذْ هَصَرْنا غُصونَ الأُنْسِ دانيةً ... قُطوفُها، فجنينا منه ماشينا [6]
لِيُسقَ عهدُكُمُ عهدُ السرورِ، فما ... كنتُم لأرواحنا إلّا رياحينا

---

(١) أى يلوح ويتراءى لمن ينظر اليه أمثال مداب النمل من انعكاس الضوء وانكساره على صفحته ، وذلك يبين فى السلاح المجلو من الفولاذ الذكر .

(٢) مرت ترجمته عند نثره .

(٣) الجوانح . جمع جانحة : وهى الضلع . والمراد بالجوانح : ماتحته من القلب والحشا الملتهب بالحب . وقوله : (ولا جفت مآقينا) أى ما جفت عيوننا من الدمع والبكاء عليكم .

(٤) التأسى : التصبر .

(٥) حالت : استحالت من بيض إلى سود .

(٦) هصرنا : أملنا إلى ناحيتنا .

مَنْ مُبلغٌ المُلبسينا بانتزاحِهمُ ... حزنًا مع الدهر لا يَبلَى، ويُبلينا (١)

إن الزمانَ الذى ما زالَ يُضحكُنا ... أنسًا بقربكُمُ قد عادَ يُبكينا

ما حقُّنا أن تُقِرُّوا عينَ ذى حسدٍ ... بنا، ولا أن تَسُرُّوا كاشحًا فينا (٢)

غِيظَ العِدَى من تَساقينا الهوَى فدَعَوْا ... بأن نَغَصَّ، فقال الدهرُ: آمينا!

فانحلَّ ما كان معقودًا بأنفسنا ... وانبتَّ ما كان موصولا بأيدينا

وقد نكونُ، وما يُخشَى تفرُّقُنا ... فاليومَ نحنُ، وما يُرجَى تلاقينا

لم نعتقدْ بعدَكم إلا الوفاءَ لكمْ ... رأيًا، ولم نتقلَّدْ غيرَه دينا

لا تحسبُوا نأيَكمْ عنا يغيِّرُنا ... إنْ طالما غيَّرَ النأىُ المحبينا

واللهِ ما طلبتْ أهواؤنا بدلًا ... منكم، ولا انصرفتْ عنكم أمانينا

ولا استفدْنا خليلا عنكِ يَشغَلُنا ... ولا اتّخذْنا بديلًا منكِ يُسلينا

يا سارىَ البرقِ غادِ القصرَ فاسقِ به ... مَن كان صِرفَ الهوى والوُدِّ يَسقينا

ويا نسيمَ الصَّبا بلِّغ تحيّتَنا ... مَنْ لو على البُعد حيًّا كان يُحيينا

يا روضةً طالما أجنَتْ لواحظَنا ... وَرْدًا جلاه الصِّبا غضًّا ونِسرينا (٣)

ويا حياةً تملَّينا بزهرتها ... مُنًى ضروبًا ولذّاتٍ أفانينا (٤)

---

(١) الانتزاح : الافتراق .

(٢) أقر الله عينه بالسلامة : ضد أسخنتها بالوجع والمراد أن تسروا الحاسد . والكاشح : المضمر للعداوة . والواشى — المبغض .

(٣) النسرين : نوع من الورود أكثر ما يكون أبيض الزهر عطر الرائحة .

(٤) تملينا : استمتعنا . والمنى جمع منية . والضروب هنا : الأنواع . والأفانين هنا جمع أفنون ، وهو النوع والضرب أى لذات مختلفة الشكول .

ويا نعيما خطرنا من غضارته — في وشي نعمى سحبنا ذيلها حينا (١)
لسنا نسميك إجلالا وتكرمة — وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وما شوركت في صفة — فحسبنا الوصف إيضاحا وتبيينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها — والكوثر العذب زقوما وغسلينا (٢)
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا — والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا — حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي — مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا
لا غرو في أن ذكرنا الحزن حين نهت — عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سورا — مكتوبة، وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم تعدل بمنهله — شربا، وإن كان يروينا فيظمينا
لم نجف أفق جمال أنت كوكبه — سالين عنه، ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب — لكن عدتنا على كره عوادينا (٣)
نأسى عليك إذا حثت مشعشعة — فينا الشمول وغنانا مغنينا (٤)
لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا — سيما ارتياح، ولا الأوتار تلهينا

---

(١) خطر الرجل في مشيته رفع يديه ووضعهما عجبا وتيها . والغضارة : النعمة والسعة والخصب . والوشي نوع من الثياب الحريرية المنقوشة .

(٢) السلسل : الماء العذب البارد . والكوثر : الكثير من كل شيء، والنهر، ونهر في الجنة . والزقوم المذكور في القرآن الكريم، يراد به ضرب من العذاب في النار جاء تمثيله بأنه طعام شجرة تكون في أصل الجحيم هذا اسمها . والغسلين : ما ينغسل من الثياب ونحوها . وغسلين النار : ما ينغسل من جلود الكفار فيها .

(٣) عن كثب : عن قرب . وعدتنا العوادي : صرفتنا الصوارف . وهي شواغل الدهر وصروفه

(٤) الشمول : من أسماء الخمر والمشعشعة الممزوجة بالماء .

دُومِي على العهدِ ما دُمنا مُحافِظَةً ... فالحرُّ مَن دانَ إنصافًا كما دِينا

فما ابتغَينا خليلا منكِ يَحبِسُنا ... ولا استفدنا حبيبا عنكِ يُغنينا

ولو صَبا نحوَنا من عُلوِ مطلَعِهِ ... بَدْرُ الدُّجى لم يكن - حاشاكِ - يُصبينا

أولِي وفاءً، وإن لم تبذُلِي صِلةً ... فالذكرُ يُقنِعُنا، والطيفُ يكفينا

وفى الجوابِ اقتناعٌ لو شفَعتِ به ... بيضَ الأيادى التى ما زلتِ تُولينا

عليكِ منى سلامُ اللهِ ما بَقِيتْ ... صبابةٌ منكِ نُخفيها فتُخفينا

وقال فى الذكرى متوجعا :

ودَّعَ الصبرَ مُحِبٌّ ودَّعَكْ ... ذائعٌ من سِرِّهِ ما استودَعَكْ

يقرَعُ السِّنَّ على أنْ لم يكُنْ ... زادَ فى تلك الخُطا إذ شيَّعَكْ

يا أخا البدرِ سَناءً وسنى ... حفِظَ اللهُ زمانا أطلعَكْ

إنْ يطُلْ بعدَكَ ليلِي فلكَمْ ... بِتُّ أشكو قِصَرَ الليلِ معَكْ

(٥) أبو بكر محمد بن عمار[1]

قال :

وهَوِيتُه يَسقِي المدامَ كأنّه ... قمرٌ يطوفُ بكوكبٍ فى حِندِسِ

مُتأرِّجَ الحركاتِ تندَى ريحُهُ ... كالغُصنِ هزَّتهُ الصَّبا بتنفُّسِ

يسعَى بكأسٍ فى أناملِ سَوسَنٍ ... ويُديرُ أُخرى فى محاجِرِ نَرجِسِ[2]

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عمار وزير المعتضد بن عباد ملك أشبيلية ، ثم وزير ابنه المعتمد ، وبيد المعتمد قتل بعد خيانة له فى الملك والسياسة سنة ٤٧٧ هـ . وكان شاعرًا بليغا ينتسب بالمتنبى فى مطامعه فى الملك والدولة .

(٢) السوسن والنرجس : زهران أبيضان من الفصيلة البصلية .

ومن قوله فى الاستعطاف :

سجاياكَ إن عافيتَ أندى وأسمحُ ... وعُذْرُك إن عاقبتَ أجلى وأوضحُ

وإن كان بينَ الخطّتين مزيّةٌ ... فأنتَ إلى الأدنى من اللهِ أجنح

حنانَيْكَ فى أخذى برأيكَ لا تُطعْ ... عُداتى، وأن أثنوا علىَّ وأفصحوا

وماذا عسى الأعداءُ أن يتزيّدوا ... سوَى أنّ ذنبى واضحٌ متصحّحُ

نعمْ لِىَ ذنبٌ! غير أن لحلمكم ... صَفاةً يزِلُّ الذنبُ عنها فيسفَح [1]

وإنَّ رجائى أن عندَك غيرَ ما ... يخوضُ عدوّى اليوم فيه ويَمرَح

ولِمْ لا ؟ وقد أسلفتُ وُدّاً وخدْمةً ... يكُرّانِ فى ليلِ الخطايا فيُصبح

وهَبْنِىَ قد أعقبتُ أعمالَ مُفسدٍ ... أما تفسُدُ الأعمالُ ثُمّتَ تَصْلُح [2]

أقلْنى بما بيْنِى وبينكَ من رِضًا ... له نحوَ رَوْحِ الله بابٌ مُفتّح !

وعَفِّ على آثارِ جُرْمٍ جنيتُه ... بهَبّةِ رُحْمَى منك تمحو وتَصفح

ولا تلتفِتْ رأىَ الوُشاة وقولَهم؛ ... فكل إناء بالذى فيه يَرْشَحُ [3]

سَيأتيك فى أمرى حديثٌ، وقد أتى ... بزُورِ بنى عبد العزيز موَشّح [4]

وما ذاكَ إلا ما علمتَ؛ فإننى ... اذا ثُبْتُ لا أنفكُّ آسو وأجرح [5]

---

(١) أى أن حلمه كالصخرة الملساء يزل و ينزل عنها الذنب .

(٢) ثمت : هى (ثم) العاطفة لحقتها تاء التأنيث كما تلحق (رب) فيقال : (ربت). وأصلها أن تكون ساكنة، ولكنها تفتح معهما كثيرا . (٣) تلتفت مضمن معنى فعل متعد، تقديره : (تعتبر أوتقبل).

(٤) كانوا من موالى المنصور بن أبي عامر، و ورثوا أبناءه وأحفاده فى شرق الأندلس، وكانت لهم به دولة دامت ردحا من الزمان . (٥) اذا ثبت : اذا رجعت الى ما كنت عليه من وزارتك .
وآسو : من أسا الجرح أى داواه وعالجه . والمراد لا أنفك أنفع وأضر؛ فبنا لهم مى شرّ .

نَحِيلَتُهُم، لا دَرَّ لِلهِ دَرُّهُم؛ أشارُوا بِجاهي بالشَّماتِ، وصَرَّحوا (١)

وقالوا: سيَجزِيهِ فلانٌ بفِعلِهِ! فقلتُ: وقد يعفو فلانٌ، ويَصْفَح!

ألا إن بَطشًا للمُؤيَّدِ يُتَّقَى ولكنْ حِلمًا للمؤيَّدِ أرجح

وبينَ ضُلوعي من هَواهُ تَميمةٌ ستنفَعُ لو أنَّ الحِمامَ مُجَلِّح (٢)

سلامٌ عليهِ كيفَ دارَ بهِ الهوى: إليَّ فيَدْنو، أو عليَّ فيَنْزَح (٣)

ويَهْنِيهِ إن مِتُّ السُّلُوُّ، فإنَّني أموتُ، ولِي شَوقٌ اليهِ مُبرِّح

(٦) ابن وهبون فى الوصف

قال الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى الأندلسى من شعراء شرق الأندلس، وكان خدم المعتمد بن عباد من ملوك الطوائف بعلمه وشعره يصف النيلوفر (٤):

وبِركةٍ تزهُو بنَيلُوفَرٍ نَسيمُه يُشبِهُ رَوْحَ الحَبِيبْ (٤)

حتى إذا اللَّيلُ دَنَا وقتُه ومالتِ الشمسُ لِعَينِ المَغيبْ

أَطبقَ جَفْنَيهِ على إِلْفِهِ وغاصَ فى الماءِ حِذارَ الرقيبْ

---

(١) نَحِيلتهم: أى هذه نحيلتهم. والنحيلة: الطبيعة والنصيحة. وكلا المعنيين لائق. ودرّ هنا فعل ماض من در اللبن، ودرهم فاعله على نحو جدّ جدّه وجل جلاله. والجملة: دعاء عليهم أى لا كان درهم لله بمعنى لا وفقهم الله للخير.

(٢) التميمة: خرزة رقطاء كان الأعراب يعلقونها فى أعناق أولادهم لتقيهم شر العين والشياطين. والمجلح: الأكول. والمعنى فى قلبي له حب سينفعني ويشفع عنده إذا أراد الموت أكلى.

(٣) ينزح: يبعد.

(٤) النيلوفر: ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة.

(٧) ابن خفاجة الأندلسى [١]

قال فى الاعتبار ويصف ليلا وجبلا :

بِعَيْشكَ هل تدرِى أَهُوجُ الجنائِبِ — تَخُبُّ بِرحْلِى أم ظهورُ النَّجائِبِ؟ [٢]

فما لُحْتُ فى أولى المشارِقِ كوكبًا — فأشرقتُ حتى جئتُ أُخرى المغارِبِ

وَحِيدًا تهادَانِى الفيافِى فأَجتلِى — وُجوهَ المنايا فى قِناعِ الغياهِب

ولا جارَ الا مِن حُسامٍ مُصَمِّمٍ — ولا دارَ إلا فى قُتُودِ الركائب [٣]

ولا أُنْسَ إلا أَنْ أُضاحِكَ ساعةً — ثُغُورَ الأَمانى فى وُجوهِ المطالب

ولَيْلٍ إذا ما قلتُ: قد بادَ فانقضَى، — تكشَّفَ عن وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كاذِب

سَحَبْتُ الدَّياجِى فيه سُودَ ذَوائب — لأَعتنِقَ الآمالَ بِيضَ تَرائب

فَمَزَّقْتُ جَيْبَ اللَّيلِ عن شخصِ أطلسٍ — تَطَلَّعَ وَضَّاحَ المَضاحِكِ قاطِب [٤]

رأيتُ به قِطْعًا مِنَ الفَجْرِ أغبَشًا — تَأَمَّلَ عن نجمٍ تَوَقَّدَ ثاقِب [٥]

وأَرْعَنَ طَمَّاحِ الذُّؤابةِ باذِخٍ — يُطاوِلُ أعنانَ السماءِ بغارِبِ [٦]

---

(١) مرت ترجمته عند نثره

(٢) هوج الجنائب : الرياح الجنوبية الهوجاء . والنجائب : جمع نجيبة : الناقة الكريمة .

(٣) القتود : أخشاب الرحال .

(٤) أطلس : أى شخص أفق أطلس ، والأطلس : الذى فى لونه غبرة الى سواد ، وهو وضاح المضاحك من جهة أنه تتراءى فى خلاله أشعة الفجر ، وقاطب من حيث إنه لا يزال عليه من غبش الليل بقية .

(٥) أى رأيت به قطعا أغبش من الفجر لا يزال يبدو فيه نجم متوقد ثاقب ، وهو الزهرة أو عطارد لأنهما من كواكب الصباح يكونان بالتبادل على الأفق عند طلوع الفجر .

(٦) أرعن : ورب جبل أرعن طويل القمم يطاول السماء بكاهله .

يَسُدُّ مَهَبَّ الريحِ عن كلِّ وِجْهةٍ ... ويزحَم ليــلاً شُهْبَهُ بالمنـاكب

وَقُــورٌ على ظهــر الفَــلاةِ كأنَّه ... طِــوالَ الليالى مُفْكِرٌ فى العواقب

يَلُوثُ عليــه الغَيْمُ سُودَ عمـائمٍ ... لهـا مِن وَمِيضِ البَرْقِ حُمْرُ ذوائب[1]

أَصَخْتُ إليه، وهو أخرسُ صامتٌ! ... فحدَّثَنِي ليــلَ السُّرى بالعجائب

وقال: إلى كَمْ كُنْتُ مَلْجأً قاتِلٍ ... ومَوْطِنَ أَوَّاهٍ تَبَتَّــلَ تائب[2]

وكم مَرَّ بى مِنْ مُدْلِجٍ ومُؤوِّبٍ ... وقالَ بِظِلِّي مِنْ مَطِيٍّ وراكب

ولاطَمَ مِن نُكْبِ الرِّياحِ مَعاطِفِي ... وزاحَمَ مِن خُضْرِ البِحارِ غَــوارِبى[3]

فما كان إلا أَنْ طَوَتْهــم يَدُ الرَّدَى ... وطارتْ بِهِم رِيحُ النَّوَى والنوائب

فما خَفْقُ أَيْكِي غيرُ رجفَــةِ أَضْلُعٍ ... ولا نَوْحُ وُرْقِي غيرُ صَرْخَةِ نادب[4]

وما غَيَّضَ السُّلوانُ دمعى، وإنما ... نَزَفْتُ دموعى فى فِراقِ الصواحِب

فحَتَّى مَتَى أبقَى؟ ويَظْعَنُ صاحبٌ ... أُوَدِّعُ منــه راحلاً غــيرَ آئب

وحتى متى أرعَى الكواكبَ ساهرًا؟ ... فِمنْ طالعٍ أُخرَى الليـالى وغارِب

فرُحمـاكَ يا مولايَ دَعْوةَ ضارِعٍ ... يَمُدُّ إلى نُعماكَ راحــةَ راغب!

فأَسْمَعَنِي من وَعْظِــهِ كُلَّ عِبْرَةٍ ... يُتَرْجِمُها عنــهُ لِسانُ التجارِبِ

---

(١) يلوث: يلف ويعمم على رأسه من الغيم عمائم سوداء لها بروق حمر.

(٢) يريد بالأوّاه التائب: الراهب الذى يبنى صومعته فى رءوس الجبال.

(٣) النكب: جمع نكباء، وهى الريح تهب بين مهبى ريحين. ومعاطفى وغواربى: يريد بهما جوانبى وأظهرى.

(٤) أى خفق غصون أيكى. والأيك: اسم جمع لأيكة، وهى الأشجار المتكاثفة. والورق: جمع ورقاء وهى: الحمامة.

فسلّى بما أبكى وسرّى بما شجا ... وكانَ على عهدِ السُّرى خيرَ صاحبِ

وقلتُ لهُ وقد نكَبْتُ عنهُ لِطيَّةٍ: ... سَلامٌ ! فإنّا مِنْ مُقيمٍ وذاهبِ (١)

وقال :

أحْسُ المُدامَةَ والنسيمُ عليلُ ... والظلُّ خفّاقُ الرِّواقِ ظليلُ (٢)

والنَّورُ طَرْفٌ قد تنبّهَ دامعٌ ... والماءُ مبتسمٌ يروقُ صقيلُ

وتطلّعتْ مِن برقِ كلِّ غمامةٍ ... فى كلِّ أُفقٍ رايةٌ ورعيلُ (٣)

حتى تهادى كلُّ خُوطةِ أيكةٍ ... ريًّا وغصّتْ تلعةٌ ومسيلُ (٤)

عطفَ الأراكةَ فانثنتْ شُكرًا لهُ ... طربًا ورجّعَ فى الغصونِ هديلُ (٥)

فالرّوضُ مُهتزُّ المعاطفِ نعمةً ... نشوانُ يَعطِفُه الصَّبا فيميلُ

ريّانُ فضّضهُ النّدى ثمّ انجلى ... عنهُ فذهّبَ صفحتيهِ أصيلُ

وارتدَّ ينظرُ فى نقابِ غمامةٍ ... طرفٌ يمرِّضُه النُّعاسُ كليلُ (٦)

ساجٍ كما يرنو إلى عُوّادِهِ ... شاكٍ ويلتمحُ العزيزَ ذليلُ

---

(١) نكبت عنه: ملت عنه وانصرفت. والطية: الحاجة والقصد ووجهة [illegible] (من مقيم) زائدة أو بيانية. أى فانا من بين مقيم، وهو أنت، وذاهب، وهو نحن.

(٢) الرواق: مقدّم البيت. وقد [illegible] بيت مضروب [illegible] رواق.

(٣) الرعيل: الجماعة من الخيل، [illegible] السحب [illegible] الخيل [illegible] البروق [illegible] منها بالرايات [illegible] الحمر فوق رءوسهم.

(٤) كل خوطة: أى كل غصن. [illegible] أيكة: [illegible] الملتف. والتلعة: [illegible] الماء من أ[illegible].

(٥) [illegible] : أى [illegible] النسيم [illegible]. و[illegible] : [illegible] الحمام.

(٦) طرف: أى طرف كل شارب مما أى أن الشرب الذين كانوا يشربون [illegible] النهار وجاء الأصيل ثم دخل الليل فبعد أن كان طرف الناظر منهم ينظر إلى أزهار الروض ارتد ينظر فى غمامة كأنها النقاب، وهذا الطرف كليل من السكر، يغالبه النعاس ساج فاتر كأنه طرف المريض يرنو إلى عواده، أو طرف الذليل يلمح العزيز.

وقال :

رُبَّما استضحكَ الحَبابَ حبيبٌ ... نَفَضتْ ثوبَها عليه المُـدامُ

كلّما مَرَّ قاصِرًا من خُطاهُ ... يتهادَى كما يَمُرُّ الغَمامُ

سَلَّمَ الغُصنُ والكثيبُ علينا ... فعلَى الغُصنِ والكثيبِ السّلامُ

وقال فى طول الليل :

ياليلَ وَجدٍ بنَجْدِ ... أمَا لِطَيْفِكَ مَسْرى

ومَا لِدَمعِي طَليقًا ... وأنجُمُ الجَوّ أسْرَى

وقد طَمَى بَحرُ لَيلٍ ... لم يُعْقِبِ المدُّ جَزْرَا

لا يَعبرُ الطَّرْفُ فِيهِ ... غيرَ المجَرّةِ جِسْرا

(٨) ابن سهل الأندلسى[1]

قال :

سَلْ فِي الظّلامِ أخاكَ البَدْرَ عن سَهَرِي ... تَدْرِي النجومُ كما يَدرِي الوَرَى خَبَرِي

أبيتُ أهْتِفُ بالشّكْوى وأشْرَبُ مِن ... دَمْعِي وأَنْشَقُ رَيَّا ذِكْرِكِ العَطِرِ

حتى أُخَيَّلَ أنّي شاربٌ ثَمِلٌ ... بَيْنَ الرِّياضِ وبَينَ الكأسِ والوَتَرِ

مَنْ لِي بِهِ؟ اختلفتْ فيه المَلاحةُ إذْ ... أوْمَتْ إلى غيرِه إيماءَ مُحتَضِرِ[2]

---

(١) هو الشاعر الرقيق الوشاح ابراهيم بن سهل الأشبيلي الأندلسي وقد ينسب قبل إسلامه بالإسرائيلي. كان يهوديا وأسلم ومات غرقا سنة ٦٤٩ هـ.

(٢) أي تفاوتت فيه الملاحة عن نفسها عند الناس فهي فيه كاملة وفي غيره بمنزلة إشارة ضعيفة كإشارة المحتضر عند الموت .

مَعطَّلٌ فالحَلْى منه مُحَلَّاةٌ ... تغنى الدرارى عن التقليد بالسُّوَرِ (١)

يَحدُه لفؤادى نسبةٌ عجبٌ ... كلاهما أبدًا يَدمَى من النَّظَرِ (٢)

وقال ابن سهل فى توشيح له :

هَل درى ظَبيُ الحِمَى أنْ قدْ حَمَى ... قلبَ صبٍّ حلَّه عن مَكْنِسِ

فهو فى حَرٍّ وخَفقٍ مِثلَما ... لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبا بِالقَبَسِ

* * *

يا بدورًا أشرقَتْ يومَ النَّوَى ... غُرَرًا تسلُك بى نَهجَ الغَرَرْ (٣)

ما لنَفسِي فِي الهَوَى ذَنبٌ سِوَى ... مِنكُمُ الحُسنَى ومِن عَينِي النَّظَر

أَجتَنِي اللذاتِ مَكلُومَ الجَوَى ... والتَّذاذِي مِنْ حَبِيبِي بالفِكَرْ (٤)

* * *

كُلَّما أشكُوهُ وَجدِي بَسَما ... كالرُّبَا بالعارِضِ المُنْبَجِسِ (٥)

إذ يُقيمُ القَطرُ فيها مَأتَما ... وهى من بهجتها فى عُرُسِ (٦)

---

(١) محلاة : ممنوعة .

(٢) أى أن فؤادى يدمى من نظرات المحبوب الرامية بسهام التأثير، وخده كأنه يدمى من حمرة الخجل عند نظرى اليه .

(٣) الغرر : التغرير والخطر .

(٤) أى وإنما التذاذى من حبيبى بالتفكر فيه .

(٥) أى كابتسام الربا المشرقة بالأزهار بعد أن سقاها العارض المبجس : أى السحاب الهاطل .

(٦) أى أن نزول القطر الشبيه بقطرات الدمع يقيم فى الربا مأتما ومناحة بيكائه على حين أن الربا فى أعراس من بهجتها .

* * *

أيها السائلُ عن جُرمِي لَديهِ ... لِي جزاءُ الذنب وهو المُذنِبُ

أخذتْ شمسُ الضحا من وَجنَتيهِ ... مَشرِقًا للشمسِ فيهِ مَغرِبُ (١)

ذهب الدمعُ بأشواقي إليهِ ... وله خدٌّ بلحظي مُذهَبُ (٢)

* * *

يَنبُتُ الوردُ بغرسي كلما ... لاحظتْهُ مُقلتي في الخلَس

ليتَ شِعرِي أيُّ شيءٍ حرَّما ... ذلكَ الوردَ على المُغترِس

* * *

كلما أشكو إليهِ حَرَقِي ... غادرتْني مقلتاهُ دَنِفا

تركتْ ألحاظُهُ مِن رَمَقِي ... أثرَ النملِ على صُمِّ الصَّفا (٣)

وأنا أشكرُه فيما بَقِي ... لستُ ألحاهُ على ما أتلفا

* * *

فهو عندي عادلٌ إن ظلَما ... وعذولي نُطقُه كالخرَس

ليس لي في الأمرِ حكمٌ بعدَ ما ... حلّ مِن نفسِي محلَّ النفَس

* * *

منه للنارِ بأحشائي ضِرامْ ... تتلظَّى كلَّ حِينٍ ما تَشا

وهي في خدّيهِ بردٌ وسلامْ ... وهي حرٌّ وحريقٌ في الحشا

أتّقِي منهُ على حُكمِ الغرام ... أسدًا وَرْدًا وأهواهُ رَشَا

---

(١) أى أن حمرة المشرق قبيل ظهور الشمس على الأفق وحمرة شفقها بعيد الغروب مستعارة من وجنتيه الحمراوين .

(٢) أى مذهب من الخجل . وهذا لمعنى مكرر جرّه إليه جناس الاشتقاق بين (ذهب) فى أول البيت و (مذهب) فى آخره .   (٣) أى أثرا ضعيفا لأن النمل لا يؤثر مشيه فى الصخرة الملس .

* * *

قلت لما أن تبدى معلما — وهو من ألحاظه فى حرس

أيها الآخذ قلبى مغنما — اجعل الوصل مكان الخمس (١)

(٩) وقد عارضه فى هذا التوشيح الوزير (٢) أبو عبد الله بن الخطيب فقال :

جادك الغيث اذا الغيث همى — يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلما — فى الكرى أو خلسة المختلس

* * *

إذ يقود الدهر أشتات المنى — تنقل الخطو على ما يرسم

زمرا بين فرادى وثنى — مثلما يدعو الوفود الموسم

والحيا قد جلل الروض سنى — فثغور الزهر منه تبسم

* * *

وروى النعمان عن ماء السما — كيف يروى مالك عن أنس (٣)

---

(١) أى أن الجيش الفاتح لا يأخذ كل الغنيمة بل يكون خمسها للدولة تنفقه فى مصالح الناس وصدقاتهم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطى الأندلسى المعروف بلسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأحمر ملوك غرناطة . وكان وزيرا لأبى الحجاج يوسف من عظماء ملوكهم ، ثم لابنه ، فاتهم بالخيانة فى السياسة و بالزندقة ، ففر إلى المغرب ، وسعى أعداؤه به حتى أسلموه فقتل سنة ٦٩٠ ه . وكان شاعرا كاتبا مؤرخا مؤلفا فقيها متفلسفا . وله عدة كتب وشعر رقيق وكتابة يروى صاحب نفح الطيب وصاحب صبح الأعشى منها كثيرا .

(٣) فى النعمان وماء السماء تورية ؛ اذ النعمان إما شقائق النعمان لزهر أحمر ، وهو المراد هنا ، وماء السماء هو هنا المطر ، وإما النعمان وماء السماء من ملوك الحيرة اللخميين والثانى جد الأول وهما غير مرادين هنا . ومالك هو الإمام مالك بن أنس إمام المذهب المشهور . والمعنى أن بين شقائق النعمان والمطر من النسبة ما بين مالك وأبيه أنس من أن الأول فى كلا الجانبين ابن للثانى وناشئ عنه .

فكساه الحسنُ ثوبًا مُعلَمَا يزدهي منــه بأبهى مَلْبَسِ

* * *

في ليالٍ كتَمتْ سرَّ الهوى بالدُّجى لولا شموسُ الغُـرَرِ

مالَ نجمُ الكأسِ فيها وهوى مستقيمَ السَّيرِ سَعْدَ الأثرِ

وطَرٌ ما فيه مِن عيبٍ سوى أنه مَرَّ كلَمحِ البَصَـرِ

* * *

حينَ لذَّ الأنسُ شيئًا أو كما هجمَ الصبحُ هجومَ الحَرَسِ

غارت الشُّهبُ بنا أو ربَّمـا أثَّرتْ فينا عيونُ النَّرجسِ

المغرب وممالك البربر

النـــثر

(ا) النـثر الفــنى

(١) التلمســانى (١)

قال فى الفـــراق : ــــ

الدهرُ ذو غِيَر، ومَن ذا يحكُمُ على القَدَر؟ وما ضَرَّه لو غفَل قليلا، وشفَى بلقاء الأحِبّةِ غليلا، وسَمَح لنا بساعة اجتماع، ووصل ذلك الأمل القَصِيرَ بباع، وزَوَى (٢) مَسافةَ أيام، كما طَـوَى مَراحلَ أعوام . يامُؤْيِسِى (٣)، أفلا أشـفقتَ من عذابى، وسمَحْتَ ولو بسلام أحبابى، أسلَمْتَنى الى ذَرْع (٤) البيد، ومُحالَفةِ الذَّميل والوَخْد (٥)،

---

(١) هو أبواسحق ابراهيم بن بكر الأنصارى العلامة الأديب الكاتب الشاعر الرحالة من أهل سبتة . دخل الأندلس وبلاد التكرور ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن . وتوفى سنة ٦٩٠ ﻫ بسبتة عن سن عالية .

(٢) زوى : طوى . (٣) يخاطب الدهر . (٤) مصدر ذرع : بمعنى قاس بالذراع

(٥) ضربان : من سير الإبل وغيرها .

والتنقلِ فى المشارق والمغارب ، والتمطى فى الصَّهوات والغوارب[1] . ياسائق البَين دَع محمِلَه ، فما بَقِىَ فى الجسم لَن يَحمِله ، ويابناتِ جَدِيل[2] ، ما لَكُنَّ وللذَّميل؟ ثم مَا للزاجر الكاذب ، وللغراب الناعب ؟ يجعله نذيرَ الجلا ، ورائدَ الخلا ، ما أَبعدَ ابن زَاجر[3] عن دَارِ الزاجر ، إنما فعَلَ ما ترى ، ذاتُ الغارب والقَرا[4] ، المختالةُ فى الأَزِمّة والبُرَى[5] ، والمتردِّدة بين التأويب والسُّرى[6] ؛ طالما باكَرتِ النَّوى[7] ، وصَدَعت صَدْع الهَوى ، وتركت الهائم بين رَبع مُحِيل[8] ، ورَسم مُستحيل[9] ، يَقفو الأَثر بجده ، ويسألُ الطلَلَ عن عهده . وإنْ أنصفتَ فما لِعيرٍ مَقُودَة ، وإبل مَطرودة[10] ، غُلِّتْ[11] عن الحَوْض والشَّوْط[12] ، وأُسلمتْ إلى الحبل والعصا والسَّوْط . ولو خُيِّرَ البازى لأقام ، ولو تُرِكَ القَطا لَيلًا لنام ؛ لكنَّ الدَّهر أبو بَرَاقش[13] ، وسهمُ بَيْنِه بَيْنَ بَنيه غيرُ طائش ، فهو الذى شَتَّتَ الشَّمْلَ وصَدَعه ، وما رُفِعَ سَقْفٌ بعِمادِه إلّا وَضَعَه ، ولا بَلَّ غَليلًا أَحرقَه بنار وجده ولا نَقعه .

---

(١) الصهوة : ظهر الفرس . والغارب : كاهل الجمل .

(٢) بنات جديل : النوق الكريمة تنسب إلى أبيها جديل وهو جمل كريم كان للنعمان بن المنذر .

(٣) يريد بابن زاجر : الغراب .

(٤) القرا : الظهر . يريد الناقة .

(٥) البرى : جمع برة ، وهى حلقة صغيرة تكون فى أنف البعير لربط الخطام أحيانا .

(٦) التأويب : السير جميع النهار . والسرى : السير بالليل .

(٧) النوى : الفراق . (٨) مضى عليه حول . (٩) متغير .

(١٠) إبل الميرة . (١١) شربت ولم ترو . (١٢) مجرى الماء بين جبلين .

(١٣) أبو براقش : طائر ذو ألوان .

(ب) النـــثر العلمى

لابن شَرف القَيْروانى (١) فى كتابه أعلام الكلام

قال أبو عبد الله بن شرف القَيْروانى :

هذه أحاديثُ صُغتها مختلفةَ الأنواع، مؤتلفةً فى الأسماع، عربياتِ المواسم، عربيات التراجم، واختلقت فيها أخباراً فصيحات الكلام، بديعاتِ النظام، لها مقاصدُ ظِراف، وأسانيدُ طِراف، يروقُ الصغيرَ معناها، والكبيرَ مغزاها، وعزوتُها إلى أبى ديّان الصَّلْتِ بن السَّكَن من سَلامان (٢)، وكان شيخاً هِمًّا (٣) فى اللسان، وبَدرا تمًّا فى البيان. قد بَقِىَ أحقابا . ولَقِىَ أعقابا، ثم ألْقتْهُ إلينا مِن باديته الأزَمات، وأوردَتْه علينا العَزَمات . فامْتَتَحْنا (٤) مِن عِلمه بحرًا جاريا، وقَدَحْنا من فَهمه زَنْدا وَاريا، وأدَرْنا من برّه طرفا، واجتنينا من ثمره طُرفا . ونحن إذ ذاك والشبابُ مُقْتَبِل، وغفلةُ الزمان تُهْتَبَل (٥) : واحتذيتُ فيما ذهبتُ اليه، ووقعَ تَعريضى عليه، مِن بَثّ هـذه الأحاديث ما رأيتُ الأوائلَ قد وضعتْه فى كتاب كليلة ودمنة، فأضافوا قولَ الحِكْمة الى الطير الحوائم، ونطقُوا به على ألسـنة الوَحْش والبهائم لِتتعلّق به شَهواتُ الأحداث، وتُسْتعذبَ بسَمره

---

(١) هو الاديب الكاتب الشاعر المؤلف أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شرف الجذامى القيروانى . كان قرين ابن رشيق فى خدمة المعز بن باديس ومنادمته . وكانت بينهما منافسة شديدة زالت بعد موت المعز . فارتحل ابن شرف إلى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ومات بها . وتوفى سنة ٤٦٠ هـ ولابن شرف شعر رقيق وهجاء موجع ومدح بليغ ووصف بديع ، ويشوب شعره مزاج من البديع وخاصة الجناس .

(٢) سلامان : بطن من طيئ وهم سلامان بن ثعل بن الغوث بن طيئ .

(٣) الهم : الشيخ الكبير الفانى ، يريد كبيرا فى فصاحة اللسان .

(٤) امتتح الماء : نزعه من بئر ونحوه .

(٥) تهتبل : تغتنم .

ألفاظُ الحُدّاث . وقد نحا هـذا النحوَ سهلُ بن هارون الكاتب فى تأليفه كتاب النمِر والثعلب، وهو مشهور الحكايات بديعُ المراسلات، مليح المكاتبات . وزَوّرَ أيضا بديع الزمان، الحافظ الهمذانى . وهو الأستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين، مقامات كان يُنشِئُها بديهًا فى أواخر مجالسه، وينسبُها الى راوية رواها له يُسمِّيه عيسى ابنَ هشام . وزعم أنه حَدَّثَه بها عن بليغ يُسَمِّيه أبا الفتح الإسكندرى . وعددُها فيما يزعم رُواتها أربعمائة مَقامــة؛ إلا أنها لم تصلْ هــذه العِدةُ الينا . وهى متضمنةٌ معانىَ مختلفة، ومبنية على مبانِىَ شتّى غير مؤتلفة، لينتفع بها من الكتّاب والمحاضرين مَن صَرّفها مِن هَزْل الى جدّ . ومِن نِدّ الى ضِدّ . فأقمتُ من هــذا النحو عشرين حديثا، أرجو أن تُبيِّنَ فضلَها، ولا نقصر عما قبلها . ولعمرى ما أشــكُرمن نفسى ولا أُثْنِى على شىء من حِسى، إلا ظفَرى بالأقل مما حاولتُه، على ما أضْرمَته نيرانُ الغربة من قلبى ، وثلَمتْه صَــعقَاتُ الثِنتنة من لُبّى ، وقطعتْ أهوالُ البرِّ والبَحر من خواطرى، وأضعفَت الوَحشةُ والوَحدة من غرائزِى وبصائرى، لكنّ نيةَ القاصد وسعةَ المقصود، أعانا ذا الوُدّ على إتحاف المودود . واللهَ أسألُ توفيقا، يَنْهَجُ لنا الى الرشد طريقا .

(ج) الشـعر

(١) على بن محمد الإيادى

من شعراء الفاطميين وهم بالمغرب يصف أسطول القائم الفاطمى قال :

اعْجَبْ لِأسطولِ الإمامِ مُحمَّـدِ ... ولِحُسْـنِهِ وزَمانِهِ المُستَغْرَبِ

لَبِسَتْ به الأمواجُ أحسَنَ مَنْظَرٍ ... يَبْدُو لعَيْنِ النـاظرِ المستَعْجِبِ

مِنْ كلِّ مُشْرِفَةٍ على ما قابَلَتْ ... إشرافَ صَدْرِ الأجْدَلِ المُتَنَصِّبِ (١)

دهمـاءُ قـد لبِستْ ثيابَ تصنُّعٍ ... تَسْبِي العُقولَ على ثِيَابِ تَرَهُّبِ (٢)

من كلِّ أبيضَ فى الهواءِ مُنَشَّرٍ ... منهـا ، وآسحَمَ فى الخَليجِ مُغَيَّبِ (٣)

محفـوفةٌ بمجـاذِفٍ مَصْفُوفةٍ ... فى الجـانبين دُوَيْنَ صُلْبٍ صُلَّبِ (٤)

كقـوادِمِ النَّسْرِ المُرَفْرِفِ عُرِّيَتْ ... من كاسياتِ رياشِهِ المُتَهَدِّبِ (٥)

وتَحُثُّهـا أيـدى الرجالِ اذا وَنَتْ ... بمُصَعَّدٍ منهـا بَعِيـدَ مُصَوَّبِ

---

(١) الأجدل : الصقر .

(٢) ثياب تصنع : هى النقوش المصطنعة ، وثياب الترهب هى طلاء القار الأسود عليها من أسفل لأن الرهبان يلبسون سود الثياب .

(٣) يريد بالأبيض المنشر : القلع .

(٤) الصلب : الظهر والمتن . والصلب بتشديد اللام كسكر : القوى الشديد .

(٥) شبه المجاديف المرصوفة بقوادم النسر .

خَرْقاءُ تذهبُ إنْ يدٌ لم تَهْدِها ... فى كل أوْبٍ للصرياح ومَذْهب

جوفاءُ تحمِلُ كوكبا فى جَوْفِها ... يَوْمَ الرِّهانِ، وتَسْتقِلُّ بمَوْكب

ولها جناحٌ يستَعارُ لطَيْرِها ... طَوْعَ الرياح وراحةِ المتطَرِّب

يعلو بها حَدَبَ العُباب مُطارةً ... فى كل لُجٍّ زاخرٍ مُغْلَوْلِب

تسمو بأجرَدَ فى الهواءِ مُتَوَّج ... عُريانَ مَنْسُوج الذُّؤابةِ شَوْذبِ[1]

يَتَركَّبُ المَلّاحُ مِنهُ ذُبابةً ... لو رامَ يركَبُها القَطا لم يَرْكب

فكأنما رامَ اَستراقَةَ مقعدٍ ... للسَّمْع إلا أنَّهُ لم يُشْهَب

وكأنّما جِنٌّ ابن داودٍ هُمُ ... ركِبُوا جَوانِبَها بأعْنَفِ مَرْكب

سَجَرُوا جوانبَ نارِها، فتقاذَفُوا ... مِنها بألْسُنِ مارِجٍ مُتَلَهِّب

مِن كُلِّ مَسجُونِ الحَريقِ اذا انْبرَى ... مِن سِجنِهِ انصلَتَ انصلاتَ الكَوكَب[2]

عُريانَ يَقْدُمُهُ الدُّخانُ كأنّه ... صُبْحٌ يُكَرُّ على الظَّلام الغَيْهَب

ولَواحِقٍ مِثْلِ الأَهِلَّةِ جُنَّح ... لُحُقِ المُطالب فائِتاتِ المَهْرَب

يذهَبْنَ فيما بينهُن لَطافَةً ... ويجئن فِعْلَ الطائر المُتَغَلِّب

كنضانِيضِ الحَيّاتِ رُحْنَ لَواعِبا ... حتَّى يَقَعْنَ ببِرْكِ ماءِ المِيزَب

شَرَجُوا جوانبَها بمجادفٍ أتْعَبَت ... شَأوَ الرِّياحَ لها، ولمّا تَتْعَب

تَنْصاعُ مِنْ كَثَبٍ كما نَفَر القَطا ... طَوْرا، وتجْتَمِعُ اجتماعَ الرَّبْرَب

---

(١) الشوذب الطويل الحسن الخلق أو الصنع : يريد به الصارى والدقل فى أعلاه برج صغير يجلس فيه ملاح يرقب البحر من أعلى المركب . (٢) كانوا يرمون بقدور وقنانى من الزجاج والفخار بها سائل من نفط ومواد ملتهبة يقذفون بها مراكب العدوّ وهى النار الإغريقية التى جهل الآن تركيبها .

وَالبَحْـرُ يجمَـع بيْنهـا فكأنّه ... لَيْـلُ يُقرّبُ عقربًا مِن عقْرب

وعلى كواكِبها أُسُـودُ خِلافَـةٍ ... تختالُ فى عُدَدِ السِـلاحِ المُرْهِب

فكأنمـا البحرُ اسـتعارَ بزيّهِـمْ ... ثَوْبَ الجَمـالِ مِنَ الربيعِ المُذْهب

(٢) إبراهيم الرقيق بن القاسم القَيْرَوانى (١)

قال يتشوّق الى مصر ومعاهده بها . وكان رحل اليها بهدية من باديس بن زيرى الى الحـاكم بأمر الله الفاطمى :

هَلِ الرِّيحُ إنْ سارَتْ مُشرِّقَةً تَسْرِى ... تُؤدِّى تَحيـاتِى الى سَاكِنِى مِصْر

فمـا خَطَرَتْ إلَّا بكَيْتُ صَبابَةً ... وحَمَّلْتُها ماضاقَ عن حَمْلِهِ صَدْرى

ترَانى إذا هَبَّتْ قَبُـولا بنَشْرِهِمْ ... شَمِمْتُ نَسيمَ المِسْكِ فى ذلك النَّشْر

وإن أنْسَ مِن شئٍ سِوَى العَهْدِ دُونَه ؛ ... فليس بخَالٍ من ضَمِيرِى ومِنْ فِكرِى

لَيـالٍ أنِسْـناها عَلَى غِرَّةِ الصِّبا ... فطابتْ لنا إذْ وَافَقتْ غِرَّةَ الدهر

لَعمرِى لَئِن كانت قِصارا أعُدُّها ... فَلَسْتُ بمُعتَـدٍّ سِـواها مِنَ العُمْر

أخادِعُ دَهرِى أن يعُودَ بِفُرصَةٍ ... فَيُنقِذَ رُوحَ الوَصْلِ من راحةِ الهَجْر

وترجِـعُ أيَّامٌ خَلَتْ بمَعاهِـدٍ ... مِنَ اللَّهوِ لا تَنْفَكُّ مِنِّى عَلَى ذُكْر

فكَمْ لِىَ بالأهْرامِ أو دَيْرِ نَهْيَـةٍ ... مَصايِدُ غِزْلانِ المَكايِدِ والقَفْر (٢)

---

(١) هو ابراهيم بن القاسم الملقب بالرقيق شاعر رقيق الشعر أديب مؤرخ . وكان يتكسب بالكتابة فى دواوين القيروان . وله كتب منها تاريخ إفريقية أثنى عليه ياقوت وتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) دير نهية كان على مقربة من بولاق التكرور، وليس بها دير الآن . ويريد بغزلان المكايد الجوارى الحسان ، وغزلان القفر ما يصاد فى بادية الهرم .

الى الجيزةِ الدُّنيا ومَا قد تَضمَّنَتْ جَزيرتُهـا ذاتُ النواعيرِ والجسرِ
وبالمَقسِ والبُستانِ للعَيْنِ مَنْظَرٌ أنيقٌ الى شَاطِى الخليج الى القَصْرِ [1]
وفى سَرَدُوسٍ مُسْتَرادٌ ومَلْعَبٌ الى دَيْرِ مَرْحَنَّا الى ساحِلِ البَحْرِ [2]
وكَمْ بَيْنَ بُستَانِ الأَميرِ وقَصْرِهِ الى البِرْكَةِ الزَّهْرَاءِ مِن زَهَرٍ نَضْرِ
تَرَاهَا كمرءاة بَدَتْ فى رَفارِفِ مِنَ السُّنْدُسِ المَوْشِيِّ يُنْشَرُ للتَّجْرِ

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى [3]

قال يتغـزل :

أمَا ومَحَلِّ حُبِّكِ مِن فُؤادِي وقَـدْرِ مَكانِه فيـه المكِينِ
لو انبسَطَتْ لِى الآمالُ حَتَّى تُصَيِّرَ مِن عِنانِكِ فى يميـنى
لَصُنتُكِ فى مَكانِ سَوادِ عَيْنى وخِطْتُ عليكَ مِنْ حَذَرٍ جُفونى
فأَبْلُغُ مِنكِ غاياتِ الأَمَانِى وآمَنُ فِيكِ آفاتِ الظنونِ
فلِى نَفْسٌ تجـرَّعُ كُلَّ حِينٍ عَلَيْكِ بِهِنَّ كَاساتِ المَنُونِ [4]
اذا أَمِنَتْ قُلُوبُ الناسِ خافَتْ عليكِ خَفِيَّ أَلحاظِ العُيونِ

---

(١) المقس موضـعه الآن : مسجد أولاد عنان . ويريد بالبستان : البستان الكافورى كان على الخليج غربى القاهرة . ويريد بالقصر القصر الكبير . وموضـعه الآن المسجد الحسينى وخان الخليلى وخان جعفر وبيت القاضى الى جهة قصر الشوق .

(٢) سردوس : خليج من خلجان سبعة كانت فى الوجه البحرى . وكان يتفرع من النيل شمالى القاهرة .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى التميمى إمام العربية والآدب بالقيروان وصاحب المعجم العظيم المسمى بالجامع فى اللغة . رتبه على حروف المعجم ، وكان أديبا كاتبا شاعرا رقيق الشعر . مات بالقيروان سنة ٤١٢ هـ . وقد قارب التسعين .

(٤) بهن أى بآفات الظنون .

وقال :

أَضْمِرُوا لِى وُدًّا ولا تُظْهِـرُوهُ   يَهْـدِهِ مِنْكُمُ إلىَّ الضَّـمِيرُ
ما أُبالِى إذا بَلَغْتُ رِضـاكُمْ   فى هَـوَاكُمْ لأىِّ حَالٍ أَصِـيرُ

(٤) إبراهيم بن على الحُصْرىُّ القَيْرَوَانِىّ [(١)]

قال :

يا هَلْ بَكَيْتُ كما بَكَتْ   وُرْقُ الحمائِمِ فى الغُصُونِ
هَتَفَتْ سُحَـيْرًا والرُّبَا   للقَطْرِ رَافِعَـةُ الجُفُونِ
فكأنمـا صـاغَتْ عَلَى   شَجْوِى شَجَا تلك اللُّحُونِ

وقال :

كَتَمْتُ هواكِ حتى عِيلَ صَبْرِى   وأَدْنَتْـنِى مُكاتَمَـتِى لِرَمْسِى
ولَمْ أَقْـدِرْ على إخفـاءِ حَالٍ   يَحُول بها الأَسَى دُونَ التَّأَسِّى
وحُبُّـكِ مالِكٌ لَحْظِى ولَفْظِى   وإظهارِى وإضمارِى وحِسِّى
فإن أَنطِق ففيـكِ جميعُ نُطْقِى   وأَنْ أَسْكُتْ ففيكِ حديثُ نَفْسى

(٥) ابن رشيق القيروانى [(٢)]

قال :

أُحِبُّ أخى وإن أعرَضْتُ عَنْهُ   وقَـلَّ عَلَى مسامِعِـه كَلامى
ولِى فى وَجْهِـهِ تقطيبُ راضٍ   كما قَطَّبْتَ فى وَجهِ المُـدَامِ

---

(١) صاحب كتاب زهر الآداب وغيره المتوفى سنة ٤٥٣ هـ .

(٢) هو الحسن بن رشيق من موالى الأزد . كان أبوه مملوكا روميا صائغا ، فتعلم ابنه الأدب والكتابة والشعر وعلومه ، وألف فيه كتاب العمدة الذى لم يؤلف المتقدمون مثله فى نقد الشعر وكان من كتاب المعز ابن باديس الصنهاجى خليفة الفاطميين على أفريقية ومن خيرة شعرائه وينافسه فى كل صناعته ابن شرف . توفى ابن رشيق بجزيرة صقلية سنة ٤٥٦ هـ . بمدينة مازر آخر مدن المسلمين بها .

وربّ تجهّم من غير بغض ... وضغن كامن تحت ابتسام

وله أيضا :

من جفانى فإننى غير جاف ... صلة أو قطيعة فى عفاف

ربما هاجر الفتى من يصافيه ... ولاقى بالبشر من لا يصافى

وقال :

ومن حسنات الدهر عندى ليلة ... من العمر لم تترك لأيامها ذنبا

خلونا بها ننفى القذى عن عيوننا ... بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا(١)

وله أيضا :

فى الناس من لا يرتجى نفعه ... إلا إذا مس بإضرار

كالعود لا تطمع فى طيبه ... إن أنت لم تمسسه بالنار

وقال :

ولو غيرك الموسوم عندى بريبة ... لأعطيت فيه مدعى القوم ماادّعى

فلا تتخالجك الظنون فإنها ... مآثم واترك للصنائع موضعا

فوالله ما طوّلت باللوم فيكم ... لسانا ولا عرّضت للذم مسمعا

ولا ملت عنكم بالوداد ولا انطوت ... حبالى ولا ولّى ثنائى مودعا

بلى ربما أكرمت نفسى فلم تهن ... وأجللتها عن أن تذل وتخضعا

فباينت لا أن العداوة باينت ... وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا

---

(١) بلؤلؤة الخ يريد بكأس مملوءة خمرا .

(٦) ابن شرف القيرواني(١)

من قوله :

إنْ تَدْعُكَ الغُربةُ فى معشرٍ ... قدْ جُبِلَ الطبعُ على بُغْضِهمْ

فدارِهِمْ ما دُمْتَ فى دارِهِمْ ... وأَرْضِهِمْ ما دُمتَ فى أرضِهِم

وقوله :

إحْذَرْ محاسنَ أوجُهٍ فقَدَتْ محا ... سِنَ أنفُسٍ ، وَلَو انَّها أقْمارُ

سُرُجٌ تلوحُ اذا نَظَرْتَ فإنَّها ... نورٌ يُضىءُ وإن مَسَسْتَ فَنارُ

وقوله فى العود :

سَقَى اللهُ أرضًا أنبَتَت عودَك الذى ... زَكَتْ منه أغصانٌ ، وطابَتْ مَغارِسُ

تَغَنَّى عليهِ الطَّيرُ ، والعُودُ أخضَرٌ ... وغَنَّتْ عليهِ الغِيدُ ، والعُودُ يابِسُ

وقوله :

لا تسألِ الناس والأيامَ عن خَبَرٍ ... هُما يبثَّانِكَ الأخبارَ تطفيلا

ولا تُعاتِبْ على نقصِ الطباعِ أخًا ... فإنَّ بَدْرَ السَّما لم يُعْطَ تكميلا

لا يُؤْيِسَنَّكَ من أمرٍ تَصَعُّبُهُ ... فاللهُ قد يُعقِبُ التَّصعيبَ تسهيلا

بِعْ مَن جفاكَ ولا تبخَلْ بسلْعَتِهِ ... واطلبْ بِهِ بَدَلًا إنْ رامَ تبديلا

وصيِّرِ الأرضَ دارًا والورى رَجُلًا ... حتى تُرى مُقبِلًا فى الناس مقبولا

---

(١) تقدمت ترجمته عند نثره .

وقـــولُه :

يا ثاوياً فى مَعْشَرٍ	قــد ٱصطلَى بنارِهِمْ
إن تبْكِ من شَرارِهم	على يَدَىْ شِرارِهِمْ
أو تُرْمَ من أحْجارِهم	وَأنتَ فى أحْجَارِهِمْ
فما بقيتَ جارَهُــمْ	ففِى هواهُمْ جارِهِم
وأرضهم فى أرضهم	ودارهم فى دارِهِــمْ

(٧) عبد الجبار بن حَمْديس [(١)]

قال يصف بركة يجرى اليها المـاء من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود من صفر ، منهـا ما يقذف المـاء صعدا ، ومنهـا ما يحدره إلى أسفل، ومها ما يقطعه كرات وبنادق :

والمـاءُ منه سَبَائِكٌ من فِضَّةٍ	ذابَتْ على دُولاب شاذَرْوَان [(٢)]
فكأنما سَيْفٌ هناك مُشَطَّبٌ	ألقته يومَ الرَّوْع كَفُّ جَبَانِ [(٣)]
كَمْ شاخِص فيه يُطيلُ تَعجُّباً	من دَوْحَة نَبَتَتْ من العِقْيَانِ [(٤)]
عَجَباً لهـا تَسقِى هنـاك ينَائِعاً	ينعتْ من الثَّمرات والأغْصان [(٥)]

(١) هو أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن حمديس الأزدى الصقلى أحد وصافى الطبيعة والمصانع البديعة . نشأ بمدينة سرقوصة من صقلية فى أواخر دولة العرب بها ولمـا ملكها رجار النورماندى هاجر منها الى الأندلس وغيرها حتى مات بجزيرة ميورقة سنة ٥٢٧ هـ .

(٢) الشاذروان : كلمة معربة ومعناه كل ما خرج قايـلا من جدار أو نصب عما فوقه من بقية البناء أو النصب أو ما كان كمصاطب الفوارات أو قصاعها كالرفرف وهو المراد هنا .

(٣) شبه المـاء النازل من الثقوب منحنيا بالسيوف .

(٤) العقيان : الذهب .

(٥) الينائع : جمع يَنيعة .

خُصَّتْ بِطَائِرَةٍ على فَنَنٍ لها ... حَسُنَتْ فَأُفْرِدَ حسنها من ثانى

قُسُّ الطيور السَّاجِعَات بلاغةً ... وفصاحةً من مَنْطِق وبَيَانِ (١)

فإذا أُتِيحَ لها الكلامُ تكلَّمَتْ ... بِخَرِيرِ ماء دائم الهَمَلانِ

وكأن صانِعَهَا آستبدَّ بصنعةٍ ... فَخَرَ الجمادُ بها على الحيوان

أَوْفَتْ على حوْض لها فكأنها ... منها الى العَجَبِ العُجَاب رَوانِ

وكأنها ظنَّتْ حلاوةَ مائها ... شَهْدًا فَذَاقَتْهُ بِكُلِّ لِسَانِ

وزرافة فى الجَوِّ من أُنْبوبِها ... ماءٌ يُرِيكَ الجَرْىَ فى الطَّيَرَانِ

مَرْكُوزَة كالرُّمْحِ حيث ترى له ... من طَعْنِهِ الحَلَقَ انعطَافَ سِنَانِ (٢)

وكأنما ترمى السماءَ بِبُنْدُقٍ ... مُسْتَنْبَط من لُؤْلُؤ وجُمَانِ

لو عاد ذاك الماءُ نِفْطًا أَحْرَقت ... فى الجو منه قميصَ كلِّ عنانِ

فى بِرْكة قامت على حافاتها ... أُسْدٌ تَذِلُّ لِعِزَّةِ السُّلْطانِ

نَزَعت إلى ظُلْمِ النفوس نُفُوسُها ... فلذلك انتُزِعَت من الأَبدان

وكأنما الحَيَّاتُ من أفواهِها ... يَطْرَحْن أنفسهن فى غُدْرَانِ

وكأنما الحيتانُ إذْ لم تخشها ... أَخذت من المنصور عهد أمان (٣)

وقال يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات :

ويا حبَّذا دار قضى الله أنها ... يُجَدَّدُ فيها كُلُّ عزٍ ولا يَبْلَى

وما هى إلا خِطَّةُ المَلِكِ التى ... يُحَطُّ إليها كُلُّ ذِى أمل رَحْلَا

---

(١) كان الماء إذا خرج من فيها ظهرت لها أصوات كهديل الحمام .

(٢) الحلق : الدروع .   (٣) الحيتان : سمك البركة .

إذا فُتِحت أبوابُها خِلْتَ أنها ... تقول بترحيب لداخلها : أهْلا !

وقد نَقَلَتْ صُناعها من صفاته ... إليها أفانينًا ، فأحسنت النَّقْلا

فمن صَدْرِه رُحْبًا ، ومن نوره سنًى ... ومن صيته فرعًا ، ومن حلمه أصْلا

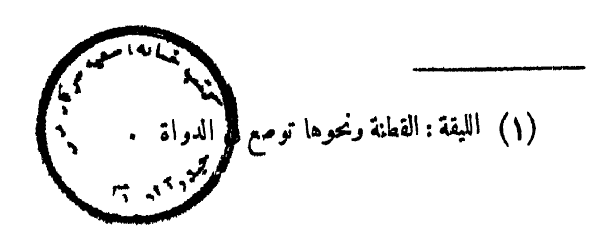
فأعلَتْ به فى رُتبةِ المُلْك ناديًا ... وقلّ له فوق السِّماكين أن يُعلى

نسيتُ به إيوانَ كسرى لأنّنى ... أراه له مَوْلًى من الحسن لا مِثْلا

ترى الشمس فيه لِيقَةً تستمدّها ... أكفٌّ أقامت من تصاويرها شكلا (١)

لها حركاتٌ أُودعتْ فى سُكونِها ... فما تَبعتْ من نقلهنّ يدٌ رجلا

ولما عَشِينا من توقد نُورها ... تخِذْنا سَناه فى نواظرنا كُحْلا



(١) الليقة : القطنة ونحوها توضع فى الدواة .

تم طبع هذا الكتاب في يوم ٦ من شعبان سنة ١٣٦٣

(٢٦ يوليه سنة ١٩٤٤)

مدير المطبعة الأميرية

المطبعة الأميرية ١٠٣٩/س ١٩٤٤ – ٨٩٥٠٠